الايلخان هولاكو

ودوره في نشأة وقيام الدولة الايلخانية

دراسة تحليلية لسيرته وعمله السياسي والعسكري

(٦١٣-٦٦٣هـ/١٢١٦-١٢٦٥م)

اطروحة تقدم بها

عبد الرحمن فرطوس حيدر

الى مجلس كلية الآداب -جامعة بغداد

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي

بإشراف

الاستاذ الدكتور مرتضى حسن النقيب

رجب / ١٤٢٤هـ أيلول / ٢٠٠٣م


بسم الله الرحمن الرحيم

إقـــرار

أشهد أن إعداد هذه الأطروحة جرى تحت إشرافي في جامعة بغداد / كلية الآداب، وهي جزء من متطلبات درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي.

التوقيـع:
الاسم: الأستاذ الدكتور مرتضى حسن النقيب
التاريـخ: / /٢٠٠٣

بناءاً على التوصيات المتوافرة، ارشح هذه الأطروحة للمناقشة

التوقيع:
الاسم: الأستاذ الدكتور مرتضى حسن النقيب
رئيس قسم التاريخ
التاريـخ: / / ٢٠٠٣

شكر وتقدير

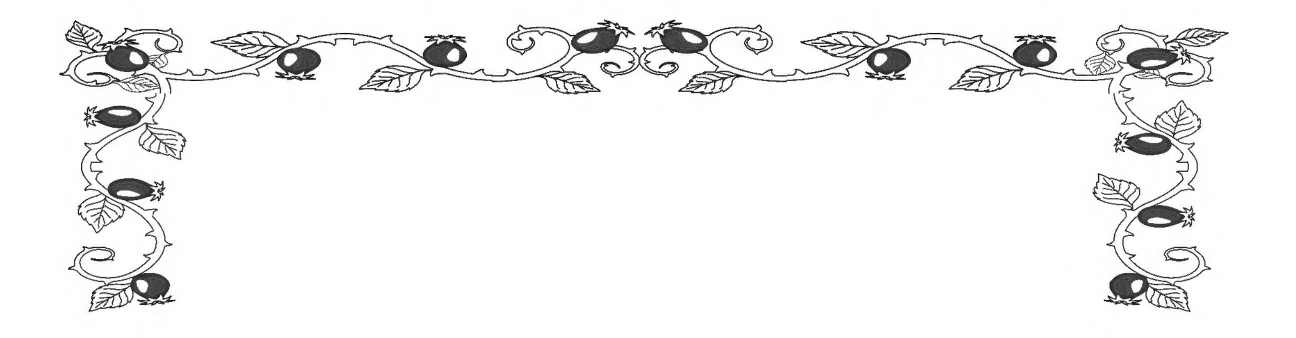
يطيب لي ان اتقدم بجزيل الشكر الى استاذي الفاضل الدكتور مرتضى حسن النقيب، الذي تفضل مشكوراً بقبول الاشراف على هذه الاطروحة، ولما بذله من جهد وصبر كبيرين تجلى من خلال ملاحظاته العلمية وارشاداته السديدة، التي كان لها اكبر الاثر في ظهور الاطروحة على النحو الذي هي عليه.

كما اتقدم بوافر الشكر، وكل آيات الحب والتقدير الى استاذي الفاضل الدكتور نزار عبد اللطيف الحديثي عميد كلية الاداب السابق، لما غمرني به من رعاية واهتمام طوال مدة البحث، وقد بذل جهداً كبيراً في تذليل جميع الصعوبات التي اعترضتني، فكان اباً كريماً واستاذاً فاضلاً ادين له بالفضل والامتنان على الدوام.

ولا يفوتني ان اسجل شكري وتقديري لاساتذتي الافاضل الذين نهلت من علمهم الغزير اثناء السنة التحضيرية وهم كل من ، الاستاذ الدكتور بهجت كامل عبد اللطيف، والاستاذ الدكتور حمدان عبد المجيد الكبيسي، والاستاذ الدكتور نافع توفيق العبود، والاستاذ الدكتور قحطان عبد الستار الحديثي، والاستاذ الدكتور بدري محمد فهد، والاستاذ الدكتور خليل الكبيسي، والاستاذة الدكتورة صباح الشيخلي و الاستاذ الدكتور لبيد ابراهيم احمد.

كما اود ان اسجل شكري الجزيل الى كل الموظفين العاملين في مكتبة قسم التاريخ ، ومكتبة الدراسات العليا ومكتبة كلية الاداب، والمكتبة المركزية في جامعة بغداد، ومكتبة قسم اللغة الفارسية في كلية اللغات ومكتبة المتحف العراقي.

المحتـــويات



المقدمة ونطاق البحث وتحليل المصادر



المقدمة

هولاكو شخصية لا تنسى في التاريخ الاسيوي – العباسي اذ كان اسمه يجري دون ادنى مبالغة على لسان كل مؤرخ كتب النهايات الاليمة التي وصل اليها حكم البيت العباسي ودولة الخلافة في النصف الثاني من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، وقلما توفرت شخصية عسكرية سياسية يقترن اسمها بالعصر العباسي الاخير مثلما توفرت لهذا الاسم الذائع الصيت من حيث تكوين امبراطورية مترامية الاطراف تمتد ما بين نهر جيحون في التركستان وسواحل بلاد الشام باقل من عشر سنين، وقلما ارتقى اسم مشهور من معاصريه الى ما فوق اسم هذا الايلخان واعماله ، للتغطية التي حصل عليها مقابل اسماء جميع من عاصره وسبقه من الحكام السياسيين الطغاة في التاريخ.

ومع ان هذا الاسم المخيف معروف لدى الاجيال العربية الاسلامية، ولدى الاجيال في العراق خاصة، لما يقترن له من سجل في مجالات التخريب والدمار الذي اوقعه في مدن العالم الاسلامي العريقة في التحضر آنذاك، وفي تصفية البيت العباسي وغيره من البيوتات الحاكمة الاخرى، الا انه حسب علمنا لم يحظ بالدراسة والتحليل لحد الان.

ان هذا الايلخان الشهير ، حفيد جنكيزخان، امبراطور المغول الاعظم، ترك ما بين وقت خروجه للحرب والاحتلال وداخل مناطق الاسماعيلية والعباسية والايوبية على التوالي الى وقت رحيله في سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٥م سجلاً لا ينسى في ابادته لحكام الولايات، وفي القضاء على الاسر التي ينتسب اليها حكامها من اسماعيلية وعباسيين وايوبيين وغيرهم، والاكثر حقيقة هي في عدم تورعه في احتزاز رؤوس مناوئيه متى ما شاء ، دون ادنى اعتبار لكل العهود والمواثيق التي يصادق عليها.

واذا كانت هذه الشهرة في الابادة والدمار شئ بالغ الحسرة بالنسبة للبيت العباسي والخلافة العباسية، لان اسمه يرتبط بزوال مؤسسة الخلافة وهدر دماء العباسيين وازالة معالم حضارتهم، فان الواقع التاريخي لهذه الشخصية يعكس ايضا

حالات من الامثلة المشابهة لوضع العباسيين والمصير الذي آلت اليه دولتهم، حتى ان بعضها في حقيقة الامر الواقع يفوق ما حصل للعباسيين انفسهم على نحو ما حدث لحلب وقلعة حارم الايوبيتين. ومع ان تلك الجرائم التي ارتكبها بحق تلك الدول والحضارات معروفة في تسمياتها العامة لدى الباحثين من المهتمين بحقل التاريخ الاسيوي عامة، والتاريخ العباسي خاصة، الا ان كثير من الاساليب التي كان هولاكو يلجأ الى استخدامها حين اجتياحه لبلدان ومراكز حكم اعدائه لا تزال غير مدروسة، ولم تجر محاولات للكشف عنها بتحليلها ضمن الاطار العام لعمل هولاكو السياسي والعسكري وسيرته الشخصية ككل، وضمن الاجراءات التي تبناها ضد اكثر من عشرين بيتاً من البيوت الحاكمة انذاك. وفي هذا المحتوى، يشكل هولاكو حقاً ظاهرة جديدة بارزة في التاريخ الاسيوي المغولي عامة، والتاريخ الاسلامي خاصة تستحق الدراسة والتحليل على مستوى درجة الدكتوراه.

من هنا فان هذه الاطروحة جاءت محاولة لدراسة الجوانب الشخصية المختلفة لسيرة وحياة الايلخان هولاكو (٦١٣-٦٦٣هـ/١٢١٦-١٢٦٥م)، مؤسس الدولة المغولية التي قامت على ما كان يعرف ببلاد الخلافة الشرقية، واصطلح تسميتها بـ (الدولة الايلخانية). فضلاً عن كونها دراسة تحليلية تاريخية لعمله السياسي والعسكري بين السنوات (٦٥١-٦٦٣هـ/١٢٥٣-١٢٦٥م).

ان اهم اهداف هذه الاطروحة هو بحث التساؤل العام، فيما اذا كان هولاكو يستحق لما انجزه كل هذا التقدير والثناء من انصاره ومؤيديه من جهة، وكل ذلك التشهير والتشنيع من معارضيه وضحاياه من جهة اخرى.

وحقيقة الامر الواقع اننا افترضنا ان هولاكو يشكل ظاهرة تاريخية لسببين، الاول نجاحه في تكوين اسرة حاكمة وثنية في داخل دار الاسلام حلت محل الاسرة العباسية، والثاني قيامه بالغاء الخلافة الاسلامية التي استمرت قائمة منذ وفاة الرسول (ص). وهما حدثين بارزين وفاصلين في التاريخ. فضلاً عن ما قام به هولاكو من ويلات ومجازر متتالية، جعلته عنواناً لنزعة البطش والقتل التي تميز بها المغول، ولم يضارعه في ذلك سوى جده جنكيز خان. وعلى النقيض من افعاله النكراء وجرائمه فانه تميز بنجاحه بتأسيس نظام سياسي واداري متكامل في البلاد التي اخضعها لسلطته، يقوم جوهره على التوفيق بين قوانين الياسا

الجنكيزخانية وبين النظم الاسلامية التي سمح باستمرارها ليخضع رعاياه المسلمين بقوانينها، وقد ظل هذا النظام قائماً لاكثر من سبعين عاماً بعد وفاته.

ولكن ضمن هذا الطرح يمكننا ان نتسائل الى أي مدى كانت شخصية هولاكو عاملاً حاسماً في مسيرة الاحداث، ام ان العوامل الخارجية كانت لها اليد الطولى في تحقيق ذلك. وبحثنا هذا يمكن ان يقدم اجابة على هذا التساؤل، وهو يفترض ان العوامل الخارجية كان لها الاثر الكبير في تكوين ظاهرة هولاكو. ففي خصوص الناحيتين العسكرية والادارية لا يمكن لنا ان نطمئن الى انها كانت نتاجاً لفكر وتخطيط هولاكو نفسه، وان تدخله فيها وتوجيهها الوجهة التي انتهت اليها محل شك، وهو يميل الى ان الخطة العامة للعمليات العسكرية المغولية واهدافها الكبرى بمجملها كانت مقيدة ومرسومة في قراقورم، وان هولاكو كان مجرد منفذاً لها. وان رؤية ادق للعمليات العسكرية التي خاضها يقدم لنا ملمحين مهمين في تقدير كفاءته العسكرية؛ الاول انه لم يكن ناجحاً في كل ما قام به في حروبه، والثاني ان انجازاته العسكرية (المظفرة) [1] تحققت على اعداء ليسوا باندادٍ له من حيث القوة والظروف، والعكس يعد صحيحاً. الا اننا في الوقت ذاته لا ننكر قدرته قائداً سياسيٍّاً ماهراً استطاع بما جبل عليه من قوة وتربية ملكية، ان يحقق الجزء الاعظم من مهمته بالوسائل السياسية عن طريق اساليب الخداع والمكر التي برع فيها، فضلاً عن تطبيقه منظومة العمل العسكري المغولية التقليدية بكل مهارة واتقان.



[1] ترد اشارات كثيرة توصف عمل هولاكو بالانجاز والتفوق وما شابه ذلك، وهي في الحقيقة تعبيرات عن قياس لمدى النجاح الذي حققه من الناحية العسكرية البحتة. ولكن من الناحية الانسانية، فان كل ما قام به هولاكو، لا تعدو عن كونها اعمال عدوان واحتلال وقتل وتخريب، تمثلت بابشع صورها في مراكز الحضارة الاسلامية آنذاك.



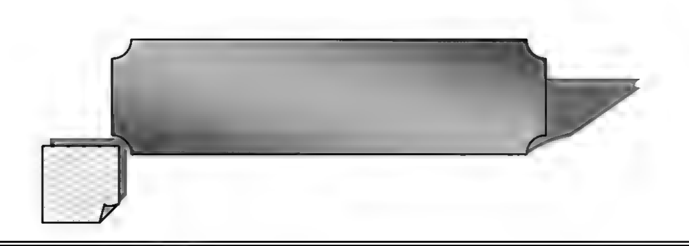
قسم موضوع الدراسة على اربعة فصول، تناولنا في الفصل الاول سيرة هولاكو الشخصية، حيث تم التطرق الى بيت تولوي خان بن جنكيز خان، الذي ينتسب هولاكو اليه، واهمية نسبه هذا، والمكانة التي يحتلها بين اخوته الذكور. ثم تناولنا بالبحث اسمه واختلاف المصادر حول ذلك، ومكان ولادته وتاريخها. ثم تم التطرق الى نشأته وحياته في منغوليا، منذ ان كان طفلاً صغيراً تربى في كنف امه، بعد غياب ابيه عن اسرته لما يقرب الست سنوات، كان قد قضاها في الحملة على الدولة الخوارزمية، الى ان اصبح رجلاً بالغاً، كثير الاعتداد بنفسه، ومشاركته الفعالة في الحياة السياسية المغولية، والدور الذي لعبه في دعم ترشيح اخيه الاكبر منكو لعرش الامبراطورية المغولية. كما تم التطرق الى عائلته الشخصية وزوجاته، وبحثنا مسألة الدين الذي كان يعتنقه. وجاء القسم الثاني من الفصل لبحث الجوانب المكتملة من شخصيته بعد استقراره في المشرق الاسلامي، كحا كم على رأس الدولة الايلخانية، من حيث اوصافه وصفاته، والالقاب التي منحت له، او تلك التي اتخذها لنفسه ومدلولاتها، واراء المؤرخين والباحثين بشأن شخصيته، ووجهات نظرهم المتباينة حول ذلك واخيراً تناولنا وفاته واسبابها.

وتناول الفصل الثاني التسمية والاعداد للحملة على بلدان الخلافة الشرقية بقيادة هولاكو، حيث بحثنا دوافع الحملة، واسباب اختيار هولاكو شخصياً لقيادتها، دون غيره من قادة المغول. والتفويض الرسمي الذي حصل عليه من القوريلتاي المغولي وصدق عليه اخيه منكوقاآن. ثم تناولنا الاستعدادات التي قامت بها السلطات المغولية لدعم الحملة، والاجراءات التي قام بها هولاكو بنفسه لتنظيم الجيش وترتيب تشكيلاته. ثم تابعنا بعد ذلك مسير هولاكو بالجيش الذي يقوده من قراقورم عاصمة المغول حتى وصوله الى نهر جيحون، وعللنا اسباب البطء في مسيرة الجيش، الذي استغرق في رحلته اكثر من عامين حتى وصوله الى التركستان. وتناولنا تقدير عدد الجيش المغولي، وابرز قادة النوين الذين كانوا يقودون تشكيلاته. كما تم التطرق الى الاجراءات التي قام بها هولاكو بعد وصوله الى التركستان، لتأكيد سلطته على الامارات الاسلامية من خلال ارساله الرسائل لحكامها. ثم تناولنا ماهية الاستفادة التي حققها هولاكو من دعم الادارة المغولية الاولى المستقرة في خراسان للحملة ودور الامارات الاخرى التي كانت تحكم في

ايـران وبـلاد الـروم والموصـل وموقـف الخلافـة العباسـية وادارتهـا مـن الحملـة فـي بـداياتها الاولـى. واخيـراً حللنـا تشـكيلة مجلـس المشـورة الحربـي الـذي انشـأه هولاكـو استعداداً للعمليات الحربية.

امـا الفصـل الثالـث فقـد عنـي بدراسـة وتحليـل مجمـل العمليـات العسـكرية التـي قـام بهـا هولاكـو، وكانـت اولهـا اخضـاعه لطائفـة الاسـماعيلية فـي شـمال ايـران حيـث تـم بحـث اسـباب نجاحـه فـي اخضـاع القـلاع الحصـينة لتلـك الطائفـة مثـل المـوت وميمـون دز وغيرهـا، كمـا تـم التطـرق الـى اخفاقـه فـي احـتلال قـلاع اخـرى مثـل لمبسـر وكردكـوه. وتناولنـا بالتفصـيل حملـة هولاكـو علـى بغـداد عاصـمة العباسـيين، والاجـراءات التـي قـام بهـا هولاكـو قبـل اجتياحـه للمدينـة ، مـن خـلال قضـائه علـى القبائـل الجبليـة مـن الاكـراد والتركمـان، والتـي كانـت تسـتقر فـي جبـال زاكـروس، والمراسـلات المتبادلـة بينـه وبـين الخليفـة العباسـي المستعصـم بـالله، والنتـائج المترتبـة عليهـا. ثـم استشـارة هولاكـو للمنجمـين بشـأن الطـالع حـول الحملـة ومسـتقبلها. كمـا تطرقنـا الـى اوضـاع الخلافـة العباسـية عشـية اجتيـاح هولاكـو لهـا. ثـم تناولنـا بالتفصـيل الخطـة العسـكرية التـي اقرهـا هولاكـو لاحـتلال بغـداد، واحكـام الحصـار حـول المدينـة، وسـير العمليـات العسـكرية، ومـا تمخـض عنهـا مـن نتـائج تمثلـت بـاحتلال المغـول لعاصـمة العباسيين، ومقتـل الخليفـة المستعصـم بـالله، والقضـاء علـى الخلافـة العباسية باسرها. ثـم تابعنـا بعـد ذلـك تنفيـذ هولاكـو للجـزء الخـاص مـن حملتـه بـاحتلال الجزيـرة وبـلاد الشـام. واخيـراً تطرقنـا الـى اخفاقـات جيشـه امـام كـل مـن المماليك حكـام مصـر فـي معركـة عـين جـالوت، ومـن ثـم مـا لحـق بـذلك الجـيش من هزيمةٍ مذلة امام ابناء عمومته من مغول القبجاق.

وتنـاول الفصـل الرابـع النظـام السياسـي والاداري للدولـة الايلخانيـة التـي قـام بتأسيسـها هولاكـو، وقـد تضـمن الفصـل عـرض لمـا اسـتقرت عليـه الادارة المركزيـة فـي العاصـمة مراغـه، مـن حيـث سـلطة الايلخـان، والامـراء المغـول (الشـاهزادكية)، ومنصـب صـاحب الـديوان، والوظـائف الاخـرى المتعلقـة بالقضـاء والاوقـاف، وعلاقـات ولايـات الاطـراف بالسـلطة المركزيـة واخيـراً تطرقنـا للعلاقـات السياسـية للدولة الايلخانية مع الدول الاخرى في اثناء حكم هولاكو.



تحليل المصادر

يأخذ هولاكو مكانته بين مؤرخي عصره من عمله السياسي والعسكري الذي قام به في كل من بلاد الاسماعيلية والعراق والشام على التوالي، ومن الاجراءات القاسية والشنيعة التي اتخذها بحق شعوب وحكام وملوك واتابكة تلك البلدان وممثليهم، على رأسهم الخليفة العباسي المستعصم بالله آخر خلفاء البيت العباسي.

وعليه فان وجهات نظر هؤلاء المؤرخين تجاه هولاكو، تباينت كل حسب مواقفه من المغول، فمن المعروف ان وجهة النظر العباسية قد طمست ولم تصل الينا. لأن مؤرخو العصر العباسي، الذين عاشوا تحت رعاية الحكام المغول تبنوا وجهة نظر اسيادهم الجدد، ولم يذكروا شيئاً عن وجهة نظر اسلافهم في هذا الامر. اما المصادر التي مثلت وجهة النظر المغولية فقد توفرت لنا باللغة الفارسية، لغة الديوان المستخدمة آنذاك. وقد اعتمدنا في هذه الاطروحة قدر الامكان على المصادر الاولية المعاصرة، ولم نرجع للمصادر الاخرى الا في حالات اضافة معلومات جديدة لم تصل الينا عن طريق المصادر المعاصرة مباشرة، او في توقف المصادر عند حد معين من المعلومات، وفي حالات قصور تلك المصادر عند تزويدنا بمعلومات وافية وتفصيلية على مستوى الحوادث والتراجم.

ان اهم مصادر الاطروحة التي تغطي تاريخ الايلخانيين عامة وعهد هولاكو خاصة هي باللغة الفارسية ، وقد اعتمدنا بشكل أساس على مؤلفات مؤرخي المغول الثلاث، ونقصد بهم (الجويني ورشيد الدين ووصاف). وهي اهم المصادر الاولية في تاريخ المغول بصورة عامة، والايلخانيين بصور خاصة، ولايمكن لأية دراسة في هذا المجال الاستغناء عن أي منها على الرغم من انها مصادر تمثل وجهة النظر الرسمية للمغول. فضلاً عن ان هذه المصادر امتازت بمعاصرة مؤلفيها للاحداث، وان كل المصنفات التي أُلفت لاحقاً استمدت معلوماتها عنها، فقد تميز مؤلفوها جميعاً بعملهم بمناصب سياسية وادارية في خدمة المغول، فكانوا اكثر من غيرهم معرفة بأحوال المغول وتاريخهم من خلال الوثائق الرسمية المتوفرة لديهم في الديوان والدركاه. وأهم هذه المصادر هو مصنف علاء الدين عطا ملك الجويني (ت٦٨١ هـ/١٢٨٢م)[١] المعنون (تاريخ جهانكشاي)[٢] أي فاتح

---

[١] عن علاقة الجويني واسرته بهولاكو انظر: الفصل الرابع، ص٢٠٢.

[٢] بسعي واهتمام محمد بن عبد الوهاب القزويني (ليدن: مطبعة بريل، ١٣٥٥هـ/١٩٣٧م). والنسخة الانكليزية:
The History of the World Conqueror. Translated by J.A. Boyle (Manchester, 1958).



العالم، ويقصد به جنكيز خان، الذي يحتل المرتبة الاولى بين هذه المصادر، ويعد مرجعاً لكل المصادر التي جاءت بعده، لان معلوماته تضم وصفاً شاملاً للغزو المغولي لبلاد المسلمين، وعرضاً لاوضاع الامارات التي تعرضت جيوشهم لها، الا ان احداثه تقف عند سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م قبيل احتلال هولاكو لبغداد.

استفاد الجويني من عمله ككاتب انشاء للأمير ارغون، النائب المغولي في خراسان، فسافر معه مرات عديدة الى قراقورم عاصمة المغول، وتجول في بلادهم الواسعة، وفي اسفاره اطلع على اوضاع الممالك الاصلية للمغول وتعرف على حياتهم وتاريخهم، وتم له من خلالها جمع مادة كثيرة من اوراق ومسموعات قيمة ساعدته في تدوين كتابه، الذي يبدو انه صنفه لهولاكو، الذي تعرف عليه شخصياً من خلال الامير ارغون، ودخل في خدمته سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م، ونال مكانة بارزة عنده، وقام بتحرير اليرليغات والرسائل الخاصة به، قبل ان يوليه حكومة العراق العربي في سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٩م.

يقع كتاب تاريخ جهانكشاي في ثلاثة أجزاء، افاد الجزء الثالث منه البحث بشكل مباشر، وهو في تاريخ منكوقاآن الاخ الاكبر لهولاكو، وتفاصيل حملة هولاكو على ايران وبلاد الطائفة الاسماعيلية، وقد استمد الجويني القسم الاعظم من معلوماته من خلال مشاهداته الشخصية، فقد كان مرافقاً لهولاكو، ومطلعاً على اعماله واجراءاته، ولذلك امتاز تاريخ جهانكشاي بدقة معلوماته، وتضمينه اخباراً غير متوفرة في المصادر الاخرى.

اما مصنف رشيد الدين فضل الله الهمداني (ت٧١٨هـ/١٣١٨م)[١] المعنون (جامع التواريخ)[٢] فيعد اهم مصدر لدراسة تاريخ المغول منذ نشوء اقوامهم حتى وفاة السلطان

---

(١) هو رشيد الدين فضل الله بن عماد الدولة بن موفق الدولة الهمداني، ولد في سنة ٦٤٥هـ/١٢٤٧م، وعرف عنه بانه كان يهودياً ثم اسلم، فيما ظل خصومه يتهمونه بانه بقي على ديانته السابقة.

وقد عمل رشيد الدين طبيباً خاصاً لاباقا خان بن هولاكو، وخلفاءه من بعده، قبل ان يصبح ادارياً بارزاً، حيث شغل منصب الوزارة لثلاثة من السلاطين الايلخانيين على التوالي: السلطان محمود غازان (٦٩٤-٧٠٣هـ/١٢٩٥-١٣٠٤م)، واخاه السلطان اولجياتو (محمد خدابنده) (٧٠٣-٧١٧هـ/١٣٠٤-١٣١٧م). واوائل حكم السلطان ابي سعيد (٧١٧-٧٣٦هـ/ ١٣١٧-١٣٣٧م).

وكان رشيد الدين عارفاً باللغات العربية والفارسية والعبرية والمغولية والتركية والصينية، وقد صنف فضلاً عن كتاب جامع التواريخ، مؤلفات كثيرة. الا ان نهاية حياته كانت مؤلمة، فقد اعدم، نتيجة مؤامرة دبرت له في سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م بتهمة دس السم للسلطان اولجياتو. للتفصيل عن حياته انظر: عباس اقبال، تاريخ مفصل ايران، ط٣، (طهران: جابخانه سبهر، ١٣٤٧هـ.ش) جـ١، ص٤٨٨-ص٤٩١، فؤاد عبد المعطي

محمود غازان، الذي كان رشيد الدين مسؤولاً عن وزارته، ويمتاز عن تاريخ جهانكشاي للجويني بتغطيته للاحداث التاريخية حتى سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٤م، ولذلك اصبح اشهر المؤلفات كمالاً ووضوحاً للتاريخ المغولي.

اما كتاب شهاب الدين الوصاف (ت٧٣٥هـ/١٢٣٤م)[٣] المعنون بـ (تجزية الامصار وتزجية الاعصار)[٤] والمعروف بـ (تاريخ وصاف) فله اهمية بالغة لهذه الاطروحة بقدر مايتعلق بالموقف الرسمي المغولي من احتلال بغداد. ويعد الكتاب ذيلاً لتاريخ جهانكشاي للجويني، فهو يبدأ سرده للاحداث التاريخية من حيث توقف التاريخ المذكور في سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م، وانتهى الوصاف من تأليف الجزء الاول منه في سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٣م.

ومع ان الكتاب اتبع مؤلفه فيه اسلوب يغلب عليه التكلف، لكثرة التزويقات الشعرية والخطب البلاغية، الا انه يعد من اهم مصادر دراسة تاريخ الايلخانيين، وفيه تفاصيل وافية لحادثة احتلال بغداد على يد هولاكو، ومقتل الخليفة العباسي المستعصم بالله، واحداث مهمة ذات صلة بموضوع الاطروحة.

وعلاوة على ذلك توجد رسالة ذات صلة بفتح بغداد منسوبة لنصير الدين الطوسي (ت٦٧٢هـ/١٢٧٣م)[١]، التي وردت في ذيل كتاب تاريخ جهانكشاي[٢]، ذات اهمية بالغة فقد حوت على معلومات مهمة عن مراسلات هولاكو للخليفة المستعصم بالله، وتفاصيل

الصياد، مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمداني، ط١، (القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م).

(٢) تحقيق بهمن كريمي (طهران: شركة نسبي حاج محمد اقبال وشركائه، ١٣٣٨هـ.ش).

(٣) هو شهاب الدين بن عبد الله الشيرازي المعروف بوصاف او (وصاف الحضرة)، ولد قرابة سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٥م بشيراز، وكان اديباً وشاعراً، وقد انخرط في الاعمال الديوانية هناك، اذ كان يعمل مستوفياً للضرائب في المدينة، وكانت تربطه صلات وثيقة بالمؤرخ رشيد الدين فضل الله الهمداني، وقد حظي بوساطة منه بعطف بالغ من السلطان محمود غازان واخيه السلطان اولجياتو. للتفصيل عن حياته انظر: عباس العزاوي، التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان (بغداد: شركة التجارة والطباعة المحدودة، ١٩٥٧)، ص١٦٤.

(٤) (طهران: طبع حجز. بلا.ت).

(١) عن ترجمته انظر: الفصل الثاني، ص٩٧.

(٢) بسعي واهتمام محمد عبد الوهاب القزويني (ليدن: مطبعة بريل، ١٣٥٥هـ/١٩٣٧م).

عن حصار بغداد واحتلالها ومقتل الخليفة. وتعد هذه الرسالة من وثائق المغول الرسمية لكون نصير الدين الطوسي كان بصحبة هولاكو في حملته على عاصمة العباسيين.

فضلاً عن مؤرخي المغول الرسميين، هناك باللغة الفارسية ايضاً كتاب ابو عمرو منهاج الدين بن سراج الدين الجوزجاني (ت٦٦٠هـ/١٢٦٢م)[٣] المعروف بـ (طبقات ناصري)[٤]، وقد بدأ في تدوينه في سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٩م واتمه في سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م في الهند. وهو كتاب تاريخ عام في ثلاثة وعشرين باباً يختص كل منها بطبقة من الانبياء والاولياء والخلفاء والملوك، وقد اشتمل على تاريخ المغول ضمن تناوله لملوك الغور والسلاطين الخوارزميين. فيما خصص الجزء الاخير من كتابه لوقائع المغول منذ بدء حملاتهم وحتى احتلال هولاكو لبغداد، ووردت فيه احداث مهمة وتفاصيل دقيقة لم ترد في مصادر اخرى. ويتصف هذا الكتاب ان مؤلفه الجوزجاني يحمل وجهة نظر معادية للمغول.

ومن المصادر الفارسية التي احتلت اهمية تالية في الاطروحة مصنف مير محمد بن سيد برهان الدين خداوندشاه المعروف بميرخواند (ت٩٠٣هـ/١٤٩٨م)[١] المسمى (تاريخ روضة الصفا في سير الانبياء والملوك والخلفاء)[٢] وهو كتاب تاريخ عام

---

[٣] ولد ابو عمرو منهاج الدين في سنة ٥٨٩هـ/١١٣٩م، وهو من اسرة فارسية عرفت بالعلم والبلاغة، وكان شاعراً واديباً . وفي سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م أي في خضم الاجتياح المغولي، تم ايفاده رسولاً من قبل ملك الغور الى الى الملك نيمروز في الهند، وافلت مرات عديدة من قبضة المغول. ثم انتقل الى خدمة السلطان ناصر الدين قباجة (٦٠٢-٦٢٥هـ/١٢٠٥-١٢٢٥م) الذي حكم في مولتان وبعض بلاد السند، وكان من رعاة الادب الفارسي، فعمل الجوزجاني مدرساً باحدى المدارس، وقاضياً للجيش من قبله. وبعد ان قضى شمس الدين التتمش على ناصر الدين قباجة في سنة ٦٢٥هـ، ذهب منهاج الدين في خدمته، وسار معه في فتح دهلي (دلهي الحالية)، وظل منذ ذلك الوقت ملازماً لشمس الدين وابنه ناصر الدين محمود شاه (٦٤٤-٦٦٤هـ-١٢٤٦-١٢٦٥م) ووضع كتابه المعروف طبقات ناصري باسم هذا الملك. انظر: عباس اقبال، تاريخ مفصل ايران، ج١، ص٤٧٧.

[٤] تصحيح وتعليق عبد الحي جبيبي (كابل، ١٣٤٣هـ.ش/١٩٦٥م).

[١] وهو من اسرة عريقة تنتسب الى الاشراف، كانت تقطن بخارى ثم استقرت في بلخ، ولد في سنة ٨٣٧هـ/٤٣٣ لم، وامضى جزءاً كبيراً من حياته في هراة حيث التحق بخدمة الامير علي شير نوائي حامل اختام السلطان حسين ميرزا بايقرا (٨٧٥-٩١١هـ/١٤٧٠-١٥٠٥م) احد اشهر الامراء التيموريين وحاكم خراسان ومازندران. للتفصيل عن حياته انظر: عباس العزاوي، التعريف بالمؤرخين، ص٢٢٣، ص٢٢٥؛ الصياد، مؤرخ المغول، ص٢٨٠.

[٢] (طهران: جاب بيروز، ١٣٣٩هـ.ش).

اعتمد فيه مؤلفه كثيراً على كتابي الجويني ورشيد الدين، وعدد من المصادر الثانوية الاخرى، مع ما اضاف له شخصياً من معلومات عن الاحداث اللاحقة. وكذلك مؤلفي غياث الدين بن همام الدين المعروف بخواندمير (ت٩٤٢هـ/١٥٤٤م)[٣] وهو سبط ميرخواند، الاول بعنوان (تاريخ حبيب السير في اخبار افراد بشر)[٤] وهو كتاب تاريخ عام لايختلف كثيراً عن تاريخ جده، بل هو اختصار له مع اضافة الاحداث التي حصلت حتى وقت تأليف الكتاب. والثاني هو (دستور الوزراء)[٥] وفيه معلومات مهمة، ولاسيما في مجال الادارة الايلخانية، حيث تطرق خواندمير لاصحاب الديوان في عهد هولاكو، ومايتعلق بهم من شؤون سياسية وادارية ومؤامرات بشكل قصص على اسلوب التواريخ الفارسية.

اما المصادر العربية فهي على قسمين؛ الاول منها تلك المؤلفات التي عاش اصحابها في الدولة الايلخانية، ويأتي في مقدمتها مصنف المؤرخ العراقي ابن الفوطي (ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م)[١] المعنون (تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب)[٢] الذي وصل

---

[٣] ولد في سنة ٨٨٠هـ/١٤٧٥م، وعرف عنه شغفه بالتاريخ، وكانت له منزلة كبيرة عند الامراء التيموريين، وخاصة الامير (بديع الزمان) الابن الاكبر للسلطان حسين بايقرا. وقد بقي في خدمته حتى نهاية الدولة التيمورية. وكان في هراة حين استولى عليها الشيباني عام ٩١٣هـ/١٥٠٧م،وكان مقيماً بها ايضاً عام ٩١٦هـ/١٥١٠م حين تمكن الشاه اسماعيل الصفوي من قتل الشيباني، وانتزع هراة منه. وفي سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م كان يعيش في عزلة في قرية (بشت)، ثم رحل الى الهند عام ٩٣٤هـ/١٥٢٧م واتصل بالامير بابر شاه، وصحبه في حملته على البنغال، وبعد موت بابر شاه سنة ٩٣٧هـ/١٥٣٠م التحق بخدمة ابنه همايون شاه، وفي سنة ٩٤٢هـ/١٥٣٥م سافر معه الى مدينة كجرات فمرض في سفره ومات في الطريق. للتفصيل عن حياته انظر: عباس العزاوي، التعريف بالمؤرخين، ص٢٢٥-ص٢٢٨؛ الصياد، مؤرخ المغول، ص٢٨٢.

[٤] (طهران: كتابخانه خيام، ١٣٣٣هـ.ش).

[٥] نشر وتصحيح سعيد نفيسي (طهران، ١٣١٧هـ.ش).

[١] هو كمال الدين ابو الفضل احمد بن محمد بن احمد الشيباني (والفوطي لقب جده لامه، الذي كان يمتهن بيع الفوط) ولد في سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م وكانت تربطه بشمس الدين الجويني صاحب ديوان الممالك الايلخاني واخيه علاء الدين صاحب الديوان ببغداد علاقات طيبة، فعمل هذا الاخير على تحقيق رغبته في العودة الى بغداد عندما اصبح حاكماً عليها، وكلفه بالاشراف على خزانة كتب المدرسة المستنصرية، ثم رحل الى تبريز وعمل قيماً على مكتبة صديقه مؤرخ المغول رشيد الدين الهمداني في مراغه، واخيراً عاد الى بغداد وتوفي فيها. وللتفصيل عن حياته انظر: ابي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، جـ٦، ص٦٠؛ عباس العزاوي، التعريف بالمؤرخين، ص١٥٨-ص١٦٠.

لنا منه الجزئين الرابع والخامس، وهو كتاب في تراجم الرجال مرتب حسب الحروف الهجائية، دون فيه ابن الفوطي احداثاً عيانية كثيرة كان شاهداً عليها، من اهمها كارثة احتلال بغداد على يدي هولاكو، عندما كان صبياً صغيراً اودت به الظروف الى ان يقع في اسر قوات هولاكو الغازية، وفيما بعد تم اطلاق سراحه بفضل مساعي نصير الدين الطوسي.

وبجانب لغته العربية، فان ابن الفوطي كانت له معرفة جيدة باللغة الفارسية وآدابها، لانه قضى معظم حياته متنقلاً بين بغداد وفارس واذربيجان. ويلاحظ من جرد التلخيص ان تراجم ابن الفوطي احتوت على معلومات قيمة عن اخبار هولاكو ورجال دولته، افادت الاطروحة بشكل مباشر.

ومن المصادر الرئيسة المعتمدة في هذا العمل هو الكتاب المعنون (الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في اعيان المائة السابعة)[٣] لمؤرخ عراقي مجهول[٤]، من القرن الثامن الهجري / الثالث عشر الميلادي. وعلى الرغم من ان الكتاب يؤرخ لسير الادارة والسياسة في العراق، الا انه يضم في طياته تغطية لعهد هولاكو، وتفصيلات واسعة ودقيقة عن احوال الدولة الايلخانية وادارتها، مما يدلل على انه ربما كان احد المنتسبين للطبقة الادارية الايلخانية.

ومن هذه المصادر المهمة ايضاً ماكتبه البطريارك السرياني ابن العبري (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م)[١]، الذي كان على معرفة بهولاكو، من خلال اتصالاته الشخصية به، ومتابعاته لشؤون النصارى اليعاقبة، بموجب مافوض اليه هولاكو من امور البطرياركية.

---

(٢) جـ٤، تحقيق مصطفى جواد (دمشق، ١٩٦٢-١٩٦٥)، جـ٥، تصحيح وتعليق محمد عبد القدوس، وهو مستل من مجلة Oriental College (حيدراباد، ١٩٤٠).

(٣) تحقيق وتعليق بشار عواد معروف وعماد عبد السلام رؤوف، ط١ (بيروت: دار الغرب الاسلامي، ١٩٩٧).

(٤) وينسب الكتاب الى للمؤرخ ابن الفوطي.

(١) هو ابو الفرج غريغورس ابن أهرون المعروف بابن العبري، ولد في ملطية سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م. كان والده طبيباً يهودياً، اما هو فقد اعتنق الديانة النصرانية، بذل والده مافي وسعه من اجل تعليم ابنه العربية والسريانية واليونانية. وقد تعلم مهنة الطب من والده، ومن غيره من من مشاهير الاطباء في ايامه. توفي في مراغة عاصمة الايلخانيين في التاريخ المذكور. للتفصيل عن حياته انظر: عباس اقبال، تاريخ مفصل ايران، جـ١، ص٤٨٤؛ عباس العزاوي، التعريف بالمؤرخين، ص١١٩.

وقد دون ابن العبري كتابين في التاريخ؛ الاول باللغة العربية بعنوان (تاريخ مختصر الدول)[٢]، والثاني باللغة السريانية[٣]، ويضم معلومات مفصلة اكثر من الكتاب الاول.

وبشكل عام فان كلا الكتابين استقيا كثيراً من مادتهما من تاريخ جهانكشاي للجويني، ومع ذلك تضمنا معلومات اضافية لها قيمتها عن هولاكو واحتلال جيوشه للجزيرة وبلاد الشام، وفيهما ايضاً شرحاً لكثير من الالفاظ المغولية. ولكن نظراً لعلاقته الودية مع هولاكو، فلا يتوقع من ابن العبري ان يذكر في مؤلفيه مايسيء الى الايلخان وشخصيته، على الرغم من ورود اشارات تدون اعمال المغول ومذابحهم.

اما القسم الثاني من التواريخ، فهي المصادر العربية التي عاش مؤلفوها في بلاد الشام ومصر، الذين اعتمدوا في نقلهم لاحداث الدولة الايلخانية بدرجة كبيرة على المعلومات الشفاهية (النقلية) التي كان يزودهم بها اللاجئون والتجار والزوار القادمون من البلاد التي تخضع لحكم الايلخانيين. والاهم استفادتهم من المراسلات التي تمت بين هولاكو وحكام المماليك. غير ان هذه المصادر اعطت معظم اهتمامها لسير الصراع بين هولاكو والحكام المماليك في مصر، ولم تتناول احداث الدولة الايلخانية الداخلية الا بشكل عابر. وعموماً ان هذه المصادر قابلة للنقد في حالة تناقضها مع المصادر الاخرى، لانها كتبت عن بعد اولاً، ولانها تبنت وجهة النظر المملوكية ثانياً، ماعدا تغطيتها لحملة هولاكو على بلاد الشام ومعركة عين جالوت فتعد مصادر ذات اهمية بالغة.

من اهم هذه المصادر كتاب شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل ابو شامة (ت٦٦٥هـ/١٢٦٧م) المعنون (تراجم رجال القرنين السادس والسابع) والمعروف (بذيل الروضتين)[١]. وكان مؤلفه من سكنة دمشق، واحد العلماء الايوبيين الكبار، وقد القي القبض عليه من قبل المغول، لاسباب مالية ثم أطلق سراحه قبل تحرير دمشق وهرب الادارة المغولية منها على اثر انتصار المماليك في معركة عين جالوت. واهمية الكتاب انه يحوي تفاصيل مهمة عن اجتياح هولاكو لبلاد الشام.

---

(٢) (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩٥٨).

(٣) اتمه أخوه برصوما الصفي، ترجمة الاب اسحق ارملة السرياني، نشر على اجزاء في مجلة المشرق البيروتية لسنة ١٩٥٤-١٩٥٦.

(١) ط١ (بيروت: دار الجيل، ١٩٧٤).

ويأتي من بين هذه المصادر قطب الدين اليونيني (ت٧٢٦هـ/١٣٢٥م) في كتابه (ذيل مرآة الزمان)[٢]، الذي يوفر معلومات هامة عن هولاكو ونائبه كتبغا على بلاد الشام.

ومن المصادر المهمة كتاب ابي بكر بن ايبك الدواداري (كان حياً في سنة ٧٣٥هـ/١٣٣٤م) المعنون (كنز الدرر وجامع الغرر)[٣]الذي يقدم برواياته وصفاً دقيقاً لمظهر هولاكو الجسماني، لانجده في المصادر الاخرى.

يليهما كل من شمس الدين بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٨م) في كتابه (دول الاسلام)[٤]، وتقي الدين احمد بن علي المقريزي (ت٨٤٥هـ/١٤٤٢م) في كتابه (السلوك لمعرفة دول الملوك)[٥]، وجمال الدين ابي المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت٨٧٤هـ/١٤٧٠م) في كتابه (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة)[٦].

اما المصنفات الصينية، فعلى الرغم من ندرتها، الا ان مادتها من دون شك كانت لها انعكاساتها في محتوى فقرات من الاطروحة، واهم هذه المصنفات هو اليوان شي (Yuan-Shi) ويمثل التاريخ الصيني لاسرة المغول. وقد امتاز الكتاب بان مادته جمعت من وثائق رسمية عائدة للمغول، فضلاً عن تراجم الشخصيات التي جمعت من مصادر اخرى. واهم مايحتوي اليوان شي هو تدوين السيرة الذاتية لثلاثة عشر من القاآنات الذين حكموا منغوليا والصين، مع الاشارة الى اهم الوقائع التاريخية لحكمهم على طريقة الحوليات من بداية حكم جنكيزخان وحتى نهاية حكم سونتاي الذي سقط من العرش بيد اسرة منك في سنة ٧٧٠هـ/١٣٦٨م. وقد افاد البحث بشكل خاص بعض تراجم قادة النوين، الذين رافقوا هولاكو في حملته على بلاد الخلافة الشرقية، مثل كوكاايلكا. ومن خلال تلك التراجم وردت تفاصيل مهمة عن احداث الحملة ووصفاً للبلاد التي اجتاحتها جيوش هولاكو.

والمصدر الصيني الآخر هو سي شي كي (Si Shi Ki) ويضم معلومات نقلت عن الرحالة الصيني شانغ تي (Chan'g te) الذي كان مبعوثاً من امبراطور المغول منكوقاأن

---

(٢) (حيدرآباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٥٤-١٩٦١).

(٣) تحقيق هانس رويرت رويمر (القاهرة: مطبعة الخانجي، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م).

(٤) تحقيق محمد فهيم شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م).

(٥) تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

(٦) (القاهرة: مطبعة دائرة الكتب المصرية، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م).

الى اخيه هولاكو، وقد وصل الى بلاط هولاكو في مراغة بتبريز سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٩م. وبعد عودته الى عاصمة المغول، روى مشاهداته الشخصية، ومسموعاته. الا ان اقواله هذه لم تدون الا من قبل صيني آخر باسم ليو يو (Liu Yu). والجزء الاساس من كتاب سي شي كي يتناول حملة هولاكو على بلاد الخلافة العباسية.

وقد ترجم هذان المصدران مرات عديدة الى اللغات الاوربية، لكن ترجمة بريتشنايدر (E. Bretschnieder) التي نشرت بعنوان:

(Mediaeval Researches From Eastern Asiatic Sources)[1]

تعد اكثرها دقة واكتمالاً، وهي التي اعتمدت في هذه الاطروحة.

اما المراجع الحديثة، فان كتاب عباس أقبال المعنون (تاريخ مفصل ايران)، وهو باللغة الفارسية، له صلة مباشرة بالموضوع، لتغطيته الاحداث التاريخية في ايران منذ حملة جنكيزخان الى قيام الدولة التيمورية. غير ان ما يعاب على الكتاب هو عدم توثيقه لمصادر رواياته. وفيما يخص نظيراتها العربية الحديثة المتخصصة، فهي قليلة قياساً بالنسبة للكتب التي ارخت للعصور الاخرى، ومن اهمها كتاب عباس العزاوي المعنون (تاريخ العراق بين احتلالين)[٢]، والجزء الاول منه مخصص لحكم المغول في العراق، وقد اعتمد مؤلفه على مصادر عربية وفارسية وتركية، اذ كان يحسن هذه اللغات، واتبع طريقة المؤرخين العرب القديمة في كتابته للحوادث التاريخية. غير ان وجهة نظره في عدالة هولاكو غير صائبة تماماً، لأنه لم يأخذ في حساباته عمل هولاكو ككل، وتجاوزاته الشنيعة على الامم والشعوب المحتلة، واجراءاته التي اشاعت الظلم لدى شعوب هذه البلدان التي اجتاحتها جيوشه.

وهناك كتاب جعفر خصباك المعنون (العراق في عهد المغول الايلخانيين)[١]، والذي يعود له الفضل في ارساء قواعد الدراسات الايلخانية في العراق، على الرغم من التحفظ على بعض تعميماته بشأن الغزو المغولي للعراق، وبراءة الوزير العباسي ابن العلقمي.

---

[1] (London, 1967) .

[٢] (بغداد: مطبعة بغداد، ١٣٥٣هـ/١٩٣٥م).

[١] (بغداد: مطبعة العاني، ١٩٦٨).

وأيضاً مساهمة الدكتور محمد صالح القزاز في كتابه (الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية)[٢] الذي أفاد البحث بشكل مباشر فيما يخص الأحوال السياسية والادارية للعراق في عهد الايلخانيين الا انه ام يعطِ اهتماماً كبيراً للسلاطين المغول والأوضاع العامة في دولتهم.

وكتاب محمد الغامدي المعنون (سقوط الدولة العباسية) الذي احتوى على معلومات غايةً في الاهمية، وقد اعتمد على مصادر أولية اضافة الى كونه دراسة تحليلية لأسباب تفوق المغول على الدول والامارات الاسلامية[٣]

اما الاطاريح الجامعية، فاننا نشير الى دراسة عجمي محمود الجنابي المعنونة (المقاومة العربية للغزو المغولي حتى عين جالوت)[٤]. وقد اقتصرت الدراسة على ابراز دور المقاومة لاجتياح المغول لبلدان الخلافة الشرقية. ودراسة علاء محمود خليل بعنوان (المغول في الموصل والجزيرة)[٥]، التي اقتصرت على دراسة اوضاع الاقليم في ظل الحكم الايلخاني.

وتحتل المصادر الاوربية حيزاً مهماً في هذه الاطروحة، اذ ان حقل الدراسات المغولية لدى الاوربيين وجد منذ زمن بعيد نسبياً، ويعد دوسون (Do'hsson) في كتابه:

(Histoire des Mangols depuis Tchinquiz-Khan jusqu a Timour Bey ou Temerlan)

اي تاريخ المغول من جنكيز خن الى تيمولنك، رائداً في هذا المجال ومرجعاً لكل الكتاب الاوربيين الذين جاءوا بعده، حيث تعامل مع المصادر الاولية مباشرة، وللاسف تعذر حصولنا على هذا الكتاب، لذا اعتمدنا على مؤلفات آخرين نقلوا عنه، ومن بين هؤلاء هوارث (Howaorth) في كتابه:

(History of the Mongols, from the 9th to the 19th Century) [1]

وقد استوعب مع اختصار ماكتبه (Do'hsson) وعالج المصطلحات المغولية بالشرح والتوضيح. ولكتاب غروسيه (Grousset) المعنون:

---

(٢) (النجف: مطبعة القضاء، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م).

(٣) ط٢ (الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

(٤) اطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة بغداد، ١٩٩٠).

(٥) رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة الموصل، ١٩٨٥).

(1) (London, 1876 – 1927).

[٢] (L'Empire des Steppes) أي امبراطورية السهوب اهمية كبيرة في دراسة تاريخ المغول، وقد تعامل مع المصادر التركية والمغولية بشكل مباشر.

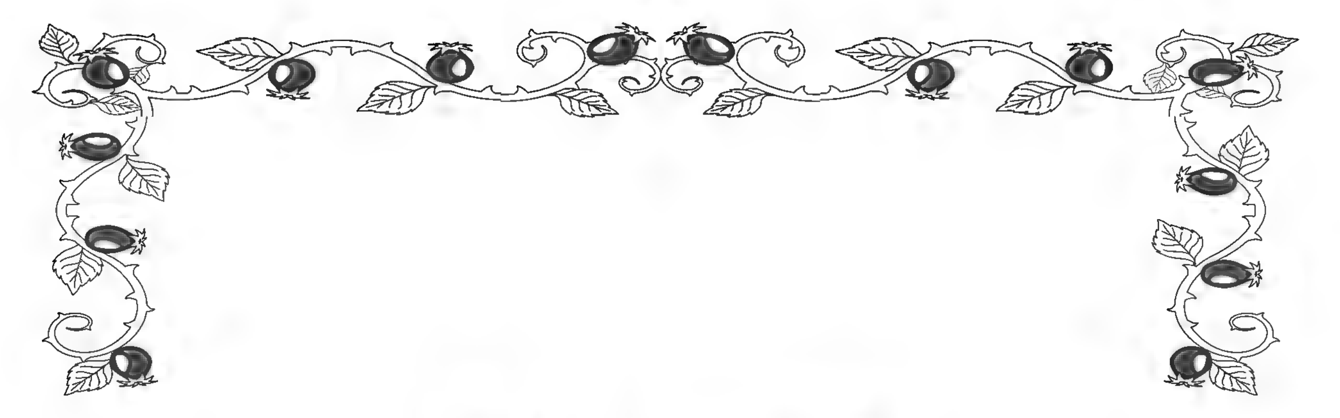
ومن المصادر الاوربية الهامة الاخرى، ذات الصلة المباشرة بالموضوع، مقالة المستشرق البريطاني بويل (J. A. Boyle) عن تاريخ الدولة الايلخانية وسلاطينها[٣] على الرغم من ان المؤلف لم يخف اعجابه الشديد بانجازات هولاكو العسكرية. وكذلك دراسة زميله بوساني (Bausani) عن الاحوال الدينية في ظل حكم المغول[٤].

---

(2) (Paris, 1952).

(3) Dynastic and Political History of The IL-Khans, in Cambridge History of Iran (London, 1968), vol.5, pp.303-421.

(4) Religion under The Mongols, in Cambridge History of Iran, vol.5, pp.538-549 .



الفصـــل الأول

سيرة وحياة هولاكو الشخصية



هولاكو شخصية مهمة في تاريخ المغول شئنا ام ابينا، لان كل ماله صلة بعمله وانجازاته في حقلي السياسة والحرب كان بمثابة نقطة تحول في تاريخ الدولة المغولية والعباسية، اذ لا يوجد ادنى شك في ان هذا الرجل الشهير في التاريخ الاسيوي قد غير وجهة التاريخ ومساره عندما نجح في بناء دولة للمغول داخل حدود دار الاسلام الشرقية استمرت في الحكم لاكثر من ثمانية عقود. من هنا فان رسم ملامح هذه الشخصية المغولية الشهيرة والتعرف على خصوصياتها في قيادة الحروب والادارة المدنية التي ادت الى هذا النجاح شيء يستحق الدراسة والتحليل. ولا يوجد لدينا ادنى شك ان هولاكو كان منذ الصغر شخصية مغولية معقدة نمت وترعرعت في مجالات البطش والقتل وسفك الدماء، وما الى ذلك من وسائل الانتقام بالطرق البشعة والشنيعة من الاعداء والمناوئين. في هذا الفصل نحاول معرفة ماذا يوجد اولاً في سجل حياته الشخصية على شكل حوادث واخبار ما يساعدنا على فهم تصرفاته لاحقاً تجاه البيت العباسي (دولة الخلافة) والبيوتات الاسلامية الاخرى، وماذا يوجد كذلك في تكوينه وسيرته الشخصية مما مكنه من تكوين تلك الدولة المترامية الاطراف التي ثبت اسسها وقيادتها بجدارة ؟ ثم ما هي مؤهلات هذه الشخصية والصفات التي ينفرد بها ؟ وهل كانت له كرزما (charisma)[١] شخصية في الزعامة والقيادة كسب بها طاعة الجيش المغولي ومراتبه في اثناء انطلاقه لاحتلال بلاد الخلافة عام ٦٥١هـ / ١٢٥٣م ؟ ومن هي تلك الشخصيات التي اثرت في هولاكو منذ صغره لاكتساب هذه الصفات، والاهم هل هو شخصية فريدة في التاريخ المغولي بين اقرانه ام ان هناك ما يوجد في تاريخهم من شخصيات تشبه هولاكو وتحاكيها؟ واخيراً ما هي العقائد التي آمن واشتهر بها منذ صغره. وكيف اهلت كل هذه العوامل والصفات هولاكو للقيام بهذا الانجاز الذي حققه على حساب المسلمين عامة والعباسيين خاصة.

ان ما نعرفه عن هولاكو لمرحلة صباه قليل جداً، ويمثل وجهة نظر المغول انفسهم، وان ما يرد من آراء للمؤرخين المسلمين كما سنلاحظ هي احكام

---

(١) كرزما: كلمة غير عربية تدل على قدرة الزعيم او القائد على اخضاع ارادة الاخرين، والتحكم في عقولهم واهوائهم، وانقيادهم التام لشخصه، وقد استخدمت هنا لعدم وجود ما يقابلها بهذا المعنى الدقيق والواسع.

متأخرة على شخصيته وسيرته، وتعكس وجهات نظر متباينة اما فارسية او مملوكية، وهو ما لا يعول عليه كثيراً.

ان المتتبع لحياة هولاكو التي امتدت لخمسين سنة عند وفاته في سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٥م يرى ان عمره الزمني، هو في الحقيقة يمثل بدايات تكوين الامبراطورية المغولية نفسها، والتي قامت قبل ولادته بثلاث عشرة سنة، فقد شهد خلالها السنوات الاخيرة من حياة جده جنكيزخان (٥٤٩-٦٢٤هـ/١١٥٥-١٢٢٧م) وعهود اربعة من القاآنات العظام، وهم كل من عمه اوكتاي (٦٢٦-٦٣٩هـ/١٢٢٩-١٢٤١م) وابن عمه كيوك (٦٤٤-٦٤٦هـ/١٢٤٦م-١٢٤٨م) واخيه الاكبر منكَو (٦٤٨-٦٥٨هـ/١٢٥٠-١٢٦٠م) ومدة الاربع سنوات الاولى من عهد اخيه الذي يكبره قوبيلاي (٦٥٨-٦٩٣هـ/١٢٦٠-١٢٩٤م). وقد مثلت مدة حكم القاآنين الأخيرين عمر وعمل هولاكو السياسي والعسكري.

ان معظم سنوات حياة هولاكو كان قد قضاها في بلاد المغول، وهي ما تقرب من سبع وثلاثين سنة، تنحصر مابين تاريخ ولادته، وحتى وقت تكليفه بقيادة الحملة على ما كان يمثل بلاد الخلافة الشرقية. واما ما تبقى من عمره، والذي لا يزيد عن ثلاث عشرة سنة فقد عاشها بعيداً عن وطنه، وهي التي تكللت جهوده خلالها بتأسيس الدولة الايلخانية. وبمقتضى هذا التقسيم الزمني يبدو ان حياته مرت بمرحلتين مهمتين، الاولى مرحلة النشأة وتكوين الشخصية على وفق قيم ومفاهيم الروح المغولية التقليدية في بلاده منغوليا، والثانية مرحلة الارتقاء الى القيادة والحكم التي عاشها في بلاد المسلمين. وللتعرف على سمات هاتين المرحلتين سنبحث اولاً الادوار التي مرت بها حياته في بلاده.ثم نتابع في القسم الثاني حياته وسلوكه في مشرق العالم الاسلامي حاكماً للدولة الايلخانية التي اقامها شخصياً في مراغة بتبريز.

بيت تـولـوي خـــان

هولاكـو هـو الابـن الخـامس[١] فـي تسلسـل اخوتـه، وثالـث الابنـاء المعتمـدين[٢] الاربعـة لتولـوي خـان[٣]، الـذي يشـكل بـدوره الابـن الرابـع لجنكيزخـان[٤]. ومـن الواضـح ان لنسـب هولاكـو هـذا اهميـة كبيـرة فـي تحديـد الجوانـب المهمـة مـن معـالم وعناصـر شخصـيته، فهـو لـم يكـن احـد افـراد العائلـة الحاكمـة للامبراطوريـة المغوليـة، وسـليل جنكيزخـان فحسـب، بـل استمد منزلتـه ايضـا مـن كـون ابـاه تولـوي خـان كـان اصـغر الابنـاء المعتمـدين الاربعـة مـن زوجـة جنكيزخـان الاولـى بورتـه فـوجين، الـذين يطلــق علــيهم رشــيد الــدين تعبيــر (كولــوك الاربعـــة)[٥] او (الاركان الاربعة)[٦]، لما كان للابن الاصغر من مزايا يقرها العرف

---

[١] يذكر رشيد الدين في ترجمته لسيرة هولاكو بانه يعد الابن الرابع لتولوي خان، وهو غير صحيح، وخطأ غير مقصود، لان الصحيح ما ذكره رشيد الدين نفسه في مواضع عديدة من كتابه بانه الابن الخامس. انظر: جامع التواريخ، جـ١، ص٥٥٢،جـ٢، ص٦٧٧.

[٢] لما كان من عادة المغول الزواج بعدة نساء، فانهم كانوا يفضلون ابنائهم من الزوجة التي يؤثرونها على بقية النسوة، وغالبا ما تكون الزوجة الاولى، وهؤلاء الابناء فقط هم الذين يرثون ابيهم، ويطلق عليهم الابناء المعتمدين (المصدر نفسه، جـ١،ص٥٥٢).

[٣] الجوزجـاني، طبقـات ناصـري، جــ٢، ص١٨٩؛ حمـد الله بـن ابـي بكـر المسـتوفي القزوينـي (ت٧٥٠هـ/١٣٤٩م)، تاريخ گزيده، باهتمام عبد الحسين نوائي (طهران،١٣٣٦هـ .ش)، ص٥٨٨؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا،جـ٥، ص٢٨٨.

[٤] يرجع نسب العائلة الجنكيزخانية الى قبيلة قيات، التي كانت قد انحدرت اصلاً من القبيلة المغولية القديمة (بورجگين). ويذكر رشيد الدين ومؤلف كتاب التاريخ السري للمغول عن اجداد جنكيزخان،فيذكران بانهم ينتمون اصلاً الى عائلة مالكة. انظر: جامع التواريخ،جـ١، ص١٧١-١٧٢؛
Yūan-chápi-shi, moğollarinGizli TariHi (Ankara, 1948), pp.5-16.

[٥] جامع التواريخ، جـ١، ص٥٥٢.

[٦] المصدر نفسه،جـ١، ص٥٥٣.



المغولي[1]. كما ان تولوي اب هولاكو كان الابن المفضل عند جنكيزخان، وكان مقرباً اليه بالمقارنة مع بقية اخوته[2]، فهو يكاد لا يفارقه ليلاً ونهاراً، ويقوم مقام ابيه في اثناء غيابه لاداء الاعمال والمهمات الحربية، ويتعهد داره في الظروف نفسها، على الرغم من انه كان اصغر ابنائه الذكور فقد منحه ابوه لقب (اويكه نوين) او (الغ نوين)[3] أي الامير الكبير[4]. وكان جنكيزخان يدعوه بـ (نوكار)[5] التي تعني (الرفيق)، وتشير الى علو منزلته، وقد انعكس ذلك على منزلة ابنائه فيما بعد فاصبحوا اكثر احقية بالعرش المغولي من ابناء عمومتهم الاخرين. كما ان تولوي عرف بموهبته العسكرية، لما كان يتمتع به من الرأي السديد والتدبير الذي ليس له نظير حسب قول رشيد الدين[6].

---

(1) يرث الابن الاصغر اراضي وممتلكات ابيه، ولذلك منح جنكيزخان أبنه تولوي اراضي الامبراطورية الوسطى، أي المنطقة الاصلية للمغول، والتي تشمل وديان انهار كيرولين واونن وارخون ومنطقة قراقورم، ولذلك كانت اراضيه الاميرية كالمركز الذي يحتل وسط الدائرة، وعليه فقد اصبح يعرف بلقب خاص لمن في هذه المرتبة وهو (وجكَين) التي تعني (سيد النار والمنزل). انظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ١، ص٣١-٣٢؛

Yūan-cháo Pi-shi, p.9.

سعد بن محمد الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص١٤٣.

(2) كان جوجي هو الاخ الاكبر لتولوي، كان يتولى الاشراف على شؤون الصيد وادارة القصور القاآنية، وجغتاي هو الاخ الثاني، وقد كلف بامور القضاء المغولي، واوكتاي هو الاخ الثالث، وقد عهد له الاشراف على الامور المالية. انظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي،جـ١، ص٣١-٣٣.

(3) (اويكه) كلمة مغولية تعني كبير و (الغ)كلمة تركية بالمعنى نفسه، والثانية اكثر شيوعاً في المصادر المغولية. ولفظ (نوين) كما ورد في حوليات اليوان شي الصينية لقب معناه امير او سيد او قائد، ويطلق ايضا على قادة العشرة الاف في الجيش المغولي. انظر:

Brtschnieder, op.cit. vol.1. p.p.233.

(4) الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ١، ص٣١؛ رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ١، ص٥٥٢، خواندمير ،تاريخ حبيب السير ،جـ٣، ص١٨. غير ان بويل (J.A.Boyle) يفترض دون دليل ان لقب الامير الكبير قد اعطى لتولوي عقب وفاته لتحاشي ذكر اسمه. انظر:

Mangol Princes, H.J.S.XIX, 1956, p.146-148.

(5) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ١، ص٥٥٢؛ المستوفي، القزويني، تاريخ كزيدة، ص٥٨٧.

(6) جامع التواريخ، جـ١، ص٥٥٢.



وعلى الرغم من ما عرف عنه من عطف ودعة مع عائلته، فان اب هولاكو كان في الحروب شرساً جداً لا يقل جرأة عن ابيه في القتل وسفك الدماء، ومخادعاً لا يتردد البتة في نكث عهوده والغدر باعدائه،واعماله التي قام بها ضد الدولة الخوارزمية تبرهن على ذلك[1]. وقد ورث هولاكو عن ابيه معظم تلك الصفات على نحو ما سنرى لاحقاً .

واما من جهة الام نعلم بان هولاكو ينتسب الى سيورقوقيتي بيكي، ابنة جاكمبو اخي اونك ملك الكرايت[2]، احدى القبائل المغولية المتنفذة[3]، وكانت احب نساء تولوي، وام ابنائه المعتمدين الاربعة، وكان زواجه بها قد تم بناءاً على رغبة جنكيزخان في تحقيق مصاهرة سياسية مع ملك الكرايت[4]. وقد وصفت سيورقوقيتي بيكي بالعقل والعفة والكفاية[5]، ونالت مكانة مرموقة بين افراد الاسرة

---

(١) كان تولوي موافقاً لابيه جنكيزخان في معظم المعارك التي خاضها ضد الدولة الخوارزمية، ثم ترك له ابوه قيادة جيشاً مغوليا بلغ تعداده سبعين الفاً لاستكمال احتلال اقاليم خراسان، ولما تقدم لمرو تبين لحاميتها انه لا طاقة لهم بمقاومة المغول، فطلبوا الاستسلام على ان يؤمنهم على حياتهم، فخدعهم تولوي بتظاهره قبول طلبهم، غير انه سرعان ما نكث بوعده، وقتل جميع السكان ما عدا اربعمائة شخص من ارباب الحرف. وتنقل لنا المصادر روايات مفادها ان تولوي لما تحقق له احتلال مدينة نيسابور،لم يكتف بقتل جميع السكان، وانما امر ان تقطع رؤوس القتلى لكي لا ينجو مخلوق بادعائه الموت وارتمائه بين اشلاء القتلى. للتفصيل أنظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي،جـ١،ص١٤٠؛ عز الدين محمد بن محمد بن الاثير (ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م)، الكامل في التاريخ (القاهرة: المكتبة التجارية، ١٣٤٨هـ/١٩٥٨م)، جـ٩، ص١٨٠-٢١٠؛ محمدبن على النسوي (ت٦٣٩هـ/١٢٤٢م)، سيرة السلطان جلال الدين منكوبرتي، تحقيق حافظ حمدي (القاهرة: مطبعة الارشاد،١٩٥٣)، ص١٨٠.

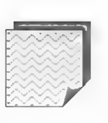
(٢) الكرايت: قوم من المغول يسكنون الواحات الشرقية بين صحراء غوبي وجنوب بحيرة بايكال حسبما يذكر رشيد الدين (جامع التواريخ،جـ١،ص٦٢). بينما يرى غروسيه (Grousset) بانه لا يعرف على وجه الدقة فيما اذا كان قوم الكرايت من المغول او الاتراك، ولكن اكثر رؤسائهم كانوا من الاتراك (Lémpire des Steppes,p.245) ويدين هؤلاء القوم بالمسيحية منذ اعتناق ملكهم هذا الدين في سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م. انظر:

Igor, DeRachewilts, Papal Envoys to the Greatkhan (London,1971),p.33; C.C.Walker, Jenghizkhan (London,1939),p.34.

(٣) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ١،ص٥٥٢.

(٤) قبل ان يتحول الى عدوه اللدود فيما بعد، ثم دارت بينهما حرب طاحنة اسفرت عن انتصار جنكيزخان وقتل خصمه وذلك في سنة ٥٩٨هـ/١٢٠٢م.انظر: رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ١،ص٢٤٤.

(٥) المصدر نفسه،جـ١،ص٥٦٠.



الحاكمة، حتى بعد وفاة زوجها. ولما اصبح معظم الامراء والجيش الذي تبقى من جنكيزخان وتولوي عائدين لاسرتها[١]، فقد وجهتهم بالطريقة التي تخدم هولاكو واخوته في عملهم السياسي والعسكري، حيث كان هؤلاء الامراء لا يتعدون اوامرها قيد شعرة[٢].

وبما ان سيورقوقيتي كانت تدين بالنصرانية، كما هو حال قومها الكرايت، فقد ادى ذلك دون شك الى ميل ابنها هولاكو نحو النصرانية، وتقريبه لاتباعها على حساب المسلمين، بالرغم من انه ظل وثني المعتقد على ما كان عليه اجداده المغول. وقد انجبت سيورقوقيتي فضلاً عن هولاكو ثلاثة ابناء ذكوراً وبنتاً واحدة[٣]،اثنان منهم يكبرانه، وهما منكَو، الذي تولى منصب القاآنية[٤] للسنوات ٦٤٨-٦٥٨هـ/١٢٥٠-١٢٦٠م[٥]، وقوبيلاي الذي تولى بدوره زعامة الامبراطورية المغولية بعد اخيه منكوقاآن حتى عام ٦٩٣هـ/١٢٩٤م[٦].

---

(١) وفقاً لرواية رشيد الدين ان سيورقوقيتي وابنائها آلت اليهم لوحدهم رئاسة (١٠١/٠٠٠) من مجموع الجيش المغولي النظامي المستقر في منغوليا والذي كان يبلغ عدده (١٢٩/٠٠٠). (المصدر نفسه،جـ١،ص٥٦٠).

(٢) اضافة الى ذلك ان اوكتاي قاآن اخي زوجها كان يلبي جميع رغباتها ولا يتردد عن استشارتها في ادارة شؤون الدولة واعداد الجيوش. (المصدر نفسه،جـ١،ص٥٦٠-٥٦١.

(٣) المصدر نفسه،جـ١،ص٥٦٢.

(٤) القاآن: ويذكر احيانا في المصادر العربية بـ (الخاقان)، وهي كلمة مغولية تعني الملك العظيم، وتطلق على رئيس الاسرة الحاكمة المغولية الذي كان يتخذ من قراقورم مقراً لحكمه، انظر: حسن الباشا، الالقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والاثار (القاهرة:مكتبة النهضة المصرية،١٩٥٧)،ص٢٧٢؛ محمد التونجي،المعجم الذهبي (بيروت:دار الملايين،١٩٦٩)، ص٣٥.

(٥) الجوزجاني،طبقات ناصري،جـ٢، ص١٧٨؛ الجويني، تاريخ جهانكشاي،جـ٣،ص١٧؛ميرخواند،تاريخ روضة الصفا،جـ٥،ص١٧٦.

(٦) وهو مؤسس اسرة اليوان الصينية التي استمرت في الحكم الى سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٣م.انظر:المستوفي القزويني،تاريخ كَزيده،ص٥٨٨؛خواندمير،تاريخ حبيب السير،جـ٣،ص٦١.

والاخ الاصغر هواريق بوقا الذي ورث (يورت)[١] ابيه في قراقورم[٢].

وكان لهولاكو ستة اخوة اخرين من نساء ابيه تولوي، وهم جوريكه، قوتوقتو، بوجك، موكه، سونتاي اوغول وسبوكتاي[٣].

اسمه وولادته

ان اهم ما يلاحظ على الاسماء المغولية اختلاف كتابتها ولفظها بشكل كبير حسب اختلاف المصادر، فمؤسس الدولة الايلخانية[٤] يرد في المصادر العربية والاسلامية بالفاظ عديدة مثل هلاوون[٥]، هلاون[٦]، هولاو[٧]،هلاؤ[٨]،

---

(١) اعتبر المغول كغيرهم من الشعوب البدوية ان ما يجري امتلاكه من الاراضي المفتوحة ليس ملكا للحاكم فقط، بل للاسرة الحاكمة كلها، وان لكل فرد من افراد الاسرة الذكور ان يختص بعدد من القبائل (الوس) وان يكون له موطن يسمى بالمغولية (يورت) يشمل مساحة من الاراضي تكفي وارداتها للانفاق على بلاط الامير المغولي.انظر: فؤاد عبد المعطي الصياد، المغول في التاريخ (بيروت: دار النهضة،١٩٨٠)، ص١٦٤.

(٢) قراقورم: تعني باللغة التركية (الرمل الاسود) وهي عاصمة الامبراطورية المغولية الكبرى، وقد امر ببنائها جنكيزخان على نهر ارخون، وتم الانتهاء منها في عهد خلفه اوكتاي. انظر: عماد الدين اسماعيل ابو الفداء (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)، تقويم البلدان (باريس،١٨٤٠م)،ص٥٠٥؛ احمد بن علي القلقشندي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الاعشى في صناعة الانشا، ط١(بيروت:دار الكتب العلمية، ١٩٨٧)، جـ٤،ص٤٧٨.

(٣) رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ١،ص٥٥٢-٥٥٥.

(٤) الايلخان: معناه سيد القبيلة، او الخان التابع للقاآن الاعظم الذي يحكم الامبراطورية المغولية باسرها. أنظر: B.Spuler,Ilkhans, El.1.vol.3.pp.1212-2; محمد التونجي، المعجم الذهبي، ص٢٣٨.

(٥) الدواداري، كنز الدرر،جـ٨، ص٣٤؛ ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن بطوطة (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، رحلة ابن بطوطة (بيروت: دار صادر، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)، ص٣٩٨.

(٦) بدر الدين محمود العيني (ت٨٥٥هـ/١٤٥١م)، عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان، تحقيق محمد محمد امين (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ص١٦٧

(٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ٧، ص٢٢١.

(٨) الجوزجاني، طبقات ناصري،جـ٢، ص١٩٠.



هلاكو[١]، غير ان اغلب المصادر تشير له بتسمية هولاَكو[٢] وهولاكو[٣] والاسم الاخير هو الاكثر شيوعاً .

اما تسميته في المصادر الاخرى فلا تقل اختلافا عما عليه الحال في المصادر العربية والاسلامية، فهو يرد في المصادر اليونانية بلفظ اولاون[٤]، وهو تحريف لهلاوون. وبالنسبة للمؤرخين الارمن فهو هولاف وهولاو[٥] وهولايون[٦] عموماً، بينما يسميه المؤرخ هيتون بـ (هاولو) و (هاولنس)[٧].

ويرد في المصادر الجورجية باسم اولاو[٨]، وهي التسمية نفسها التي ذكرها الرحالة ماركو بولو (ت٧٣٥هـ/١٣٣٤م)[٩].

اما المصادر الصينية التي دونت تاريخ المغول مثل حوليات (اليوان شي) و (السي شي كي) فان الاسم يرد بلفظ هولاي وو[١٠]. اما معنى الاسم باللغة المغولية حسبما يذكر هوارث (Howorth) المختص بالدراسات المغولية فيعني ببساطة (اللص)[١١]. ولا نعلم الخلفية التي تقف وراء هذه التسمية، مع ان هذه الوصف له دلالته الواضحة عند تقدير الصفات الشريرة في شخصيته[١٢].

---

(١) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، جـ٥، ص٢٢٨؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير،جـ٣، ص٩٧؛ ابي العباس احمد بن يوسف بن احمد القرماني (ت١٠١٩هـ/١٦١٠م)، اخبار الدول واثار الاول (بيروت:عالم الكتب، ١٣٨٢هـ/١٩٧٨م)، ص٢٨٧.

(٢) ابو بكر القطبي الاهري، تاريخ شيخ اويس، باهتمام فون لون (لاهاي،١٣٧٣هـ)، ص١٨.

(٣) الجويني، تاريخ جهانكشاي،جـ٣،ص٨٩؛ رشيد الدين،جامع التواريخ،جـ٢،ص٦٧٧؛شمس الدين محمد بن احمد الذهبي، سير اعلام النبلاء، تحقيق ابو عبدالله عبد السلام (بيروت:دار الفكر،١٩٨٦)،جـ١٧،ص٥٩؛ عباس قمي، تتمة المنتهى في وقائع ايام الخلف (طهران: ١٣٣٣هـ . ش)، ص٣٩٨.

(4) Howorth,op.cit.,vol.3, p.151.

(5) Ibid, p.151.

(6) Avedis.K.Sanjian, Colophons of Armenian Manuscripts, A source from Middle Eastern History (Harvard, 1969),p.52.

(7) Hayton, La Flordes Histoire dòrient des croisades, Documents Arméniens, vol.2, p.170.

(8) Howorth,op.cit.vol.3.p.151.

(9) John Masefield,The travels of Marco Polo (London,1958),p.44.

(10) Bretschnieder, op.cit., vol.1, pp.121-122.

(11) Howorth,op.cit., vol.3, p.152.

(١٢) ويستبعد ما ذكره عباس العزاوي(تاريخ العراق بين احتلالين،جـ١،ص٢٤٩) من ان اصل كلمة هولاكو تحريف للفظة قولاخو التي تعني (الفرس الاحمر والابيض)بلغة الجغتاي وصارت علماً عليه، لان هذا القول يفترض ان الاسم كنية له، ولا يوجد في المصادر الاخرى ما يؤيد ذلك.



اما ولادته فلا يمكن تحديد تاريخ دقيق بشأنها لاختلاف المصادر حولها، على الرغم من أن جميع المصادر المعروفة لنا تحصر الامر بين سنتي ٦١٢ و ٦١٣هـ/ ١٢١٥[١]، ١٢١٦م[٢]. ويبدو في ضوء الاشارات الاولى لشخصيته ان سنة ٦١٣هـ/١٢١٦م هي الراجحة اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار المعلومات التي يوردها كل من الجويني وكاتب سيرته هوارث (Howorth) بهذا الصدد والتي تقول ان هولاكو في شتاء سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م كان يناهز التاسعة من عمره[٣]. ويعزز هذه الملاحظة ما ذكره رشيد الدين من ان هولاكو كان قد توفي في التاسع عشر من ربيع الاخر من سنة ٦٦٣هـ/٨ شباط ١٢٦٥ عندما ((كان عمره ثمان واربعين سنة شمسية تامة))[٤] مما يرجح ان ولادته في احسن الاحوال كانت في اواخر عام ٦١٣هـ/١٢١٦م. ومصادر سيرته لا تورد معلومات عن مكان ولادته، سوى ما يفهم من نصوص الجويني، مؤرخ المغول الكبير، انه نشأ في منطقة قراقورم عاصمة المغول[٥]، لكون هذه المدينة موطن ومقر ابيه تولوي حسبما تقره ياسا[٦] جنكيزخان التي تأخذ بمبدأ (اليورت)، وهذا ما يرجح ان تكون هذه المدينة هي المكان الذي ولد فيه ابنه الشهير هولاكو.

نشأته وحياته في منغوليا

(1) Howorth,op.cit.,vol.3, p.90.
(2) Barthod,Hulaco,EI.1.vol.3.p.569.

(٣) تاريخ جهانكشاي،جـ٢، ص١٧١؛

Howorth,op.cit.vol.3.p.132.

(٤) جامع التواريخ،جـ٢، ص٧٣٦.

(٥) تاريخ جهانكشاي،جـ١، ص١٩٠،

(٦) الياسا: كلمة مغولية-تركية تعني حكم او قاعدة او قانون، وتذكر في المصادر الاسلامية بالفاظ مختلفة (ياسة، يساق، ياساق، يسق)واحياناً ترخم فتذكر الياصا او الياصاي، وهي مجموعة الاحكام التي اقرها جنكيزخان في سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٦م وقد استنبط الجزء الاكبر منهما من عادات وتقاليد المغول، واضاف عليهما احكاماً مستحدثة وجعلها دستوراً ينظم حياة القبائل المغولية. وقد دونت هذه الاحكام بالخط الاويغوري. وللتفصيل عن احكام الياسا انظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي،جـ١، ص١٦-٢٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ٦،ص٢٨٦؛

Leode Hartog, Genghiskhan Conqueror of the World (London,1989),pp.35-41,A.N. Poliak, the influence of Chingiz-khanś Yasa upon the general organiztion, Bulltin School of Oriental Studies(London,1939-42),vol.10.pp.862-876.



ترتبط نشأة وحياة هولاكو في منغوليا بحقبة ما بعد النزاع الداخلي الذي تزعمته ادارات الاقاليم المغولية قبل توحيدها بزعامة جنكيزخان في سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٤م. وبالرغم من اننا لا نعرف الا النزر القليل عن هذه المدة المبكرة من حياة هولاكو، الا اننا نعرف من حيثيات الاحداث ان هولاكو شهد نتائج هذه الحقبة التي اقترنت بمد نفوذ البيت الجنكيزخاني الى الاقاليم المجاورة لمنغوليا، فقبل ثلاثة عشر عاماً من ولادته تحولت القبائل العديدة المتناحرة فيما بينها، والمغمورة في التاريخ الى امبراطورية قوية شاسعة المساحة والنفوذ[١]. وعند ولادة هولاكو في سنة ٦١٣هـ/١٢١٦م كانت الحروب والاستعدادات بشأنها لم تتوقف، لان اكبر الحكام جنكيزخان كان يرنو بابصاره نحو الغرب لتكملة اعماله الحربية، وبالتحديد السيطرة على الطريق التجاري الذي يربط الصين بايران والذي كان يقع تحت سيطرة الدولة الخوارزمية اكبر الدول الاسلامية انذاك في المشرق.

---

(١) من المعروف ان تاريخ المغول السياسي يبدأ بظهور جنكيزخان جد هولاكو الذي كان اسمه اول الامر تيموجين وتعني (الحداد)، وكان ابوه يسوكاي بهادريرتان زعيماً لقبيلة قيات المغولية، وامه (اولون اويكه)، وقد توفى والده عندما كان صبياً لا يتجاوز الثالثة عشرة من عمره، ولما كان اكبر اخوته كان لزاماً عليه في هذه السن ان يتولى امر اسرته وقيادة قبيلته، غير ان اتباعه اعلنوا تمردهم عليه ورفضهم لزعامته. الا انه بفضل اصراره وموهبته وطموحه الواسع، والدعم الذي حصل عليه من بعض اصدقاء ابيه، استطاع تجاوز المصاعب والمحن، فما ان بلغ سن السابعة عشرة من عمره حتى استطاع من استمالة قسماً من ابناء قبيلته الى جانبه، واجبر القسم الاخر على الخضوع له، وبذلك تولى زعامة قبيلته. وقد ادى نجاح جنكيزخان هذا الى جعله اكثر تصميماً على اخضاع القبائل المجاورة، فهاجم قبيلة. التانجوت، التي طالما لقي الذل والهوان من زعيمها، وتمكن من التغلب عليها. ومن ثم توسع غرب جبال الالتاي على حساب القبائل التركية مبتدءاً بالكرايت، والنايمان، ثم انتصر على القرغيز في سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣م. وكانت حصيلة هذه الانتصارات قيام امبراطورية المغول في السنة نفسها. غير ان القوريلتاي لم يمنح (يتموجين) لقب (قاآن) الا في سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٦م،ولقب بجنكيزخان. وبذلك تعد هذه السنة التاريخ الرسمي لحكم جنكيزخان للشعوب المغولية.انظر: الجويني،تاريخ جهانكشاي،جـ١، ص٦٠-١٨٠؛ رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ١،ص٢٠٠؛ و. بارتولد، جنكيزخان دائرة المعارف الاسلامية، تحرير هوتسما واخرون، ترجمة احمد الشناوي واخرون (بلام.بلات)، جـ٧، ص١٢٦؛حافظ احمد حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول (القاهرة: دار الفكر العربي،١٩٤٩)، ص١٠٨-١١٥،

Harold,Lamb, Genghis-khan, Emperor of All Men (London,194)



ودون شك ان مثل هذه الاوضاع تركت اثرها على نشأة وحياة هولاكو، لكونه حفيد جنكيزخان، واحد افراد الاسرة التي استأثرت بالسلطان والحكم، فما كاد هولاكو ان يتم الثالثة من عمره، حتى باشر جده جنكيزخان الحرب على الدولة الخوارزمية في سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م في حملة ضروس استمرت ما يقارب ست سنوات، اصطحب معه خلالها ابناءه الاربعة، بما فيهم تولوي والد هولاكو[١]. وقد انطوت هذه الحملة على نقطة مهمة تخص هولاكو شخصياً، فقد قضى هو واخوته هذه السنين الستة من الحرب بعيداً عن ابيهم الذي ترك امر رعايتهم والعناية بهم الى امهم سيورقوقيتي التي اخذت على عاتقها تربية وتوجيه ابنائها بالشكل المغولي اللائق في موطن ابيهم (اليورت)، في المنطقة التي تشمل وديان انهار اونن واورخن وكيرولين من نواحي قراقورم التي تقع الى الشمال من صحراء غوبي[٢].

وعندما جاءت الحملة على الدولة الخوارزمية والسند الى نهايتها في سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م وعودة جنكيزخان واولاده الى موطنهم تهيأ لهولاكو ان يحظى بعناية والده مجدداً، ووفرت له ايضاً فرصة التعرف على جده عن قرب، الذي طالما سمع عن اخباره وانتصاراته، وقد تحقق له ذلك في شتاء تلك السنة، فقد ذكرت احدى الروايات عند الجويني، انه بينما كان هولاكو في عامه التاسع واخيه قوبيلاي (احدى عشرة سنة) مشغولان في الصيد على ضفاف نهر ايميل[١]، تصادف وجودهما مع وجود جدهما الذي كان يصطاد ايضاً في المنطقة نفسها،

---

(١) عن حملة جنكيزخان على الدولة الخوارزمية انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ،جـ٩، ص١٨٠؛ النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي،ص٨٠-١٨٥؛ الجويني ،تاريخ جهانكشاي،جـ١، ص٨٠-١٤٠؛ حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول،ص٩٣-١٣٦؛ نافع توفيق العبود، الدولة الخوارزمية، نشأتها. علاقاتها مع الدول الاسلامية. نظمها العسكرية والادارية (٤٩٠-٦٢٨هـ/١٠٩٧-١٢٣١م)، (بغداد: مطبعة الجامعة، ١٩٧٨)، ص١٠٥؛

R.FOX, Genghiskhan (London,1936),p.241;Walther Hissieg, A lost Civilization, The Mongols Rediscovered (London,1966), pp.46-48.

(٢) رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ١،ص٥٥٩-٥٦١.وغوبي: لفظ مغولي معناه الصحراء المجدبة الخاوية. انظر: ارمينوس فامبري، تاريخ بخارى منذ اقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة احمد محمود الساداتي،ط٢(القاهرة: مكتبة نهضة الشرق،١٩٨٧)،ص١٦١؛ القزاز، الحياة السياسية، ص٤.

(١) ايميل: اسم لنهر ولمدينة تقع عليه حملت نفس الاسم في ايام الامبراطورية المغولية، ويقع حاليا على الحدود بين روسيا والصين.انظر: Bretschnieder, op.cit., vol.1, p.125

وكان قوبيلاي قد اصطاد ارنباً بريلاً، بينما تمكن هولاكو من اصطياد ظبياً، وتقول الرواية ان الاثنين عرضا صيدهما على جدهما من اجل ان يسحب لهما دماً من اصبعهما الاوسط ويخلطهما بلحم وسمن الصيد المقتول، على عادة المغول، لكي يكونوا صيادين محظوظين في المستقبل، فما كان من هولاكو، بعد اتمام جنكيزخان للمراسم، الا ان شد بحركة ماكرة قوية على ايدي جده ليظهر له قوته، بحيث جعل جده جنكيزخان ينتبه الى قدرات حفيده الجسمانية والطبيعية، ويطري عليه القول امام الحاضرين بالقول: ((شاهدوا كيف تتغلب ذريتي على قوة يدي))[٢]. ومع ذلك فان من المؤكد ان هولاكو لم يكن يعرف عن جده كثيرا خلال تلك السن المبكرة من عمره. غير ان مناسبة وفاته بعد سنتين من ذلك التاريخ في رمضان سنة ٦٢٤هـ/آب ١٢٢٧م[٣]؛ كانت دون شك حدثاً مهماً لهولاكو خلال سنوات عهد صباه، وسبب هذه الاهمية يعود الى ان اباه تولوي، الابن الاصغر لجنكيزخان كان قد تولى منصب لقاآنية مؤقتاً لما يقرب من سنتين حتى وقت تمكن القوريلتاي[٤] من اختيار القاآن الجديد[٤].

---

(٢) تاريخ جهانكشاي، جـ١، ص١٥٢.

(٣) ويصادف ذلك عام الجرذ حسب تقويم الحيوانات الاثني عشر الصيني المعمول به في منغوليا والصين. (رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ١، ص٣٨٦).

(٤) القوريلتاي او القوريلثاي: هو الاسم المغولي لمجلس الامراء المغول الكبار، الذي ينعقد في العاصمة قراقورم، وتقام فيه مراسيم تقليدية عند تنصيب القاآن الاعظم، كما تدرس فيه جميع القضايا التي لايستطيع القاآن ان يفصل فيها لوحده، مثل مناقشة السياسة العامة للدولة، وفي حالة تعبئة الجيوش والاستعداد للحرب. انظر: كاترمير، مقدمة كتاب جامع التواريخ، ترجمة محمد صادق نشأت وآخرون (القاهرة: مطبعة وزارة الثقافة والارشاد، ١٩٦٠)، جـ٢، ق٢، ص٣٤ (الحاشية)؛
J.J. Saunders, The History of the Mangol Conquests (London, 1971), p. XI.

(٤) لكونه الابن الاصغر يعتبر حارساً للاسرة ويقوم مقام الاب. انظر: رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ١، ص٤٠٢؛
James Chambers, The Devils of Horsemen, The Mangol Invasion of Europe (London, 1979), p.46.

لكن هولاكو لم يسعد طويلاً بالعيش مع والده، اذ توفى الاخير في سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م[١]. ومن حسن حظ هولاكو واخوته انه كانت لهم ام بغاية العقل والحكمة حسبما تقول المصادر الايلخانية، والتي عوضت عن الاب الراحل في تربيتهم بالشكل الذي ينسجم مع تعاليم الياسا، لانها كانت تطمح ان يتبوأ ابنائها بشخص هولاكو وغيره المراكز المرموقة في زعامة الامبراطورية المغولية[٢]، لكونهم يعدون وارثوا الجزء الاعظم من املاك جدهم وابيهم[٣]. وفي سبيل تحقيق هذا الهدف قامت بإعدادهم اعداداً خاصاً، حيث اقدمت على تعليم اولادها القراءة والكتابة، وهو امر لم يكن متاحاً لا لابيهم تولوي ولا لجدهم جنكيزخان[٤]، واوكلت مهمة تعليم هولاكو الى احد المعلمين النساطرة[٥].

---

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ١، ص٥٥٩.

(٢) وفي هذا الشأن يروي رشيد الدين ان سيورقوقيتي في عملها هذا كانت تسعى لان تكون على غرار (اولون ايكه) ام جنكيزخان التي رعت ابنها عندما اصبح طفلاً يتيماً بدون اب وحافظت عليه الى ان اصبح مستقلاً ومستعداً للقيام بالاعمال الكبيرة والمهمة، حتى ارتقى عرش المغول، الا انها كانت افضل منها في ثباتها وعدم زواجها، وكرست حياتها لتربية اولادها فقط، فعندما طلب اوكتاي قاآن بعد وفاة اخيه ان يزوجها من ابنه كيوك، اعتذرت له بحجة ((تربية هؤلاء الاولاد حتى اصل بهم الى مرحلة الرجولة والاستقلال واجتهد في تهذيبهم حتى لايفارق بعضهم بعضاً، ولاينفر احدهم من الآخر، فلربما يترتب على وفاقهم عمل كبير)). (جامع التواريخ، جـ١، ص٥٦١).

(٣) المصدر نفسه، جـ١، ص٥٦٠.

(٤) المصدر نفسه، جـ١، ص٥٦٠؛
M. Prawdin, The Mangol Empire, Its Rise and Legacy (London, 1953), p. 288.

(٥) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ١، ص٥٦٢؛
Prawdin, op. cit., p. 288.
ولم تشر المصادر فيما اذا كان هؤلاء المعلمون قد قاموا بتلقينه مبادئ الديانة المسيحية كما هو مألوف، ام ان تعليمهم له اقتصر على معرفة القراءة والكتابة.



ويبدو ان هولاكو طوى مرحلة الحداثة عندما تأهل للزواج للمرة الاولى في سنة ٦٣١هـ/١٢٣٣م، مع انه ليست بايدينا معلومات دقيقة عن تحديد هذا التاريخ[١].

واعقبت ذلك مرحلة من حياته امتدت لست سنوات من عقده الثالث لم تلق المصادر عليها من ضوء ما نستطيع من خلاله التعرف على سيرته لهذه السنوات، غير انه لم تكن ثمة دلائل تشير الى انه قام فيها بدور مهم سواء في الجانب السياسي ام العسكري، وربما اكتفى في هذه المدة بمشاركة اخوانه الاشراف على املاك عائلته، وممارسة هواية الصيد المحببة اليه، في ربوع المنطقة المحصورة بين قراقورم وبحيرة بايكال، التي أكسبته بلا شك حداً أقصى من الشجاعة والمهارة الحربية.

ولما بلغ هولاكو سن السادسة والعشرين شهد عرش الامبراطورية المغولية ازمته الكبيرة الاولى عقب وفاة عمه اوكتاي قاآن في سنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م[٢]، وحال النزاع الذي نشأ بين الامراء المغول لمدة اربع سنوات قادمة ان تظل السدة القآنية شاغرة حتى وقت انتخاب كيوك بن اوكتاي، ابن عم هولاكو، لزعامة الامبراطورية المغولية مثلت فيه اسرة هولاكو وباتو بن جوجي زعيم القبيلة الذهبية (آلتون اوردو) في القبجاق[٣]

---

(١) الا ان ماورد في المصادر من ان ابنه البكر اباقا من زوجته يسونجين خاتون الذي كان قد ولد في سنة ٦٣٢هـ/١٢٣٤م، وان ابنه الثاني جومقور من زوجته الاولى كويك خاتون قد ولد بعد اباقا بشهر واحد من نفس السنة يجعل من المرجح ان يكون زواجه قد تم في العام المذكور. انظر: رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٧٩–ص٦٨٠.

(٢) الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٢، ص١٥٨؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ١، ص٤٨٠.

(٣) القبجاق: وهي البلاد الواقعة بين نهر ارتش والسواحل الجنوبية الغربية لبحر قزوين، ويطلق عليها اسم القبيلة الذهبية نسبة الى خيم معسكراتها ذات اللون الاحمر الذهبي وغالب اهلها من الاتراك. ولما كان جوجي بن جنكيز خان قد توفي في حياة ابيه، فقرر جنكيز خان ان تكون هذه المناطق من نصيب حفيده باتوبن جوجي. انظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ١، ص١٤٣.

B. Spuler, Die Goldene Horde (Leipzig, 1943), p. 72-79.

الجناح المعارض لانتخاب كيوك للقآنية[١].

اما عن دور هولاكو في هذا النزاع الامبراطوري واهميته في تقرير مستقبله السياسي والعسكري، فليس هناك من شك انه كان مناسبة مهمة لهولاكو بان يقوم بدور فاعل في الحياة السياسية المغولية، على الرغم من ان المسعى في نتائجه المباشرة لم يكن موفقاً في هذه المرة، فقد دعت الاسرة، بما فيهم هولاكو الى ترشيح اخيه الاكبر منكَو الى منصب القآنية، مقابل منافسه كيوك في اجتماع القوريلتاي المنعقد في سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م[٢]. وقد اظهر هولاكو واسرته حكمة بالغة عندما اخفوا غضبهم على عدم نجاح مرشحهم، وفوز كيوك عوضاً عنه. ويرجع رشيد الدين عدم اعتراضهم على انتخاب كيوك قآناً اعظم للمغول الى رجحان عقل والدة هولاكو وبعد نظرها، فقد كانت ترى ان كيوك سوف لن يعمر طويلاً على العرش، لانه كان معتل الصحة[٣]، وفي مقابل ذلك حصول الاسرة على ثناء القآن الجديد، لتمسكهم بالياسا المنظمة لقواعد الحكم المغولي ورسومه من جهة، ولانهم امتنعوا عن القيام باي عمل طائش خلال المدة التي شهدت فراغ العرش المغولي من جهة اخرى[٤].

على العكس من ذلك حققت مساعي هولاكو نجاحاً كبيراً عندما تجددت ازمة الصراع بين امراء البيت المغولي بخصوص القآنية على اثر رحيل كيوك قآن في

---

(١) الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٢، ص١٥٧. فضلاً عن ذلك كان كوتان الابن الثاني لاوكتاي يرغب في تولي العرش بعد ابيه، بينما يرى فريقاً من الامراء ضرورة احترام وصية اوكتاي قآن في اختيار حفيده الطفل شيرامون بن كوجو بن اوكتاي. وقد ادى هذا الوضع الى ان يقوم اوتجكين اخ جنكيز خان بمحاولة انتزاع العرش لنفسه بالقوة. غير ان توراكينا خاتون زوجة القآن الراحل استطاعت ان تقنعه بالعدول عن ذلك وكسبته الى جانبها، كما استمالت الاقارب والامراء الاخرين بأنواع الهدايا والتحف، وبذلك استطاعت ان تقنع القوريلتاي بانتخاب كيوك على عرش المغول. انظر: رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ١، ص٤١٨-ص٤٢٢؛ فخر الدين ابو سليمان البناكتي (ت ٧٣٠هـ/١٣٢٩م)، تاريخ بناكتي، المعروف بـ (روضة الالباب في معرفة التواريخ والانساب)، تحقيق جعفر شعار (طهران، ١٣٤٨ هـ.ش)، ص٣٩٣.

(٢) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٤١٨.

(٣) المصدر نفسه، جـ١، ص٤٢٢.

(٤) كما شهد كيوك قآن بان سيورقوقيتي ربت ابنائها على اساس الامانة، لانه عندما قام بفحص املاك الاسرة الحاكمة، وجد مخالفات مالية خطيرة أرتكبها اغلب الامراء، باستثناء اسرة تولوي فانهم تصرفوا بشكل سليم. (المصدر نفسه، جـ١، ص٤٣١).



سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م[١]، ففي هذه الحادثة حصل تحول حقيقي في منزلتي هولاكو السياسية والعسكرية، وهو في سن الثالثة والثلاثين عندما ساهم في افشال مخطط ابناء عمومته من اسرتي اوكتاي وجغتاي في انتخاب شيرامون لمنصب القاآنية، عوضاً عن منكَوقاآن[٢]، مرشح اسرته الذي فاز بموافقة مجلس القوريلتاي.

وتمثلت اجراءات هولاكو واسرته بما يلي:

(١) العمل على عقد تحالف مع باتو بن جوجي زعيم القبيلة الذهبية في القبجاق في مواجهة الطرف المنافس[٣]، وكانت مشاركة هولاكو في الامر كونه احد افراد الاسرة الجنكيزخانية واحد قادة الجيش المغولي، واهمية هذا التحالف تكمن في ان باتو كان اكبر الامراءسناً وهيبة ويطلق عليه لقب ((صانع الملوك))، لما كان لموافقته على المرشح المتنافس من اهمية حاسمة في تنصيب القاآن[٤].

والمشاركة في اجتماع القوريلتاي الذي انعقد في القبجاق سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م[١] ثم في اجتماع القوريلتاي الذي انعقد مجدداً ذي الحجة من سنة ٦٤٨هـ/نيسان ١٢٥٠ في قراقورم[٢]، وتمخض عن تثبيت انتخاب منكَوقاآن الاخ الاكبر لهولاكو، لمنصب القاآنية الشاغرة[٣].

---

(١) انقسمت الاسرة الجنكيزخانية بفروعها الرئيسية الاربعة الى قسمين بصفة عامة، فمن ناحية نجد اسرتي جغتاي واوكتاي قد شكلا تحالفاً مناهضاً للطرف الاخر من اعضاء اسرتي جوجي وتولوي من ناحية اخرى. كان الجناح الاول يصر بان لايتولى العرش المغولي أي امير سوى اولئك الذين ينحدرون من اسرة اوكتاي قاآن. اما الجناح الثاني فيرى ان يتولى العرش المغولي شخص من نسل اصغر اولاد جنكيز خان، لكون هذه الاسرة هي صاحبة الحق الشرعي حسب ماتمليه تقاليد وعادات المغول. انظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٣، ص٣٥–ص٤٠؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ١، ص٣٨٠–ص٣٨١؛ محمد الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص١٦١.

(٢) كانت زوجة القاآن الراحل (آقول اقيمش)التي تولت الحكم مؤقتاً حتى يتم انتخاب القاآن الجديد، طبقاً لرسوم المغول وعاداتهم، ترغب في ان يتولى عرش المغول شيرامون ابن اخي زوجها، فساندت ابناء اسرتي جغتاي واوكتاي في مسعاهم. (رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ١، ص٥٧٥–ص٥٧٨).

(٣) كان باتو يشكر لسيورقوقيتي ام هولاكو فضلها قبل هذا الوقت عندما حذرته من نية كيوك قاآن الغدر به لعدم حضوره اجتماع القوريلتاي الذي انتخبه قاآناً. (الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٣، ص١٤).

(٤) الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٣، ص١٥؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٥٨٧–ص٥٩٣.

(١) رفض باتو دعوة ابناء اوكتاي وجغتاي للحضور الى قراقورم لعقد القوريلتاي وانتخاب القاآن الجديد، معللاً رفضه بانه مريض ولا يستطيع السفر، وقام بدلاً من ذلك بعقد الاجتماع في بلاده واسفر عن انتخاب منكو، الاخ الاكبر لهولاكو لمنصب القاآنية . ولكن ابناء الاسرتين الذين اصروا على ان ينعقد الاجتماع في



(٢) تأمين حماية المجتمعين في القوريلتاي المنعقد في قراقورم، والحفاظ على سلامة عملية الانتخاب حيث وضع احدى كتائب جيشه في حالة تأهب لمواجهة كل عمل طارئ، وضمان حماية اخيه منكَو من محاولات الفتك به، وخلفية هذه الاجراءات انه قد وصلت الى اسماعه انباء تشير الى ان الامير شيرامون واتباعه كانوا يعدون مؤامرة لاغتياله تحت ستار تهنئته[٤]. ولما كان هولاكو مستعداً للطوارئ، فقد كان لهم بالمرصاد، اذ انقض عليهم قبل وصولهم الى مكان التنصيب[٥].

(٣) واستكمالاً لاجراءاته الاحترازية تلك قام بمراقبة الحاضرين في اثناء مراسم التنصيب خشية ان يقوموا بالطعن في شرعية الانتخاب[٦].

وبدون شك فان انتصار الجناح الذي يمثله هولاكو في هذا الاجتماع كان نقطة تحول في تاريخه السياسي والعسكري، فقد قربته من شخص الامبراطور الجديد، ومن الماكنة الادارية والعسكرية المتنفذة في البلاد ، مما زاد من طموحاته الشخصية للمرحلة القادمة.

بيت هولاكو (زوجاته وابنائه)

اتخذ هولاكو لنفسه زوجات وسراري كثيرات، منهن المشهورات اللاتي وصلن اليه عن طريق ابيه بحكم الياسا، او اللاتي تزوجهن بنفسه[١]. ولم تثبت لنا المصادر تاريخ محدد لزواجه للمرة الاولى، سوى ان زوجته تلك كانت كويك

قراقورم، فقد امتنعوا عن الذهاب الى القبجاق، واكتفوا بارسال بعض المندوبين ليكونوا حاضرين بدلاً عنهم،ولم يعترفوا بشرعية القرارات التي اتخذها هذا الاجتماع. انظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٣، ص٢١؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، جـ٥، ص١٧٩.

(٢) عقد القوريلتاي مرة ثانية في قراقورم لتشكيك آل اوكتاي وجغتاي بشرعية الاجتماع السابق المنعقد في القبجاق. انظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٣، ص٥١-٥٣.

(٣) خواندمير، تاريخ حبيب السير، جـ٣، ص٥٧.

(٤) الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٣، ص٥٥.

(٥) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٨٢.

(٦) الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٣، ص٦٠؛ Howorth , op. cit., vol. 2, p. 128.

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٧٨.



خاتون من اصل ملوك اقوام الاويرات[٢]، وهي ابنة تورالجي كوركان، وامها ابنة جنكيزخان التي تسمى جيجكان، وقد تزوج هولاكو ايضاً اختها اولجاي خاتون ابنة تورالجي، ولكنها من ام اخرى[٣].

وزوجته الثالثة هي قوتوي خاتون من اصل ملوك اقوام القنقرات[٤]، تزوجها بعد وفاة زوجته كويك خاتون في منغوليا[٥]. اما زوجته الرابعة فهي سونجين خاتون من قوم سلدوس، احدى قبائل المغول، وهي كسابقاتها تم زواجه بها في منغوليا[٦]. ومع ان هولاكو يبدو وفي كل زيجاته المذكورة لم يخالف قومه في عدم تشجيع الزواج داخل القبيلة الواحدة[٧]، الا ان هذا لاينفي في ان يكون توفر دافع الرغبة بالمصاهرة بين امراء القبائل المتنفذة كان يقف وراء هذا العدد الكبير من الزوجات لضمان استمرار ولاء هؤلاء الامراء للاسرة الجنكيز خانية[١].

اما اهم زوجاته واشهرهن، والتي كان يفضلها على نسائه الاخريات فهي دوقز خاتون[٢]، ابنة ايقو، الابن الثاني لأونك خان ملك قوم الكرايت[٣]، وهي ابنة

---

(٢) الاويرات: وترد في المصادر بألفاظ مختلفة، اويراد، اورياد، العويراتية، وهي من القبائل التركية التي تسمت بالمغولية في وقت متأخر، وكانت مناطق سكناها الاصلية منابع نهر ينسي غربي منغوليا، وقد خضعت لحكم جنكيز خان في سنة ٦٠٥هـ/١٢٠٨م. انظر: المصدر نفسه، جـ١، ص٥٧، ص٧٦-ص٧٧؛ بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة احمد السيد سليمان (القاهرة: مطبعة الانجلو، ١٩٥٣)، ص١٥٢.

(٣) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٧٨.

(٤) القنقرات: وهي من الاقوام المغولية التي سكنت في الاجزاء الغربية من منغوليا. للتفصيل انظر: المصدر نفسه، جـ١، ص١٢٠-ص١٢٢.

(٥) المصدر نفسه، جـ٢، ص٦٧٩.

(٦) المصدر نفسه، جـ٢، ص٦٧٩.

(٧) لم تنقل لنا مصادر التاريخ المغولي اطلاقاً روايات عن حالات للزواج داخل القبيلة الواحدة. وتؤكد الحولية الصينية المسماة تشاوبي شي أي (التاريخ السري للمغول)، ان المقاتلين المغول يذهبون للحصول على زوجات لهم بين العشائر الاخرى، واحياناً يأخذ الرجل منهم زوجة لابنه من عشيرة امه. انظر:
Bretschnieder, op. cit., vol.1, p.115;
ف.ف. بارتولد، تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ص٥٦١.

(١) كان تقديم عروس لافراد من الاسرة الحاكمة المغولية من امتيازات قبائل معينة. انظر:
Bretschnieder, op. cit., vol.1, p.115.

(٢) وصفها ابن العبري: بأنها كانت عظيمة في رأيها وخبرتها. (تاريخ مختصر الدول، ص٢٨٥).

(٣) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٧٩.



لخاله، وكانت زوجة لأبيه، غير انه لم يكن قد دخل بها[٤]. ويكتنف زواج هولاكو منها الغموض، لان الابن الاكبر يرث عادة زوجات الاب المتوفى حسب مايقره العرف المغولي[٥]، بينما لاتورد لنا المصادر اية اشارة عن سبب تخلي اخوة هولاكو الاكبر منه سناً عن دوقز خاتون لصالحه، رغم كونه الابن الثالث المعتمد في تسلسل ابناء تولوي، وتكتفي هذه المصادر بالاشارة الى ان هولاكو لم يتخذها زوجة له الا بعد ان عبر نهر جيحون في سنة ٦٥٣هـ/١٢٥٥م في اثناء حملته على مشرق العالم الاسلامي[٦]. ورغم ان هولاكو تزوج بخمس نساء قبلها، الا ان اياً منهن لم تكن عنده بمنزلتها، حتى انه لم يتزوج بأمرأة اخرى بعدها[١]. وكان من مظاهر نفوذها انها كانت تجلس الى جانبه في البلاط، وتنقل لنا المصادر روايات تظهر لنا الاشخاص المحاسبين امام الايلخان لايحتاجوا سوى نظرة توسل اليها، حتى يستطيعوا الافلات من العقاب لكونها الوحيدة القادرة للتشفع لهم عند السلطان[٢]. ولما كانت مسيحية فقد كان لها اثر ظاهر في توجيه سياسة هولاكو نحو محاباة النصارى[٣].

---

(٤) المصدر نفسه، جـ٢، ص٦٧٩.

(٥) جرت العادة عند المغول، وبالاخص الامراء منهم، انه اذا مات احدهم، اصبحت زوجاته ميراثاً لابنه الاكبر، الذي يصبح له سلطة مطلقة عليهن، فيتزوج منهن من يشاء، باستثناء امه، ويسرح الاخريات، او يهبهن للاخرين، (المصدر نفسه، جـ٢، ص٦٧٨)؛
Chambers, The Devils of Horsemen, p.147.

(٦) هذا القول يزيد المسألة غموضاً لان تلك المصادر لم تلق الضوء بما نستطيع ان نتعرف به عن دور هذه السيدة طيلة الاثنين وعشرين عاماً التي اعقبت وفاة زوجها تولوي خان وحتى تاريخ زواج هولاكو منها، وفيما اذا كانت حرة بنفسها، او انها كانت تتبع سلطة احداً من ابناء تولوي. ومع غياب اجابة واضحة عن ذلك يبدو ان اكثر الافتراضات احتمالاً هو انه لما عرف عن هذه المرأة بما تمتلكه من شخصية قوية امتازت بالدهاء والقابلية السياسية، ولما كانت تتمتع به من منزلة ونفوذ كبيرين بين الامراء المغول، كان احد الاسباب التي جعلت منكو الابن الاكبر لتولوي يلحقها بسلطته دون ان يتزوج منها بخلاف ارادتها، او لعدم رغبته هو بذلك، وقد وهبها لاخيه هولاكو برضى منها قبيل تكليفه بحملته الكبرى، ولعل ما اجمعت عليه المصادر من ان منكو قاآن قد اوصى اخاه بأن يشاورها في جميع القضايا والشؤون مايحمل دلالة على ترجيح ذلك. انظر: رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٧٨.

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٧٨.

(٢) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧١٧.

(٣) المصدر نفسه، جـ٢، ص٦٧٨.



وبالاضافة الى زوجاته، فقد كان لهولاكو كثيراً من المحظيات اورد لنا رشيدالدين اسماء اثنتي عشرة منهن[٤].

وبلغ مجموع ابناءه من زوجاته ومحظياته اربعة عشر ولداً وسبع بنات[٥]، شارك كثير من الذكور منهم في حملة المغول الكبرى على البلاد الاسلامية. وابناءه هم أباقا، وقد خلفه في حكم الدولة الايلخانية، جومقور، يشموت، تمكاين، طرغاي، توسين، تكودار الذي اسلم وتسمى بـ (أحمد) وتولى حكم الدولة الايلخانية بعد اخيه أباقا، أجاي، قونقرتاي، ييسودار، منكوتيمور، هولاجو، سياوجي، أو (شيبادجي) وطغاتيمور. اما البنات فهن: بولقان آقا، حمي، منكوكان، توداكاج، طرقاي، قوتلقان، والبنت الاخيرة بابا[٦].

ديانته

يعرف عن حكام المغول عدم اهتمامهم بالدين كثيراً، رغم ان الشامانية[١] والبوذية كانتا من العقائد السائدة بينهم، ولابد ان يكون هولاكو شأنه شأن قومه في

(٤) المصدر نفسه، جـ٢، ص٦٧٩-ص٦٨٤.

(٥) المصدر نفسه، جـ٢، ص٦٧٩.

(٦) المصدر نفسه، جـ٢، ص٦٨٤.

(١) الشامانية: وهي من الديانات الوثنية التي كانت سائدة بين المغول في القرنين السادس والسابع الهجريين / الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، وكان تتمثل في عبادة مظاهر الطبيعة، ولاسيما الشمس، ولذلك يطلق على اتباعها احياناً بـ (المشمسة). انظر:
W. Heissig, The Religion of Mangolia (Los Angels, 1980), pp.6-22; E.D. Phillips, The Mangols (London, 1967), p.98.



اتباع هذه العقائد وشخصياتها، لكن لا يوجد شيء قاطع بهذا الشأن، تماماً مثلما لا يوجد شيء يدلل على صلته بالمسيحية والعقائد الايمانية الاخرى. فمع غياب المعلومات القاطعة عن عقيدته الدينية اثناء حياته في منغوليا، واقتصار المصادر في تسليط الضوء على هذا الجانب من خلال توظيف الاحداث المنظورة من سلوكه خلال اقامته في تبريز عاصمة ملكه، عبر روايات مختلفة تعكس وجهات نظر اصحابها، يبدو الامناص من ذكر هذه الروايات لتقرير الاقرب منها للترجيح.

فروايات المؤرخين الأوربيين على العموم تشير الى تبني فكرة ان هولاكو كان يميل الى النصرانية في معتقده الديني، وان ترويجهم لها يعود لاسباب متعلقة بالصراع الذي كان ما يزال مستمراً بين المسلمين والصليبيين آنذاك وقد أستندوا في آرائهم على بعض الوقائع التاريخية للتدليل على مدى صحة ما ذهبوا اليه، وفي مقدمة ذلك ما أجمعت عليه المصادر من ان هولاكو امر بأن لا يتعرض النصارى لسوء اثناء احتلاله لبغداد واستباحتها سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، لا وبل منحهم

الامتيازات على حساب المسلمين[1]، والشيء ذاته حصل عند أحتلاله لبلاد الشام[2]. ومن بين الذين تبنوا ذلك الرأي المؤرخ الجورجي قارتان، الذي عمل مستشاراً لدقوز خاتون زوجة هولاكو عندما أكد ان المغول من جيش هولاكو حملوا

(1) وذلك أستجابة لطلب زوجته المسيحية دوقز خاتون، وقد منح هولاكو جاثليق النصارى مكيخا حق الاستيلاء على دار علاء الدين الطبرسي، احد الاداريين الكبار في دولة الخلافة، والتي تقع على نهر دجلة، فسكنها ودق لقوساً في اعلاها، وعمر بيعة جديدة، واستولى على دار الفلك التي كانت رباطاً للنساء، وعلى الرباط البشري، المنسوب الى بشر الحافي (ت ٢٢٧هـ/٨٤١م) المجاور لها، وازال الكتابة المرقومة على البابين، وكتب عوضاً عنها باللغة السريانية. انظر: مجهول، الحوادث الجامعة، ص٣٣٣؛ عمرو بن متي، اخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل (روما، ١٨٩٦م)، ص١١٩؛ بطرس نصري الكلداني، ذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان (الموصل: مطبعة الدومنيكان، ١٩٠٥-١٩١٢)، جـ٢، ص٩؛ حسن الامين، الغزو المغولي (بيروت: دار المعارف، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، ص١٧١.

(2) ابو شامة، ذيل الروضتين، ص٢٠٨؛ المقريزي، السلوك، جـ١، ص٥١٤.

معهم في رحلتهم الطويلة نحو بلاد المسلمين خيمة على شكل كنيسة تقرع الاجراس[٣]. ويورد المؤرخ نفسه رواية اخرى يدعي انها حدثت له شخصياً خلاصتها ان هولاكو كان قد استدعاه في احدى المرات لبلاطه لحضور اجتماع كان قد دعا اليه أصدقائه المسيحيين،واثناء حضوره شاهد في الدركَاه هيثون ملك ارمينية الصغرى، وديفيد ملك جورجيا ولخرون، وذكر فارتان انه شخصياً تناول من هولاكو كأس الخمر ليباركه، ويضيف ان هولاكو سأله في ذلك الاجتماع عن المسيحية ومبادئها، واظهر محبته لها، وذكر للحاضرين بان امه كانت مسيحية، وطلب منه ان يدعو له بالخير[٤]، ولم يقف فارتان عند هذا الحد بل اضاف ان هولاكو في أثناء احتلاله لبلاد الشام ذهب الى القدس ودخل كنيسة القيامة وركع بخشوع[٥].

اما المؤرخ الارمني ملاكيا فقد تحدث بالمعنى نفسه ، وذكر ان هولاكو كان يحب المسيحيين اكثر من أي اتباع له من الطوائف الاخرى، ومع انه لم يلمح الى زيارة هولاكو المزعومة للقدس،الا انه جاء برواية منفردة لا نجد لها اساس في المصادر الاخرى، فحواها ان هولاكو ارسل مئتي رأس خنزير لكل مدينة من مدن الطاجك لجزرها والطلب من المسلمين هناك اكلها، وامر بقطع رأس كل من يرفض ذلك، سواء كان كبيراً ام صغيراً [١].

ولا شك ان هذه الكتابات جعلت مسيحيي اوربا يعتقدون بان هولاكو كان حقاً قد اعتنق ديانتهم،حتى ان البابا اسكندر الرابع ارسل الى هولاكوخان كتاباً مؤرخاً في سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م يقول فيه، انه علم من شخص هنغاري اسمه يوحنا، ان هولاكو اصبح على استعداد لاعتناق المسيحية،وهو في حاجة لمن يرشده الى شؤونها، ثم اخذ يجيب له ذلك، وبين له ما ينال من جزاء في الاخرة ان اعتنقها[٢].

---

(3) Howorth, op. cit., vol. 3, p. 207.
(4) Ibid., p.210.
(5) Ibid., p.211.

وهي رواية عارية عن الصحة تماماً ، لان جميع المصادر المغولية والشامية لا تشير بتاتاً الى ان هولاكو وطأت قدماه هذه المدينة.

(1) Howorth,op.cit.vol.3.p.210.
(2) Ibid,p.211.

من الواضح من استعراض هذه الروايات مع ما فيها من مبالغة انها لا تتعدى القول بان هولاكو كان يتعاطف مع المسيحية ليس الا،ولا توحي بانه اعتنقها ديناً له[٣]، وان كل ما قام به في هذا الخصوص كان بفعل عوامل مختلفة،في مقدمتها كون امه سيورقوقيتي، وزوجته المفضلة دوقزخاتون، كانتا مسيحيتان[٤]،كما ان كتبغا اهم قادة جيشه كان مسيحياً[٥]، فضلاً عن مجاملته لحلفائه من الارمن والجورجيين[٦].

اما المصادر العربية والاسلامية فلم تقف كثيراً عند مسألة الدين الذي كان يعتنقه،باستثناء ما ورد عند مؤرخي المغول الجويني ورشيد الدين من اشارات تؤكد بان هولاكو شيد من بين اعماله عدد من المعابد البوذية في خوي باذربيجان[١]، مما يعني انه كان يعتنق ذلك الدين ويروج لنشره، دون ان يصرحا بذلك مباشرة. في حين ان المصادر الاخرى لا تذكر اكثر من ان هولاكو كان كافراً لا يتقيد بدين معين[٢].

من ناحية اخرى تذهب الدراسات الحديثة التي تم الاطلاع عليها في ضوء الاشارات الواردة عند مؤرخي المغول، الى انه كان اكثر ميلاً للبوذية[٣]، فمثلاً يذكر مورغن (D.Morgan) ان هولاكو عندما انشأ مرصد مراغة على قمة احد الجبال، عثر في اسفل ذلك الجبل على سلسلة من الكهوف ربما انشأت كمعابد بوذية، ويضيف انه لو لم تكن مراسم دفن هولاكو قد جرت طبقاً لتقاليد المغول،

---

(٣) بدليل ان هذه الميل لم يمنع هولاكو من انزال اقسى العقوبات والقتل بنصارى تكريت لاخفائهم اموالاً طائلة لم يؤدوها للسلطة المغولية. انظر: ابن العبري، تاريخ الدول السرياني،ص١٣٤-١٣٥، خصباك، العراق في عهد المغول الايلخانيين، ص١٨٩، محمد مفيد آل ياسين، الحياة الفكرية في العراق في القرن السابع الهجري، اطروحة دكتوراه (جامعة بغداد،١٩٧٥)، ص١٤٣.

(٤) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول،ص٢٦٣.

(٥) رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ٢،ص٧٠٢؛ خصباك، العراق في عهد المغول الاليخانيين،ص٥٥.

(٦) مصطفى طه بدر، مغول ايران بين المسيحية والاسلام (القاهرة،بلا.ت)، ص١٧.

(١) تاريخ جهانكشاي،جـ٣، ص١٠٢،جامع التواريخ،جـ٢،ص٧٢٥. وخوي: بلدة مشهورة من اعمال اذريجان. انظر: شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، تحقيق عبد العزيز فريد الجندي (بيروت: دار الكتب العلمية،١٩٩٠)، جـ٢،ص١٢٣.

(٢) اليونيني،ذيل مرآة الزمان، جـ٢، ص٣٥٧؛ أبن تغري بردي،النجوم الزاهرة،جـ٧،ص٢٢٢.

(3) B.Spuler, The Muslims World, the Mongol Period (Leiden,1960); vol.2.p.26;chambers,the Devils of Horsemen, p.147.



لامكن الجزم تماماً بانه كان بوذي المعتقد[٤].غير ان بوساني (Bausani) المتخصص في العقائد الدينية عند الايلخانيين يحسم المسالة بتأكيده ان هولاكو كان بوذياً حقاً في ضوء ما توفرت لديه من ادلة، من بينها الاشارات العديدة التي وردت عند مؤرخي المغول، ووجود ذلك الحشد الكبير من رجال الدين البوذيين (الباكشي)[٥] الذين قدموا معه الى مشرق العالم الاسلامي[٦].

اما بعض الروايات التي اشارت الى ان هولاكو قد اعتنق الاسلام، مثلما ورد عند البيضاوي (ت٦٧٤هـ/١٢٧٥م)[٧] وابن الساعي (ت٦٧٤هـ/١٢٧٥م)[١] ونقلته عنهما بعض المصادر المتاخرة، فهي من الضعف الى الحد الذي لا يمكن الاخذ بها اطلاقاً[٢].

حياة هولاكو في المشرق الإسلامي

تنحصر حياة هولاكو في المشرق الاسلامي للمدة ما بين شروعه بقيادة الحملة على هذه البلاد في سنة ٦٥١هـ/١٢٥٣م، وحتى وفاته في سنة ٦٦٣

(4) Medieval Persia (1040-1797), (Singapore,1988),p.65.

وعن مراسم الدفن عند المغول انظر :ص ٥٦.

(٥) الباكشي او البخشي: يذكر بارتولد ان اصلها من اللغة السنسكريتية (بخشو) التي تطلق على الرهبان البوذيين (تركستان،ص٥٥٥). غير ان بوساني (Bausani) يرى انها لفظة تركية مشتقة من الكلمة الصينية (يوشب) التي تعني المعلم. (C.H.of Iran,vol.5.p.538).

(6) Ibid,p.538.

(٧) نظام التواريخ، بسعي واهتمام يهمن كريمي (طهران: مطبعة فرهو مند واقبال علمي،١٣١٣هـ.ش)، ص٢٠٤.

(١) (منسوب اليه) مختصر اخبار الخلفاء (القاهرة،المطبعة الاميرية، ١٣٠٩هـ)،ص١١٨.

(٢) احدى هذه الروايات تذكر ان بعض المتصوفة حضروا عند هولاكو، واظهروا الكرامات امامه،فدخلوا النار، وشربوا السموم والنحاس المذاب، ولم يصبهم شيئاً، فلما شاهد هولاكو ذلك رجع عن كفره واسلم. ورواية اخرى مفادها ان هولاكو لما عزم على الزواج من بنت ملك الكرج، رفضت حتى يسلم، فاستجاب لطلبها واسلم. انظر: محمد بن شاكر الكتبي (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، فوات الوفيات، تحقيق احسان عباس (بيروت: دار الثقافة،١٩٧٤)، جـ٢،ص٢٤٠؛ القرماني، اخبار الاول واثار الدول، ص٢٨٧؛م.م.الرمزي، من تلفيق الاخبار وتلقيح الاثار في قائع قزان وبلغار وملوك التتار،ط١ (اورنبورغ: المطبعة الكريمية والحسينية،١٩٠٨)،جـ١،ص٣٦١؛ عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين،جـ١،ص٢٥٠.



هـ/١٢٦٥م، فكانت فعاليات هولاكو خلالها عبارة عن خطوات عسكرية متلاحقة استهدفت تحقيق تطلعات المغول باستكمال احتلال ما تبقى من مشرق العالم الاسلامي،والسيطرة على الطريق الذي يربط الصين بالبحر المتوسط، بعد ان توقف التوسع المغولي عند حدود خراسان في الحملة المغولية الاولى. وفي هذه المدة القصيرة تمكن هولاكو من القضاء التام على طائفة الاسماعيلية[٣] في شمال ايران، واخضاع جميع اتابكيات وسط وجنوب ايران سلماً ، وكذلك في نيل فروض الطاعة من سلاجقة الروم في اسيا الصغرى. غير ان اوج فعاليات هولاكو العسكرية والسياسية تمثلت في القضاء على دولة الخلافة العباسية،وتصفية افراد البيت العباسي، الذي دام لاكثر من خمسة قرون. وفي وقت لاحق قام بتكرار ظاهرة الاجتياح هذه لسلطنة الايوبيين في بلاد الشام،ومحاولته الفاشلة لانتزاع مصر من حكامها المماليك.

ان اهم نتائج تلك الخطوات هو قيام نظام سياسي جديد في المشرق الاسلامي حل محل الخلافة العباسية في سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م تمثل بالدولة الايلخانية التي امتدت على مساحة واسعة على ما كان يعرف ببلدان الخلافة الشرقية تولى هولاكو قيادتها بنفسه،طبقاً للتقاليد المغولية التي تجعل الارض المفتوحة ملكاً لفاتحها يحكمها نيابة عن القآن المقيم في العاصمة المغولية قراقورم. وقد اتخذ من مراغة[١] بتبريز عاصمة اقليم اذربيجان عاصمة للدولة

---

(٣) سميت بالاسماعيلية لان اتباعها نادوا بامامة اسماعيل بن جعفر الصادق الابن الاكبر الذي توفى في اثناء حياة والده. ويطلق عليهم اعدائهم تسميات عديدة منها الباطنية والملاحدة، كما اطلقت عليهم تسمية الحشيشية والنزارية. ويعد الداعي حسن الصباح (ت٥١٨هـ/١١٢٥م) المؤسس الحقيقي لهذه الطائفة في ايران، حيث تمكن من السيطرة على كثير من قلاع قهستان ورودبار، واهمها قلعة الموت التي استولى عليها في سنة ٤٨٣هـ/١٠٩٠م واتخذها قاعدة لحكمه. انظر: ابو الفتح محمد بن عبد الكريم بن ابي احمد الشهرستاني (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م)، الملل والنحل (بيروت: دار المعرفة،١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)،ص١٦٧،ص١٩١، برنارد لويس، اصول الاسماعيلية، ترجمة خليل احمد جلو وجاسم محمد رجب (القاهرة:دار الكتاب، بلا.ت)،ص١٨٨؛

M.Hodgson,The Order of Assassins (Gravehage,1955),pp.135-136.

(١) مراغة: بلدة مشهورة في بلاد اذربيجان، وكانت تسمى افراز هروذ، فعسكر مروان بن محمد بن مروان بن الحكم فيها، وقد تمرغت في مراعيها خيل المسلمين فسميت مراغة.(ياقوت الحموي،معجم البلدان،جـ٥،ص٩٣).



الجديدة، وفيها اقام ادارة البلاد المركزية التي تنطلق منها التوجيهات لادارة الاطراف[٢].

ألقابه

تعددت الالقاب التي اتخذها هولاكو لنفسه، او تلك التي منحت له،واول هذه الالقاب هو (خان)[١] الذي اضيف الى اسمه، وارتبط به، ويعني الرئيس او الزعيم التابع لسيد الاسرة الاكبر (القآن). ومع ان المصادر لم تحدد لنا تاريخ تلقبه بهذا اللقب، الا انه كان على الارجح قد حصل بعد عودته من بغداد واستقراره في مراغة بتبريز التي اتخذها عاصمة لملكه في شعبان سنة ٦٥٦هـ/

---

(٢) ان تحليل اعمال هولاكو العسكرية والسياسية والادارية، فضلاً عن وقائع واحداث عهده سوف نتناولها حسب مواضعها في الفصول التالية. ونكتفي بان يكون هذا الفصل مخصصاً لدراسة الجوانب المتعلقة بسيرته الشخصية.

(١) الجويني، تاريخ جهانكشاي،جـ٣،ص٩٠، ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، جـ٥،ص٢٢١، خواندمير، تاريخ حبيب السير ،جـ٣،ص٩٧، القزاز، الحياة السياسية،ص١٢٨.ويتماشى لقب (خان) مع التقاليد المغولية والتركية، وقد اطلق على الامراء في قبائل الترك منذ القرن الاول والثاني الهجريين / السابع والثامن الميلاديين، ومعناه الرئيس، وقد اطلق هذا اللقب فيما بعد على الولاة من المغول الذين كانوا بتبعية ولو اسمية لسيد الاسرة الاعظم (القآن). انظر: حسن الباشا، الالقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والاثار،ص٢٧٤، محمد التونجي، المعجم الذهبي، ص٢٣٢.



تموز ١٢٥٨م[٢].ونرجح ان يكون هذا اللقب هو اقل مكانة من لقب (الايلخان)على خلاف ما هو شائع في المصادر التي تخلط بينهما وكانهما لفظين لمعنى واحد، فاللقب الاخير (الايلخان) الذي يعني (الخان) الكبير او الرئيس، لم يمنح لهولاكو حسب ما يرد من اشارات في المصادر الا في سنة ٦٦١هـ/١٢٦٣م، من قبل اخيه القاآن الاعظم قوبيلاي الذي استقر الوضع لصالحه بشكل تام بعد صراع مرير على العرش،ضد الاخ الاصغر اريق بوقا[٣]. ويبرهن على ذلك ان هذا اللقب اصبح علماً لهولاكو ولاسرته من بعده، على عكس الاسر الجنكيزخانية الاخرى التي حمل رؤسائها لقب (خان) لكن من غير ان يتسموا بالايلخانيين.

ويبدو كذلك ان هولاكو حمل القاباً مشابهه لالقاب القاآن زعيم الامبراطورية المغولية، فقد ورد انه استخدم لقب (شاهنشاه روي زمين) ويعني (سلطان العالم على الارض) عند مخاطبته للملك الناصر يوسف صاحب دمشق وحلب في سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٩[١]، كما يتضح مما حملته السكة التي عثر عليها من نقود هولاكو وجود اشارة الى لقب (مالك رقاب الامم)، وهو اللقب ذاته الذي وجد ايضاً ضمن مسكوكات اخيه منكَوقاآن[٢]. ويبدو ان هذا اللقب الاخير يشير الى القاآن الاعظم نفسه،وان وجوده على النقود التي سكت في الدولة الايلخانية كان لمجرد تأكيد تبعية هولاكو لسلطة أخيه، ولا يدل على مشاركته له في القابه، لان هولاكو بالرغم من تمتعه بكافة صلاحيات السلطان ومظاهر الاستقلال في

---

(٢) رشيد الدين،جامع التواريخ،جـ٢،ص٧١٥،القزاز ، الحياة السياسية،ص١٢٨.

(٣) وقداصدر له فرماناً يقضي باقراره ايلخاناً للبلاد الممتدة من ضفاف نهر جيجون حتى بلاد الشام، وارسل له قوة عسكرية من ثلاثين الف رجل. انظر :رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢،ص٧٣٣، Howorth,op.cit.vol.2.pp.112-113.vol.3.pp.199-208; Spuler, The Muslims World, vol.2.p.22.

(١) المقريزي، السلوك،جـ١،ص٥١٤؛ مهاب درويش لطفي، الالقاب على المسكوكات الايلخانية،م سومر (بغداد،١٩٦٥)،ع٢١،جـ١،ص١٦٠-١٦١؛ القزاز ،الحياة السياسية،ص١٢٨.

(٢) مهاب درويش لطفي،الالقاب على المسكوكات الايلخانية،ص١٦٠-١٦١.

البلاد التي حكمها،فانه ظل من الناحية الرسمية لا يزيد عن كونه نائباً عن القآن الاعظم المقيم في العاصمة الامبراطورية المغولية[٣].

أوصافه وصفاته

لم تنقل لنا المصادر وصفاً لهيئة هولاكو الجسمانية، سوى ما اورده ابن ايبك الدواداري على لسان احد الذين شاهدوه عن قرب، وهو الصارم ازبك مملوك الاشرف صاحب حمص قوله:((وصفته انه قصير القامة، ليس له عنق يظهر، ورأسه كدماغ البغل على كتفيه، وجفون عينيه على رؤوس خديه،كان وجهه ترس، النار تشتعل من عينيه))[٤]. ولا يظهر هذا الوصف هولاكو سوى بصورة وحش متربص، ولا بد ان الحالة النفسية للشاهد قد اثرت عليه، وللاسف فانه لا يعطينا صورة اقرب للواقع. الا ان التطلع لتصوير هولاكو المرسوم على طريقة الفن الصيني والموجود في بعض المخطوطات القريبة من عصره، يظهر فيه انه كان ذو ملامح مغولية خالصة، تمثلت بالوجه العريض المستدير، وانف افطس،وخدان بارزان، وعينان ضيقتان، حليق شعر الرأس، ولحية غير كثة شديدة السواد[١].

ويفهم من روايات الجويني انه كان في طفولته يمتاز ببنية سليمة وقوة بدنية كبيرة[٢]. وانه الف حياة الترف منذ نعومة اظفاره، ولم يكن يعاني شظف العيش، الذي كان عليه معظم اقرانه المغول، بسبب كونه احد امراء العائلة الحاكمة، الا ان طبيعة بيئته القاسية وعادات قومه المتسمة بالخشونة والعنف اكسبت شخصيته قوة وقسوة.

ولما بلغ مبلغ الرجال عرف عنه تمتعه بحيوية طبيعية تمثلت بشغفه بحب مجالس اللهو والسمر، فقد كان يسرف في المتعة الى حد كبير. وما ترويه لنا

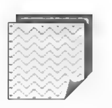
---

(٣) يؤكد ابو الفداء (ت٧٣٠هـ/١٣٩٢م) ذلك عندما يشير بان هولاكو لم يتمتع بسلطة مطلقة، بل هو حكم كنائب عن اخيه، ولم يضرب النقود باسمه، لكن الدنانير والدراهم كانت تضرب باسم منكو. انظر: المختصر في أخبار البشر (بيروت:دار المعرفة، بلا.ت)،جـ٤، ص٢٠٥.

(٤) كنز الدرر ،جـ٨،ص٥٣.

(١) مخطوطة كتاب جامع التواريخ.

(٢) تاريخ جهانكشاي،جـ١،ص١٥٢.



المصادر من تفاصيل عن الحفلات التي اقيمت له في وادي (كان كَل) قرب سمرقند، والتي استمرت اربعين يوماً اوضح دليل على ذلك[٣].ولم يكن يشذ عن قومه في افتتانه بشرب الخمر الى حد الثمالة[٤]، حتى انه اذا ما اراد تكريم احد الاشخاص فانه يقدم له الكأس بيده[٥]. ويبدو اثر الافراط في الشراب هو الذي جعله متقلب المزاج كثيراً .

غير ان ابرز نقاط ضعف شخصيته تتعلق بولعه الشديد بالنساء، فقد كان الاردو[٦] الخاص به يحفل بكثير منهن من اقوام مختلفة[٧].

وكان له شغف شديد برحلات الصيد، فيروي رشيد الدين ان هولاكو لما عبر نهر جيحون على رأس جيشه، قام بجولة عند شاطئه،بقصد التفرج والمشاهدة،وفجأة شاهد عدد من الاسود، فما كان من هولاكو، الاان امر فرسانه بان يضربوا حلقة حول هذه الحيوانات، لكي يتسلى باصطيادها، ويظهر مدى الشجاعة والثبات في مواجهتها[١].

وتؤكد المصادر معرفة هولاكو للقراءة والكتابة[٢]، غير اننا لا نملك اشارات تدل على معرفته لغة اخرى بجانب لغته المغولية.

وعلى عادة قومه، نعلم تعلق هولاكو الشديد بالتنجيم والغيبيات، فقد كان لا يقوم بعمل مهم، الا بعد ان يؤكد له المنجمون حسن الطالع فيه[٣].

---

(٣) يروي رشيد الدين ان هولاكو اقام في خيمة منسوجة بالذهب امضى فيها تلك الايام منصرفاً للشراب واللهو. (جامع التواريخ،جـ٢،ص٦٨٨).

(٤) الجويني، تاريخ جهانكشاي،جـ٣،ص١١١، رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ٢،ص٦٩٦.

(5) Howorth,op.cit., vol.3, p.122.

(٦) الاردو :ويطلق عند المغول على مقر الحاكم المغولي (الخان).انظر: بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى،ص٨٥؛ Saunders,The History of the Mongol Conquests, p.XI.

(٧) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢،ص٦٧٨-٦٧٩.

(١) جامع التواريخ،جـ٢،ص٦٨٩. ويذكر تاج الدين السبكي (ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م) ان هولاكو اصطاد ثمانية من السباع في يوم واحد. انظر: طبقات الشافعية الكبرى،ط٢ (بيروت:دار المعرفة، بلات)، جـ٥، ص١١٣.

(٢) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ١،ص٥٦٠؛

Prawdin, The Mangol Empire, p. 280.

(٣) وفي محاورة وقعت بينه وبين شهاب الدين سليمانشاه بن برجم، احد ابرز رجالات الخليفة المستعصم بالله، حين كان يحاول النجاة بحياته،ان هولاكو عاتبه وقال له: ((كنت منجماً، ومطلعاً على احوال السعد والنحس للبلاد، فكيف انك لم تتنبأ بسوء مصيرك، ولم تنصح سيدك لكي يبادر علينا عن طريق الصلح)).

والمتتبع لسلوك هولاكو يجد في شخصه مزيجاً من التناقض، فهو بقدر ما معروف عنه من غلظة الروح ونزعة تواقة للغزو والسيطرة، والشراسة الدموية والوحشية القاسية في القتال،فانه الى جانب اخر كان يظهر في اوقات الحاجة والمقابلة كل سمات وسجايا الحاكم الوقور في البلاط[٤]. وفي الوقت الذي كان يقدم فيه على متع الحياة بحيوية ونهم كبيرين[٥]. فان روايات المصادر تؤكد في الوقت ذاته انه كان يعاني عقدة الخوف الشديد من الموت[٦]،مما القى على سيماء وجهه بظلال من العبوس والصرامة والشدة والكآبة في كثير من الاحيان،مع حدة في المزاج، وسرعة في الغضب، مما كان يدفعه الى الفتك بكثير من المحيطين به[١].وقد ادى هذا التناقض في شخصه الى ان يصفه المؤرخون بصفات مختلفة ومتناقضة،غير انه يمكننا ان نستخلص من افعال هولاكو ومقابلاته مع خصومه اهم ما كان يغلب عليه من صفات حقيقية، وبلا شك ان اولها هي قسوته البالغة،اذ كانت حروبه مصحوبة بالمجازر البشرية الرهيبة فهو لا يابه بحياة الناس بتاتاً اذا كان ذلك يقف عائقاً في سبيل تحقيق اهدافه، إذ كان يأمر بسفك دماء الناس ببرود تام لمجرد الانتقام منهم حقداً على مجرد توفر روح المقاومة ضده[٢]. والحقيقة ان قائمة ضحاياه من المسلمين، كما اجمعت عليها المصادر تظهره بأن، سعادته كانت تتمثل في قتل الناس، فقد افتتح حملته العسكرية باستئصال شأفة طائفة الاسماعيلية،ولم يبق منهم حتى الاطفال في

وهذا يدل على اعتقاده بما يترتب على التنجيم من خير او شر او سعد او نحس على صاحبه. (رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ٢،ص٧١٢). وانظر الفصل الثالث: ص ١٣٦.

[٤] في هذا الخصوص يصفه الجويني، وهو اقرب المؤرخين له بقوله ((انه كان يجمع في شخصه نعم الاحسان وكل عجائب اللطف الملكي)). (تاريخ جهانكشاي،جـ٣،ص١٣٦). وبلا شك ان هذا القول يظهر مدح التابع لسيده.

[٥] رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢،ص٦٩٦.

[6] Howorth,op.cit.vol.3.pp.208-209.

[١] رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢،ص٧٣٤؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير،جـ٣،ص٦٠.

[٢] وهو القائل عن نفسه في رسالة بعثها الى السلطان المملوكي المظفر قطز: ((نحن لا نرحم من شكى، ولا نرق لمن بكى. لقد اخربنا البلاد واضنينا العباد وايتمنا الاولاد، وتركنا في الارض الفساد)). انظر: الدواداري، كنز الدرر،جـ٨،ص٥٤؛ المقريزي، السلوك، جـ١،ص٥١٤-٥١٥.

مهودهم[٣].وعندما تم لـه احـتلال بغداد، امـر باسـتباحتها وارتكـاب المجـازر فيهـا لمـدة لا تقـل عـن سبعة ايـام[٤]، حتـى اصبحت جثـث القتلـى تمـلأ الطرقـات[٥]، وهكـذا فعـل فـي حلـب وتـل حـارم وغيرهـا مـن المـدن الشـامية[٦]. وممـا يـدل علـى مـدى اسـتهانته بالارواح البشرية سفكه للدماء حتى بدون مبرر احياناً[٧].

الـى جانـب ذلـك، فانـه كـان يختـار القسـوة المقصـودة والطـرق الوحشـية المبتكـرة فـي تعـذيب وقتـل اعدائـه والتنكيـل بهـم، اذ يحـتفظ لنـا مؤرخـو المغـول وغيـرهم ثبتـاً طـويلاً بمـن قـتلهم هولاكـو بتلـك الطـرق[١]، ومـن اشـهرهم الملـك الكامـل[٢] صـاحب ميافـارقين[٣] فـي سـنة ٦٥٩هـ/١٢٦١م[٤]، والملـك الصـالح بـن بـدر الـدين

---

[٣] رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢،ص٦٩٧.

[٤] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول،ص٢٧٥، رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ٢،ص٧١٣.

[٥] مجهول ، الحوادث الجامعة،ص٣٣٣.

[٦] المقريزي، السلوك،جـ١،ص٥٠٩.

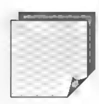
[٧] ينقل لنا صاحب الحوادث الجامعة رواية تشير الى انه عندما كان في حران في طريقه لبلاد الشام سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م وقف له جمع من الصوفية المعروفون بالقلندرية، فسأل نصير الدين الطوسي عنهم، فقال له:هؤلاء فضلة من العالم.فأمر هولاكو بقتلهم جميعاً قبل ان يسأل الطوسي عن معنى قوله، فرد عليه قائلاً : ((الناس اربع طبقات بين امارة وتجارة وصناعة وزراعة، فمن لم يكن منهم كان كلاً عليهم)). انظر :ص٣٧٣.

[١] رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢،ص٧٢٧-٧٣١؛ ابن العبري، تأريخ مختصر الدول، ص٢٨٤؛ ابن تعزي بردي، النجوم الزاهرة، جـ٧،ص٢٠٧.

[٢] الملك الكامل: هو محمد بن غازي بن ايوب شادي السلطان الملك ناصر الدين ابو المعالي محمد بن الملك المظفر بن الملك العادل، ملك سنة ٦٤٥هـ/١٢٤٧م وصف بانه كان عالماً عادلاً، شجاعاً ، محسناً للرعية. انظر: ركن الدين بيبرس المنصوري الدويدار (ت٧٢٥هـ/١٣٢٤م)، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق دونالد. س. ريتشاردز (بيروت: الشركة المتحدة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ص٤٨؛ ابن العماد، شذرات الذهب،جـ٥،ص٢٩٥.

[٣] ميافارقين: هي اشهر مدن ديار بكر. انظر: عبد المؤمن بن عبد الحق (ت٧٣٩هـ/١٣٣٨م)، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، تحقيق علي البجاوي،ط١ (القاهرة: دار احياء الكتب العربية،١٣٧٣هـ/١٩٥٤م)، جـ٣،ص١٣٤١.

[٤] امر هؤلاكو بتقطيعه ارباً ارباً، ووضع ما يقطعونه من جسمه في فمه، حتى هلك ثم امر بقطع راسه، وان يطوف به بانحاء البلاد قبل ان يعلق بباب الفراديس بدمشق. انظر: رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢،ص٧٢٧؛ زين الدين عمر بن الوردي (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، تتمة المختصر في اخبار البشر (بيروت: دار المعرفة،١٣٨٩هـ)،جـ٢،ص٢٠٥-٢٠٦.



لؤلؤ سنة ٦٦٠هـ/١٢٦٢م[٥]، وكان من قسوته وغلظته انه لم يتردد في قتل كثير من معاونيه والمقربين منه بذرائع مختلفة[٦] وجرياً على سنة الحكام المغول، فقد عرف عنه الحنث بالعهود، وفي كون السياسة على انها مكر وخداع، وكل سلوكه مع خصومه يظهر لنا نزعته الواضحة الى الحيل والمكائد التي فاق بها سلاطين عصره. واهم من هذا كله انه كان غداراً لا يؤمن جانبه احد[٧].

ان هذه القرائن التي تدل على قسوة هولاكو وشراسته الدموية، تؤكد انه كان في الوقت نفسه ابناً لبيئته المغولية وتقاليدها التي كانت لا تزال ترى في تقديم الضحايا البشرية حالة مألوفة، وان ابادة اعدائهم كانت جزءاً من منظومة العمل العسكري الذي يقومون به، وغير مرتبطة باخلاقيات معينة لديهم.

من جانب اخر، فقد تهيأت في هولاكو مزايا شخصية اخرى، تحمل مواصفات الفارس المغولي المحارب من الحزم والسطوة العظيمة والمهابة الشديدة[١]، والتمجيد للشجاعة بقياس اخلاقيات قومه وبيئته، وهو الذي ينسب اليه ذلك القول المغولي المأثور ((كما ان اللون الاحمر يكون زينة للنساء، فان الدماء الحمراء تكون كذلك بالنسبة للرجال))[٢]. وبلا ريب ان كل ذلك انعكس على قدراته الشخصية، فاظهر مواهب سياسية وعسكرية وتنظيمية، سنجد لها صدى في الادارة واحكام السلطنة، وقد اخضع لشخصه الامراء والقادة الكبار بالضبط الشديد، ولا شك ان الطاعة التامة التي عرف بها المغول لقادتهم ساعدته كثيراً في هذا الخصوص، الا انه يجب ان لا نغفل ان خبرته بانواع الرجال قد عرفها منذ ايام صباه حيث تعامل مع اشجع القواد واصلبهم، لكون عائلته (ال تولوي) ورثت

---

(٥) لما استسلم الملك الصالح بن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل في سنة ٦٦٠هـ/١٢٦٢م، طبقاً لشرط الامان على حياته، لم يابه هولاكو بوعده، بل امر بادخال جسمه في الدهن، والربط عليه باللبد والحبال باحكام، ثم القائه تحت وهج الشمس الى ان استحال الدهن بعد ايام الى ديدان إلتهمت جسمه حتى مات. ولم يكتف بذلك بل أمر ان يبعث بابنه ذي الثالثة من عمره الى الموصل ليقدوه نصفين وتعليق شقيه على جانبي دجلة. انظر: رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ٢،ص٧٣١.

(٦) المصدر نفسه، جـ٢،ص٧٢٨-٧٣٢.

(٧) على نحو ما سنلاحظ افعاله واعماله في كل من بلاد الاسماعيلية في ايران، ودولة الخلافة العباسية في بغداد ومن ثم في بلاد الشام.

(١) اليونيني، ذيل مرآة الزمان،جـ٢،ص٣٥٧.

(٢) رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ٢،ص٧١٩.



مسؤولية الجزء الاكبر من جيش جنكيزخان[٣]، كما ان معظم قيادات الجيش العسكرية في حملته كانت مرتبطة بهولاكو واخوته منذ وجوده في قراقورم، ولا بد انها شاركته دوره الفاعل في تنصيب اخيه القآن، وذلك للاحترام الكبير الذي يكنه الجند لابناء تولوي، ومن هذا المنطلق يمكن تفسير تحكمه القوي بالجيش. لكن في الوقت ذاته لا يمكننا الغاء دور شخصيته الشديدة والقوية على الرغم من تقلباتها العنيفة، على نحو ما حصل من توبيخ منه لمقدم المغول الثاني بعد كتبغا، شخصية بايجونوين في الحوار الذي دار بينهما على اثر الانتصار على

الاسماعيلية[١]. ولم تهدأ ثائرة هولاكو الا ان جثا بايجونوين على ركبتيه، تعبيراً عن اعتذاره واعلان طاعته[٢]. ومع هذا الضبط الشديد لقادته، نراه لا يتردد في استشارتهم والاخذ برأيهم في كثير من الاحيان[٣].

اما الى أي حد تبدو النصوص التي تصفه بالحاكم العادل صحيحة وقائمة[٤]،حتى ان ابن ايبك الدواداري ينقل لنا رواية لاحد الشهود، بان هولاكو كان يجلس كل يوم جمعة للنظر في ظلامات الناس[٥]، فانه لا يبدو لنا ان واقع الامر يتفق مع ذلك تماماً،لان ما عرف عنه من استخدام لضروب التنكيل والقسوة، واستباحة البلاد المحتلة،ومعاقبة البريء بذنب غيره يجعل هذا الوصف ابعد ما يكون عنه، فالذي يوصف بالطغيان لا يمكن وصفه باي شكل من الاشكال بالعدالة، ولا يمكن اطلاقاً تسويغ طغيانه في انه يتبناه من اجل مصلحة

---

(٣) المصدر نفسه، جـ١،ص٥٥٢.

(١) على اثر وصول هولاكو من قزوين الى همدان، وصل في ذلك اوقت قائد المغول المخضرم بايجونوين، وكان هولاكو متضايقاً منه، فأشار له بالقول: ((لقد ذهبت في نفس الوقت الذي ذهب فيه جرماغون، فماذا فعلت عندما حللت محله في ايران ... وكم من جيش قهرت ... وما العدد الذي اخضعته. انك لم تفعل شيئاً سوى انك رحت تخوف القوات المغولية، بالمبالغة فيما عليه الخليفة من قوة وعظمة)).

انظر: رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ٢،ص٦٩٧-٦٩٨.

(٢) المصدر نفسه،جـ٢،ص٦٩٨.

(٣) المصدر نفسه،جـ٢،ص٦٩٢.

(٤) مجهول، الحوادث الجامعة،ص٣٥٣؛ عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، جـ١،ص٢٥١.

(٥) كنز الدرر،جـ٨،ص٥٣.



الجماعة وصلاحها، فليس هناك دليل واحد يفضي الى الاستنتاج بان هولاكو كان يعمل في خدمة الشعوب التي خضعت له، بل ان جميع اعماله تؤكد ان كل ما كان يضعه نصب عينيه هو الحصول على مزايا لنفسه ولقومه المغول.

وعن مدى معرفة هولاكو الشخصية باحوال البلاد الاسلامية، فمما لا شك فيه انه لابد وان كان مطلعاً ،ولو بشكل محدود عن احوال تلك البلاد من خلال بعض المسلمين المتواجدين في البلاط القاآني، ولكن من المؤكد ان حدود معرفته زادت كثيراً خارج حدود بلاده منغوليا، فقد كوَّن اعتماداً على اقوال مستشاريه الجدد الذين التحقوا به في ايران فكرة وافية عما كان يجهله من قبل عن الاراضي التي زحف ليبسط سلطته عليها، ودون شك ان الرسائل والاقوال التي وردت على لسانه في المصادر ،لا بد انها تعكس انشاء وكلمات الشريحة الادارية – الاسلامية التي ارتبطت بهولاكو واوحت له بافكارها وملاحظاتها بشأن اعداء المغول[1].

آراء المؤرخين حول شخصيته

من خلال استعراض اراء المؤرخين عن هولاكو سواء كانوا من معاصريه ام المتأخرين عنه او للباحثين المحدثين، نجد هناك اختلافاً واضحاً في وجهات نظرهم بشأن شخصيته واعماله، كل حسب موقفه من المغول.

ان اول هذه الاراء تمثل وجهة نظر المغول انفسهم، ولا سيما وان وجهة نظر العباسيين قد طمست،لان الحكام الجدد لم يكن يريدون اطلاع الامم والشعوب على الاعمال الشنيعة التي ارتكبوها بحق المدن العباسية والبيت العباسي الشرعي وحضارة العصر آنذاك.

---

[1] بعد احتلاله لدمشق في ربيع الاول سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م ارسل رسالة الى السلطان المملوكي قطز، يظهر من بين نصوصها مدى رصده لاحوال المسلمين، ومعرفته التامة لما وصل اليه حالهم من التردي والضعف انذاك، وكأنه يعلم علم اليقين سر نكبتهم، فيصف الحكام المماليك بانهم قد ظلموا، وتجبروا، واكلوا الحرام، وخانوا العهود والمواثيق، عرفوا الله وعصوه، وان دعاؤهم لا يسمع.انظر: الدواداري، كنز الدرر، جـ٨،ص٤٧،المقريزي؛ السلوك،جـ١،ص٥١٤-٥١٤. وعن نص الرسالة انظر: الملحق رقم (٨).

فالمؤرخون الذين كتبوا مؤلفاتهم تحت رعاية الحكام المغول اثنوا على شخصية وسيرة هولاكو، على الرغم من انهم لم يمانعوا في المجاهرة باعماله ومجازره، فالجويني يصفه ((بالصلابة والهيبة واليقظة))[٢]، وهو عند رشيد الدين ((محباً للعمارة ... تواقاً للحكمة، كان يزين بلاطه بالعلماء والحكماء))[٣].ونجد مؤرخاً عراقياً وهو صاحب (الحوادث الجامعة) قد عاش في ظل الحكم الايلخاني، وكان شاهد عيان على ما حل بالبلاد الاسلامية من خراب ودمار على يدي هولاكو، ومع ذلك نراه يبالغ كل المبالغة في الثناء عليه ويسبغ على شخصيته كل صفات التعظيم والمديح على نحو غير متوقع فيصفه بالقول: ((عالي الهمة عظيم السياسة عارفاً بغوامض الامور وتدبير الملك، فاق على من تقدمه بالرأي السديد والبأس الشديد والسياسة القاهرة، وكان يحب العلماء والفضلاء ويحسن اليهم ويجزل صلاتهم ويشفق على رعيته، ويأمر بالاحسان اليهم والتخفيف عنهم، ولم يثقل عليهم ولا كلفهم ما جرت عادة الملوك به من التكليفات والتوزيعات وغير ذلك))[١].

وهولاكو في نظر مؤرخين آخرين متأخرين عنه مثل ميرخواند (ت٩٠٣هـ/١٤٩٧م) ((محباً للعمارة والحكمة، مقرباً للعلماء))[٢] وهو عند خواندمير (ت٩٤٢هـ/١٥٤٤م) ((له مقدرة فائقة في تدبير الملك ... يرغب في بحث علوم الاوائل))[٣].

غير ان معظم المؤرخين العرب يعكسون وجهة نظر المماليك، وجاءت ارائهم متأخرة بعض الشيء في اعقاب انتصار عين جالوت، ولكن لها اهميتها في الموقف من الايلخان، فقد كانوا يرون في شخصه بلاء من الله قد حل ببلاد المسلمين، ولذلك صبوا لعناتهم عليه،ووصفوه بالطاغية المتعطش لسفك الدماء، ومع ذلك لم يتغاظوا عن ذكر مزايا خاصة من شخصيته، فاليونيني

---

(٢) تاريخ جهانكشاي، جـ٣، ص٣٤.

(٣) جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٣٤.

(١) ص٣٥٣.

(٢) تاريخ روضة الصفا،جـ٥،ص٢٧٠.

(٣) تاريخ حبيب السير ،جـ٣،ص١٠٢.



(ت٧٢٦هـ/١٣٢٦م) يصفه ((بانه اعظم ملوك التتار[٤] حازماً شجاعاً مدبراً ذا همة وسطوة عظيمة ومهابة شديدة ونهضة تامة،وكفاية بالغة واستقلال بتدبير الممالك والاقاليم، وخبرة بالمعاقل والحصون، ومحبة في العلوم العقلية، من غير ان يتعقل منها شيئاً البتة))[١].

ويذكر الذهبي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) ((بانه اباد العباد والبلاد، كان ذا سطوة ومهابة وعقل وحزم ودهاء، وخبرة بالحروب، وشجاعة ظاهرة،وكرم مفرط))[٢].

ويرى الكتبي (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م) بان هولاكو ((كافر مسلط على العالم باسره ... وما كان له دأب الا القتل))[٣]. ويشير ابن تغري بردي (٨٧٤هـ/١٤٦٩م) بقوله ((طاغية التتار،كان سعيداً في حروبه لا يروم امراً الا ويسهل عليه))[٤].

اما آراء المؤرخين المسيحيين المعاصرين له،فقد صيغت تشفياً بالاسلام ودار الاسلام، فقد اثنوا على هولاكو كثيراً، وابدوا اعجابهم بشخصه وتقديرهم لصنيعه، فالمؤرخ الجورجي فارتان يصفه بعبارات رنانة بقوله ((صاحب الخطوة الكبيرة التي سحقت الجبل وساوته بالسهل))[٥]. اما المؤرخ ابن العبري (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م) وكان على صلة به فيصفه: ((بانه كان حكيماً ذا فهم

---

(٤) التتار والمغول اسمان لقبيلتين كانتا تعيشان في الاقسام الشرقية من اواسط آسيا الى الشمال الغربي من الصين،وقد نشبت بين القبيلتين معارك طاحنة قبل ان يستطيع جنكيزخان من تحقيق الانتصار على التتار. غير ان اسم التتار ظل هو الغالب اكثر من المغول عند المؤرخين العرب، وهذا خلاف الحقيقة، لان التتار يعدون شعبة متفرعة من المغول، وعليه ان اطلاق اسم المغول على احفاد جنكيزخان هو الاكثر دقة. وللتفصيل عن خلفية العلاقة بين المغول والتتار انظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي،جـ١،ص٢٠؛ هوتسما، تتر، دائرة المعارف الاسلامية،جـ٤،ص٥٧٦؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية،ص٥٤؛
USSR. Academy of Sciences, History of the Mongolian People Republic (Moscow, 1973), P.98; B.A.Vladimirstvr,The Life of Chimgis-khan (London,1930),P.41.

(١) ذيل مرآة الزمان،جـ٢،ص٣٥٧.

(٢) العبر في خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد (الكويت،١٣٨٦هـ/١٩٦٦م)، جـ٥،ص٢٧٨.

(٣) عيون التواريخ، تحقيق فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم (بغداد: دار الرشيد للنشر،١٩٨٠)، جـ٢،ص٣٢٥.

(٤) النجوم الزاهرة،جـ٧،ص٢٢٠.

(5) Journal Asiatic, 5th Ser,XVI,p.308.



ومعرفة يحب العلماء والحكماء))[٦]. وفي موضع اخر يشير الى اعماله: ((بان مآثره العظيمة ليست هناك ما يكافئها))[٧]. والمؤرخ الارمني ملاكيا يصفه بالرجل الذكي العادل المتعلم، ولم يقف عند هذا الحد، بل انه يبرر له سفكه للدماء الكثيرة بالقول: ((انه كان لا يقتل سوى الاعداء والرجال الاشرار))[٨]!. ويصفه ستيفان اوربليان: ((بالملك العظيم التقي سيد العالم، وانه وزوجته دوقزخاتون كانا بمنزلة قسطنطين وهيلين))[١].

في الوقت نفسه تتفاوت اراء الباحثين المحدثين، ولا تعدو وجهات نظرهم الا صدى لاختلاف المصادر الاولية، فالباحث عباس العزاوي يبالغ كل المبالغة عندما يصفه ((بالفاتح والسياسي الخطير ... ومع ان اعماله ليست مصروفة لخير الجماعة وصلاحها ... الا انه كان في وسعه ادارة عالم لامة او بضعة امم، بسياسة حكيمة وعقل مدبر وفكر كامل))[٢]. كما ان تعميماته بشأن عدالة هولاكو جانبت الصواب كثيراً . ولم يستطع المستشرق بويل (J.A.Boyle) اخفاء اعجابه بهولاكو واعماله، فهو يرى ان انجازات هولاكو (كفاتح) ومؤسس دولة، لم تأخذ حقها بشكل كامل، فهو استطاع القضاء على دولة الخلافة العباسية وخصومها الاسماعيليين في آن واحد، واوجد دولة مترامية الاطراف تخضع اسمياً لقاآن المغول الاعظم. ويضيف بويل (J.A.Boyle) ان هولاكو بعمله هذا اوجد الظروف الممهدة لقيام الدولة (القومية) في ايران،بعد ان كان هذا المصطلح يعبر عن مدلول جغرافي فقط، وبذلك يكون قد وضع الاساس بشكل غير مقصود لقيام الدولة الصفوية، ون عمله السياسي والعسكري يشابه تماماً ما قام به كلا من اخيه قوبيلاي في الصين،وابن عمه باتوفي القبجاق[٣]. وتختلف اراء الباحثين الآسيويين حول شخصية هولاكو عن غيرها من الآراء، ولاسيما الاكاديميين الايرانيين، حيث ينظرون الى هولاكو بصفة الفاتح المصلح للنظام السائد في العالم الاسلامي

---

(٦) تاريخ مختصر الدول،ص٢٨٤–٢٨٥.

(٧) في الحوليات المنشورة باللغة السريانية بعنوان .Chron-syr.p.567

(8) Journal Asiatic, 5th Ser,XVI,p.455.

(1) History de Lasiounie (St.Martin memoire,1880) vol.2, pp.151-153.

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين،جـ١،ص٢٥٤–٢٥٥.

(3) C.H. Of Iran. Vol.5.p.355.

حينئذٍ، فالباحث عباس إقبال المختص بالدراسات المغولية يبرر استعمال هولاكو للقوة المفرطة، بأنها من اجل ترسيخ دعائم حكمه وتأديب خصومه(٤).

فيما يرى الباحث الايراني محمد جواد مشكور ان قيام الدولة الايلخانية على يد هولاكو كان بمثابة تجديد للشاهنشاهية الايرانية القديمة(٥).

وفاته

توفي هولاكو في التاسع عشر من ربيع الثاني سنة٦٦٣هـ/الثامن من شباط ١٢٦٥م قرب مراغة عن عمر يناهز خمسين عاماً (ثمان واربعين سنة ميلادية)(١). ويبدو ان سبب وفاته يعود الى انه كان يعاني في سنواته الاخيرة مرضاً عضالاً كاد ان يقضي عليه في مناسبتين على الاقل من قبل(٢). وعن طبيعة مرضه فان المصادر العربية تجمع على انه كان مصاباً بمرض الصرع الذي ينتابه مرات عديدة في اليوم الواحد، وقد ازداد سوءاً في الشهرين الاخيرين من حياته مما ادى الى وفاته(٣). غير ان كلا من كيراكوس وملاكيا الارمنيان يؤكدان أن هولاكو كان يعاني اشتداد المرض عليه في ايامه الاخيرة، دون ان يصرحا بطبيعته، الا انه يفهم من روايتيهما بان هولاكو كان متيقناً انه سيلقي حتفه قريباً فيذكران ((انه كان يعاني من الاضطراب، وزيادة المخاوف من الموت،الى حد انه ما ان شاهد احد المذنبات تظهر في السماء، حتى اعتقد بسوء الطالع، فكان كلما تزايد خفوت هذا المذنب، تيقن اكثر فاكثر بدنو اجله))(٤).

---

(٤) تاريخ مفصل ايران، جـ١، ص٢١٣-ص٢١٤.

(٥) تاريخ ايران زمين (طهران: انتشارات اشراقي،١٣٣٦هـ.ش)، ص٢٢٧-٢٢٨.

(١) ويوافق ذلك سنة البقرة (كَاو) وفق التقويم المغولي. انظر: رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢،ص٧٣٦.

(٢) الاولى حدثت في مدينة طوس سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م، والثانية في سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م في همدان بعد عودته من احتلال بغداد. انظر: رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٨٩،ص٧١٥؛
C. Elgood, Amedical History of Persia and the Eastern Caliphate (Cambridge,1951), pp.305-306.

(٣) المفضل بن ابي الفضائل (ت٦٧٢هـ/١٢٧١م)، النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، نشر بلوشيه (باريس،١٩١٢)، ص٤٨٧؛اليونيني ،ذيل مرآة الزمان، جـ٢،ص٣٥٧؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، جـ١٧،ص٥٩.

(4) Howorth, op.cit., vol.3, pp.208-209.

اما الرواية المغولية، وهي ارجح الروايات على نحو ما وردت عند رشيد الدين، فهي تؤكد ان نوبة من نوبات المرض عاودته في السابع من ربيع الثاني سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٥م[١]. ولا نستبعد ان يكون مرضه ناتجاً عن احد اعراض الافراط في الشراب الذي اودى بحياة كثير من الحكام المغول.

تم دفن هولاكو بسرية تامة على قمة تل يقع في وسط جزيرة صغيرة تسمى شاهو في بحيرة اورمية[٢]، وقد جرت مراسم وطقوس الدفن طبقاً لتقاليد المغول في هذه المناسبة[٣].وقد نقل لنا المؤرخ وصاف الحضرة تفاصيل ذلك فذكر انهم صنعوا له (لهولاكو) تابوتاً وضعت الجثة داخله، ثم دفن ومعه كميات من الجواهر والسبائك الذهبية، التي حازها من الخليفة المستعصم بالله، كما دفنت معه عدد من الفتيات العذراوات من ذوات الحسن والجمال، وهن مرتديات الثياب الفاخرة المرصعة باللالى، لئلا تصيبه الوحشة ويأخذه الضيق حسب زعم المؤرخ المذكور[٤].

والخلاصة ان حياة هولاكو ما بين وقت ولادته في قراقورم عاصمة المغول سنة ٦١٣هـ/١٢١٧م، وتاريخ وفاته في مراغة بتبريز سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٥م كانت تمثل في حقيقتها حقبة قيام الامبراطورية المغولية وتوسعها، وتقلبات اوضاعها الداخلية،وقد لاحظنا ان تكوين شخصيته في صغره يعود الى عوامل عديدة متداخلة ضمن حدود تربيته الملكية والمغولية التي يتربى عليها الفارس المغولي،كان اولها التأثير الذي تركته عليه شخصية جده جنكيزخان منذ نعومة

---

(١) ويبو ان مرضاً عارضاً قد تبع ذلك، فقد اضاف رشيد الدين ان الاطباء الخطائيين اشاروا عليه بتناول دواء مسهلاً، غير ان حالته ازدادت سوءاً، اذ اصيب بالضعف والاغماء لمدة اثني عشر يوماً فارق بعدها الحياة. (جامع التواريخ، جـ٢،ص٧٣٦).

(٢) يقول العالم الاثاري خانيكوف (khanikof) انه عثر على قبر هولاكو على الضفة اليمنى لنهر جغاتوليس ببعيد عن بحيرة اورمية، انظر:
Melanges Asiatiques (St.Pet), vol.2.p.508; Boyle, C.H. of Iran, vol.5.p.

(٣) كان اختيار الموقع المرتفع عادة من عادات الملوك المغول في دفن موتاهم في الاماكن المرتفعة النائية، وربما يعود ذلك حسب اعتقادهم للقرب من القبة الزرقاء (كوك تنكري) الاله العظيم عند المغول. اما السرية في الدفن فهي الخشية من ان تتعرض تلك القبور للسرقة لما تحتويه من كنوز ونفائس. انظر:
Boyle, the Burial Place of Great khan, Acta Orientalia, XXXII (Copenhagen,1970), p.45-50.

(٤) تاريخ وصاف، ص٢١٣.

اظفاره، واكتسابه كثيراً من خصوصياته، مثل التطلع نحو الغزو، والميل الغريزي للقتل والتعطش لسفك الدماء.فيما اسبغت سيرة والده تولوي عليه صفات المخادعة والشراسة ملامح اخرى في شخصيته. وكان لامه سيورقوقيتي، التي كانت تطمح ان يصبح اولادها في الوضع الذي يؤهلهم لحكم المغول، اثر ظاهر في ان يصبح ابنها هولاكو، شديد الاعتداد بنفسه، قوي العزم، عظيم الطموح، واكثر التزاماً بقوانين الياسا الجنكيزخانية المنظمة لحياة المجتمع المغولي. هذا فضلاً عن التهيؤ الفكري والاستعداد الذاتي الذي كان عليه هولاكو لتطوير هذه الملامح.

اما عقيدته الدينية، فلم تترك الديانات الشامانية والبوذية والنصرانية، اللاتي كانت سائدة بين المغول انذاك اثراً في شخصيته عند صباه. غير ان ملاحظة سيرته عندما اصبح ايلخاناً تدل على ميله نحو الديانة البوذية، وتقريبه لاهل الاديان والطوائف غير الاسلامية،وخاصة النصارى منهم، اكثر من المسلمين، مع ان هذا التأثير لم يكن بوازع نفسي منه شخصياً، بقدر ما هو من تأثير بعض افراد حاشيته و المقربين منه.

وعندما تجاوز سن الثالثة والثلاثين، بدأ هولاكو يؤدي دوراً فاعلاً في الحياة السياسية المغولية من خلال مشاركته في اجتماعي القوريلتاي المنعقد في القبجاق سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م وقراقورم سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م، ومساهمته البارزة في دعم طموحات اخيه الاكبر منكوقاآن في الحصول على عرش الامبراطورية المغولية،غير ان هولاكو وقتئذ لم يكن يشكل ظاهرة سياسية – عسكرية متكاملة الخصوصيات، الا ان هذا الدور الاولي اهله لبناء امبراطورية مغولية في بلاد المسلمين لاحقاُ، وشكل ظاهرة حقيقية في التاريخ عندما نجح في تأسيس دولة مترامية الاطراف تمتد على ما كان يعرف ببلدان الخلافة الشرقية آنذاك.من هنا فان هولاكو كان يمثل شخصية متميزة بين أبناء جيله من امراء المغول. وقد ثبت انه كان يمتلك كرزما القيادة، بحيث اخضع لتأثيره الشخصي كل مرؤوسيه واعدائه على حد سواء، اذ كان لديه مهارة التعامل مع الشخصيات المختلفة في كل المواقف، وبالتالي فقد استطاع ان يخضع تحت سلطته اكثر من عشرين بيتاً من الاسر الحاكمة كرهاً او طوعاً، لكن تلك الكرزما في جوهرها لم تكن بعيدة عن سمات البطش والقتل والتلويح باستخدام الة الحرب المغولية المرعبة وتوظيفها ضد معارضيه وضحاياه كل حسب منزلته ومواقفه. ولذلك فان اهم ما يطغى على

صـفاته هـو قتـل وابـادة لنـاس ايـاً كـانوا، لكونهـا لا تتعـارض مـع طبيعتـه المغوليـة وتكوينـه الشخصـي. وبـلا ريب انـه كـان سـفاكاً متعطشـاً للـدماء، وجميـع اعمالـه العسـكرية كانـت مصـحوبة بالمجـازر البشـرية، وتصـفية العـائلات الحاكمـة، واحتـزاز رؤوس مناوئيـه،حتى ان قسوته كانت تصل الـى حـد انـه كـان يتفنن فـي تعـذيب وقتـل اعدائـه بطـرق وحشـية مبتكـرة لـم يلجـأ اليهـا احـد مـن قبـل، وكـان يتـوق شـوقاً للانتقـام مـن اعدائـه، وكـان غداراً لا يـؤمن أحـد جانبـه، ولـم يسـلم مـن بطشـه حتـى حاشـيته والمقربين منه.

ومـن مظـاهر شخصـيته المعقـدة التركيـب، انـه كـان يقبـل علـى متـع الحيـاة الـى اقصـى حـد، وفـي الوقـت ذاتـه فـان عقـدة الخـوف الشـديد مـن المـوت كانـت تسيطر علـى افكـاره.وفـي حـين يظهـر احيانـاً بمظهـر الحـاكم الوقـور فـي البـلاط، فانـه معظـم الاوقـات كـان متقلـب المـزاج شـرس الطبـاع، ينكـث وعـوده وعهـوده بسـرعة متناهية، وهو ما سيظهر لنا واضحاً في عمله السياسي والعسكري.



الفصل الثاني

التسمية والإعداد
للحملة المغولية على العالم الاسلامي
بقيادة هولاكو



ان تكليف قاآن المغول الاعظم لهولاكو بمهمة قيادة الحملة الجديدة للمغول (الحملة الثانية بعد جنكيزخان) على بلاد العالم الاسلامي (بلاد الاسماعيلية ودولة الخلافة العباسية، ثم السلطنة الايوبية في الشام والمماليك البحرية بمصر)، لم يكن محض صدفة، او تسمية لمقدم من مقدمي الامراء المغول محل آخر،وانما جاء لاعتبارات تتعلق بشخصية وسياسة منكَوقاآن، الذي نال ثناء وموافقة مجلس القوريلتاي للامر على شكل تفويض رسمي لهولاكو بالمهمة.

والاهم ان هولاكو، على نحو ما سيتضح لنا، اثبت انه في مستوى المهمة التي كلف بها، ليس في تقويض هذه الحكومات وتصفية حكامها وبيوتاتها فقط، لابل في اثبات قدرات سياسية وتنظيمية وادارية مكنته من تأسيس دولة جديدة للمغول تابعة للقاآن الاعظم، هي الدولة الايلخانية، التي كان اول من ادارها من مقر قاعدتها الحكومية بتبريز هولاكو نفسه.

يتضمن هذا الفصل معالجة السؤال المهم في الاطروحة، وهو لماذا تم اختيار هولاكو دون غيره من افراد بيت جنكيزخان الذكور لتولي مهمة تنفيذ الحملة الجديدة على العالم الاسلامي، بعد أخذ قرار موافقة مجلس القوريلتاي عليه؟ ثم نتابع مسير هولاكو وجيشه من بداية حركته من العاصمة المغولية قراقورم وحتى عبوره نهر جيحون تجاه خراسان، مع التطرق لأهم الوقائع التي حدثت له في اثناء ذلك. ونحلل تشكيلة مجلس المشورة الحربي الذي كان يرأسه هولاكو قبيل الشروع باعماله العسكرية. ونتطرق لاسهامات الادارة المغولية في خراسان في دعم الحملة. وفي المقابل سنتابع بالتحليل مواقف الامارات الاسلامية المحلية من هولاكو، ومدى تعاونها معه في العمل تحت قيادته، وحينذاك يصبح بامكاننا تقويم قدراته القيادية، وتفسير الظاهرة التي يمثلها على المستوى العسكري والسياسي والاداري ككل.

دوافع حملة هولاكو واسباب اختياره لقيادتها

يبدو من الثابت ان دوافع الحملة التي قادها هولاكو على بلدان الخلافة الشرقية كان مرهوناً بسياسة التوسع التي انتهجها القاآنات المغول تجاه العالم الاسلامي منذ ايام جنكيزخان، على الرغم من ان المصادر الاولية نقلت لنا اسباباً اخرى لا تصمد امام النقد والتحليل، ومن بينها رواية الجوزجاني التي نقلها معظم مؤرخي المغول الذين جاءوا بعده[1]، ومفادها ان احد قضاة قزوين[2] باسم شمس الدين احمد الخوفي القزويني،ذهب في تاريخ غير محدد الى بلاط منكَوقاآن برفقة عدد من اصحابه، ليطلب من قاآن المغول القضاء على طائفة الاسماعيلية، ويضيف الجوزجاني ان القاضي اتهم القاآن بالضعف والعجز، لانه لم يستطع القضاء على تلك الطائفة التي تدين بدين يخالف ديانات المسيحيين والمسلمين والمغول، وذكّر القاآن انه اذا اراد ان يحمي دولته،فعليه ان يستأصل شافة هذه الطائفة، لانها تتحين الفرص للخروج من الجبال والقلاع،لتطيح بمن بقي من السكان المسلمين (يقصد اهل قزوين) ولسوف لن يترك لهم اثراً ابداً[3]. ويبدو لنا ان هذه الرواية غير دقيقة تماماً، فاذا سلمنا جدلاً ان القاضي المذكور قد حرَّض فعلاً القاآن على طائفة الاسماعيلية، نتيجة لما كان يلاقيه اهل قزوين من اذى على يد تلك الطائفة[4]، الا انه يبدو من غير المعقول ان يجعل القاضي

---

(1) طبقات ناصري،جـ١،ص١٨١-ص١٨٢. ونقلها عنه: رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ٢،ص٦٨٩؛المستوفي القزويني، تاريخ كَزيده،ص٥٨٩؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، جـ٥،ص١٩١؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، جـ٣،ص٩٤.

(2) قزوين: مدينة مشهورة بينها وبين الري سبعة وعشرين فرسخاً. (ياقوت الحموي، معجم البلدان،جـ٤،ص٣٩٧).

(3) طبقات ناصري،جـ٢،ص١٨١.

(4) يذكر ابن الطقطقى (كان حياً سنة ٧٠٩هـ/١٣٠٩م) عن احد اهل قزوين قوله: حين كنا في قزوين اعتدنا على ان نخفي كل متاعنا من اثاث وقماش في سراديب تحت منازلنا خوفاً من نهب الملاحدة. وفي الصباح، كنا نخرج متاعنا، ونقوم بالعمل نفسه من جديد حين يحل الليل. وكان من عادة اهل قزوين حمل المدي والاسلحة، لان ديدن الملاحدة النهب والاذى، الى ان ذهب شمس الدين قاضي قزوين الى القاآن ودعا جيشه لهدم قلاعهم. انظر: الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية (بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر،١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)،ص٢١.

من القآن حامياً للمسلمين ضد اعدائهم، ومن جهة اخرى نجد من غير الممكن ان يستجيب قآن المغول الاعظم، ويقوم بتجريد حملة كبرى بهذا الحجم كانت في جملة ما تستهدفه بلدان الخلافة الشرقية باجمعها، لمجرد دعوى تحريض من احد الرعايا المسلمين ضد الطائفة الاسماعيلية في شمال ايران.

وهناك من المؤرخين من يشير الى ان قآن المغول الاعظم ماقام بارسال اخيه هولاكو ضد الطائفة الاسماعيلية، واخضاع دولة الخلافة العباسية، الا سببه الاستجابة للشكاوى المستمرة التي كان يرفعها قائد المغول العسكري في الاقليم الرابع بايجونوين للقآن ضد جيرانه اولئك[١].

ان هذه الاسباب لا تحظى باهمية كبيرة، لان مؤرخي المغول انفسهم ذكروا لنا روايات اخرى يستشف منها السبب الحقيقي وراء حملة هولاكو، وهو تنفيذ المخطط العام لسياسة المغول العسكرية التوسعية المرسومة مسبقاً، ولذلك نجد انه في الوقت الذي كلف فيه هولاكو بان يقود تلك الحملة صوب العالم الاسلامي، في الوقت عينه قام المغول بتنفيذ حملة عسكرية بشكل اكبر، وعلى نطاق اوسع وجهت ضد اراضي الامبراطورية الصينية من سلالة سنكَ الحاكمة[٢]. وما يرويه الجويني ورشيد الدين من ان الحملة لم تكن مشروعاً جديداً، ولكنه احياء لمشروع سابق كان قد خطط له وعزم على تنفيذه كيوك قآن (٦٤٤-٦٤٦هـ/١٢٤٦-١٢٤٨م)سلف منكوقآن لسنوات قلائل مضت يؤكد ذلك[٣]. ومن هنا فان تكليف هولاكو مسؤولية قيادة حملة المغول على بلدان

---

(١) خواندمير، تاريخ حبيب السير،جـ٣،ص٩٣؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٢٤٨-٢٤٩.

(٢) رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ١،ص٦٠٠-٦٠٣؛ الصياد، المغول،ص٢١٦-٢٢٤؛ Grousset,Lempire Steppes,pp.449-455.

(٣) ذكر ان كيوك قآن كان قد جرد رسول الخليفة المستعصم بالله من الشارات التشريفية (اليرليغ والبايزة) والتي سبق وان منحه اياها، وارسل معه رسالة تهديد الى الخليفة يتوعده فيها بشر مستطير. اما فيما يتعلق بمبعوثي الطائفة الاسماعيلية، فقد طردوا من بلاط القآن بعد ان اذلوا واهينوا، واجاب على الرسالة التي كانوا قد جاءوا بها من مقدمهم اجابة شديدة اللهجة. ثم امر كيوك قآن بان يقوم المغول بالاستعدادات اللازمة للقيام بحملة على البلاد الغربية، فقد طلب ان يساهم كل امير من اسرة جنكيزخان بارسال رجلين من كل عشرة رجال يقطنون في الاراضي المغولية. وقد وضعت كتائب الحملة الطلائعية تحت قيادة (ايلجغتاي نوين) على ان يلحق به القآن فيما بعد، غير ان القآن توفي وهو في طريقه لقيادة تلك الحملة. انظر: تاريخ جهانكشاي،جـ١،ص٢٢١-٢١٢؛جامع التواريخ،جـ١،ص٢١٧.

الخلافة الشرقية تعكس رغبة القاآن الجديد للمغول منكَو، الاخ الاكبر لهولاكو نفسه، فبعد ان تخلص من منافسيه على الزعامة، وتم انتخابه قاآناً اعظم في سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م[١] واقترن ذلك بتمكنه من اعادة استتباب الاوضاع الداخلية، قرر مواصلة سياسة اسلافه الذين كانوا عادةً ما ان ينتهوا من حفلات التتويج حتى يبدأ حكامهم في التخطيط لحملات عسكرية جديدة انسجاما مع السياسة المغولية في التوسع التي اطلقها جدهم جنكيزخان وعن تلك السياسة يقول الجويني ((بانه عندما وحَّد منكَوقاأن ملكه وتمكن من العرش، كقاآن اعظم للمغول ... وجه جل اهتمامه الى اخضاع النواحي القصوى من بلاد الشرق وبلاد الغرب))[٢]. ويصف لنا رشيد الدين سياسته تلك بقوله: ((كان منكَوقاآن قد تفكر فراى ان بعض ممالك العالم قد دخل فعلاً في حوزة جنكيزخان، وبعضها لم يستخلص بعد،وان رقعة العالم فسيحة لاحد لها، فاستقر رايه على ان يعهد بكل طرف من المملكة الى واحد من اخوته ليخضعها تماماً لارادته، وليقوم بالمحافظة عليها، بينما جلس هو هادئاً مظفراً وسط دولته حيث المقر القديم للمغول))[٣].

وبعد جلسه مهمة لمجلس القوريلتاي في سنة ٦٤٩هـ/١٢٥١م كلف منكَوقاآن اخاه هولاكو ، الذي لم يتجاوز السادسة والثلاثين من عمره حينئذ قيادة الحملة على بلاد الخلافة الشرقية[٤]، من اجل تحقيق انجاز عمل سياسي وعسكري لم تتمكن اندفاعات المغول الاولى من تحقيقه، وكان من بين ما تستهدفه الحملة الجديدة وضع حد لنظام حكم ولاة الاقاليم غير المستقر الذي ظل قائماً في شرق ايران منذ ان تم القضاء على الدولة الخوارزمية في سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م وتوطيد سلطان المغول السياسي والاداري الفعلي فيها، وكذلك

---

(١) الجوزجاني،طبقات ناصري،جـ٢،ص١٧٨؛رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ٢،ص٦٨٥.

(٢) تاريخ جهانكشاي،جـ٣،ص٩٠.

(٣) جامع التواريخ،جـ٢،ص٦٨٥.

(٤) في الوقت نفسه كلف اخاه الاخر قوبيلاي بمهمة تدبير اوضاع ممالك الصين، وهو امر لايهمنا فقد سارت الحملة في طريقها المرسوم لها. وللتفصيل عنها، انظر: رشيد الدين،جامع التواريخ،جـ١،ص٦٠٠ وما بعدها؛ الصياد، المغول،ص٢١٦-٢٢٤؛

Grousset, L' Empire des Steppes, pp. 449-455.

كان من بين اوامره القضاء على طائفة الاسماعيلية في شمال ايران،واخضاع الخلافة العباسية في بغداد واحتلال بلاد الشام ومصر[1].

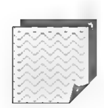
اما عن سبب اختيار منكوقاآن لهولاكو شخصياً دون غيره من قادة المغول الكبار لتنفيذ هذه المهمة الكبيرة، فهو امر يتطلب التوقف عنده وتحليله، ولاسيما ان هولاكو لم يسبق له ان شارك بحملة مماثلة على هذا المستوى او حتى دونه، بينما كانت توجد بين شخصيات النوين العسكرية اكثر من شخصية مغولية تمتلك مقومات القيادة ولها القدرة للقيام بمثل هذا العمل الكبير علاوة على تمرسهم وخبرتهم بامور البلاد المراد فتحها، من امثال بايجو وكتبغا وغيرهما من مقدمي المغول، في وقت يجهل هولاكو هذه المسالك والممالك،لانه قضى معظم حياته بالعاصمة قراقورم وضواحيها.

اما عن تكليف هولاكو حصراً لهذه المهمة من بين افراد الاسرة الجنكيزخانية نفسها، بل حتى دون اخوته من ابناء تولوي فمسألة اخرى تثير التساؤل؟ وللاجابة نقول ان منكَوقاآن الاخ الاكبر لهولاكو بما انه كان يهدف من وراء هذه الحملة الجديدة احتلال البلاد الغربية احتلالاً مستقراً وضمها الى املاك الامبراطورية المغولية، فكان عليه ان لا يخالف ما جرت به العادة المغولية التي تلزم بان تكون قيادة كل الحملات الكبرى مناطة مسؤوليتها لاحد امراء البيت الجنكيزخاني الحاكم، ولاسيما ان العرف المغولي يعد البلاد المفتوحة ملكاً للفاتحين، فمن الطبيعي ان القاآن كان يحرص كل الحرص على ان لا يسمح لاحد من غير افراد هذه الاسرة بتملك الاراضي الجديدة التي يتم احتلالها[2]. اما عن سبب انتخاب هولاكو لهذه الحملة دون غيره من افراد الاسرة الجنكيزخانية نقول ان منكَوقاآن قد شهد بنفسه الصراع المرير بين بيوتات هذه الاسرة على العرش، ومانتج عنه من اجنحة متخاصمة، فاخذ يعمل على تعزيز قوة ونفوذ اسرته (آل تولوي) في مواجهة فروع الاسرة الاخرى، فاراد ان يقوم احد اخوته بحكم البلاد التي تتوسط بين املاك ابناء عمومته، آل الجغتاي في بلاد ما وراء

---

[1] الجويني،تاريخ جهانكشاي،جـ٣،ص٩١؛ رشيد الدين،جامع التواريخ،جـ٢،ص٦٨٦.

[2] كل الحملات الكبرى السابقة التي خاضها المغول سواء في الصين او البلاد الاسلامية او اوربا اوكلت قيادتها الى امراء من الاسرة الجنكيزخانية حصراً. انظر :بارتولد،تركستان،ص٦٥٢.



النهر، وآل جوجي الذين يحكمون القبيلة الذهبية في القبجاق، حتى يحول في وجه أي تحالف مستقبلي بين الطرفين قد يستهدف اسرة ال تولوي.

وكان اختيار هولاكو من بين اخوته تحديداً لهذه الحملة يعود لاسباب في مقدمتها ان الاخ الثاني للقاآن، وهو قوبيلاي، الذي كان يكبر هولاكو بسنتين، ويعرف بمهارته السياسية والعسكرية، فقد راى منكَوقاآن من الاجدر تكليفه بتدبير اوضاع ممالك الصين دون غيرها من الاهداف، وكان اختياره لهذه المهمة موفقاً، فقد عرف عن قوبيلاي الاهتمام الشديد بمظاهر الحضارة الصينية، لانه كان قد تلقى تعليمه على يدي معلمين صينيين[1]. في حين ان الاخ الاصغر للقاآن، وهو اريق بوقا، فقد كان يعد حسب العرف المغولي وريث اليورت الخاص بابيه، ومن غير الضروري تكليفه بحملة خارجية،علاوة على انه لا يحمل من المؤهلات والكفاءة التي كانت لدى اخيه هولاكو. ومن هنا وجد منكوقاآن ان حملة كبيرة على البلاد الغربية لابد ان تكون احوج لقائد كفوء،وزعيم قوي تتوفر عنده الرغبة والطموح بانشاء مملكة مغولية ليحظى بلقب (الخان) والمصادر المغولية تؤكد ان القاآن وجد توافر تلك الصفات في هولاكو، فالمؤرخ الجويني يعزوه الى ما عرف عن هولاكو من الصلابة واليقظة والحذر[2]، لا وبل انه يفصح بدقة عن اسباب ميل منكَوقاآن الى تكليف هولاكو لاداء هذه المهمة دون غيره بقوله: ((ان منكَوقاآن اقطع البلاد الغربية لاخيه هولاكو، لانه كان واثقاً من انه سيستطيع بجيشه القوي ان يسيطر على تلك الاقاليم، وان يكون منها مملكة خاصة به وبأبنائه من بعده))[3]. والى هذا يذهب رشيد الدين عندما يشير الى: ((ان منكَوقاآن كان يتوسم في اخيه مخايل الملك، ويرى في عزائمه مراسم الفتح والغزو))[4].

---

(1) للتفصيل عن ذلك انظر: رشيد الدين،جامع التواريخ،جـ١،ص٦٠٠ وما بعدها؛ الصياد، المغول،ص٢١٦-٢٢٤؛
Grousset, The Rise and Splendour of the Chinese Empire (Los Angels, 1970,p.230).

(2) تاريخ جهانكشاي،جـ٣،ص٩٠.

(3) المصدر نفسه،جـ٣،ص٨٦.

(4) جامع التواريخ،جـ٢،ص٦٨٥.

ونرجح ان تكون هناك اسباب شخصية في نوايا منكَوقاآن من هذه المسالة، منها عامل الرغبة في مكافأة هولاكو على المواقف الشجاعة التي وقفها من القاآن قبل وفي اثناء ترشيحه الشخصي لقاآنية المغول. وهناك ايضاً الرغبة الشخصية في التخلص من أي تحدي قد يسببه الامراء الذكور من بيت تولوي، فهو ما ان تخلص من الشخصيات المغولية المتنفذة، ولاسيما اولئك الذين نافسوه على العرش، والدور الكبير الذي قام به هولاكو في تحقيق ذلك، حتى شعر ان هذا الاخير قد تحول الى شخصية متنفذة تشكل خطراً على قاآنيته، على ما عرف به هولاكو من شدة الباس، وعدم الهيبة من شيء، فبات وجوده الى جانبه في العاصمة قراقورم يسبب له القلق الى حد ما ، فاخذ يعمل على التخلص منه عن طريق ابعاده، بتحميله مسؤولية الحملة الجديدة. ومما يجعل هذا الافتراض قريباً من الصحة، هو ما اورده مؤرخو المغول انفسهم بهذا الشأن، وان كان بشكل غير مباشر، فكلا من الجويني ورشيد الدين يذكران بعد نقلهما لوصية القاآن لاخيه هولاكو، بعد تسميته لقيادة الحملة، عبارة: ((ولكن مع هذا اوصاه في (الظاهر) بان يعود الى مقره الاصلي حينما يفرغ من انجاز مهمته))[1]. والواضح ان كلمة (الظاهر) تؤكد انهما يعتقدان بشكل لا لبس فيه ان منكَوقاآن كان في واقع الامر يبطن خلاف ما يظهر، وانه كان يرغب في ان يستقر اخاه هولاكو بشكل نهائي في البلاد التي سيخضعها لسلطته.

وخلاصة القول ان اختيار هولاكو على راس الحملة على بلدان الخلافة الشرقية، جاء لاعتبارات مرتبطة بشخصية القاآن الجديد للمغول، الاخ الاكبر لهولاكو ومساعيه في ترتيب البيت المغولي الداخلي بما يخدم مصالحه ومصالح اسرته من جهة، وتوافر المزايا الشخصية لدى هولاكو، واستعداده الذاتي لتحمل قيادة مثل تلك الحملة الكبيرة من جهة اخرى[2].

---

(1) تاريخ جهانكشاي،جـ٣،ص٩١؛جامع التواريخ،جـ٢،ص٦٨٧.

(2) وتعزو بعض المصادر الاوربية سبب تكليف هولاكو لقيادة الحملة لرواية غير موثوقة ملخصها: ان هيثوم ملك ارمينية الصغرى هو الذي تمكن من اقناع منكوقاآن بتحويل نظره عن الممالك النصرانية، والاتفاق مع هولاكو، الذي كان على خلاف اخيه متأثراً بامه النسطورية وما يحمله من عطف على النصرانية بصورة عامة، ويحلم باقامة مملكة مترامية الاطراف في غرب اسيا على حساب المسلمين، على العمل سوية واقناع القاآن بعهد المهمة الى هولاكو. انظر:

Howorth, op.cit., vol.3, p.92.

التفويض الرسمي بتسمية هولاكو لقيادة الحملة على بلدان الخلافة الشرقية

بعد جلسة مهمة للقوريلتاي طلب منكَو قاآن المغول الاعظم من اخيه هولاكو قبل الرحيل صوب ايران، اداء يمين الولاء والطاعة لـ (كَوك تنكَري)[1] الاله العظيم لدى المغول، وبالقسم على عدم خيانة اخيه، وان يكون اميناً للعهد[2]. وبعد ان أدى هولاكو ما طُلب منه، تلقى التفويض الرسمي بقيادة الحملة على البلاد الغربية من اخيه القاآن على شكل وصية[3]. ويعد هذا التفويض وثيقة مهمة تبين الاهداف السياسية والعسكرية الحقيقية التي تقف وراء الحملة المغولية الثانية على العالم الاسلامي، بعد حملة جنكيزخان سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م. وهي وثيقة مغولية اصلية لم يلحق بها تحريف او تزوير، فبعد ان تنوه الوصية بحجم الجيش الذي وضع تحت قيادة هولاكو، تحدد بدقة البلاد المراد غزوها، فضلاً عن المهام الاخرى، المكلف بتنفيذها، وفي مقدمتها الحرص على جعل قانون الياسا الجنكيزخانية، نافذاً على تلك البلاد: **((انك الان على رأس جيش كبير، وقوات لا حصر لها، فينبغي ان تسير من توران[4] الى ايران ... وتحافظ على تقاليد جنكيزخان وقوانينه في الكليات والجزئيات، وخُص كل من يطيع اوامرك ويتجنب نواهيك في الرقعة الممتدة من جيحون حتى اقاصي بلاد مصر -بلطفك وانواع**

---

(١) كان الترك يصفون الله في المتون القديمة والكتابات الدينية بهذه الصفة. وتعني ايضاً اله السماء الزرقاء. (عباس اقبال، تاريخ مفصل ايران،جـ١،ص٣٠-٣١).

(٢) رشيد الدين،جامع التواريخ،جـ٢،ص٦٨٦.

(٣) الجويني،تاريخ جهانكشاي،جـ٣،ص٨٩؛رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ٢،ص٦٨٦؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا،جـ٥،ص٢٢٩؛قاضي احمد غفاري قزويني (ت٩٧٥هـ/١٥٦٧م)،تاريخ جهان آرا (طهران: كتابفروشي حافظ،بلا.ت)،ص٢١٢.

(٤) وتطلق على بلاد ما وراء النهر، ويقال لمن يحكمها توران شاه (ياقوت الحموي، معجم البلدان،جـ٢،ص٥٧)، وكانت تطلق على عموم بلاد الترك في القرن السادس الميلادي.انظر :بارتولد،تاريخ الترك، ص٨٥.

عطفك وانعامك. اما من يعصيك؛ فاغرقه في الذل والمهانة مع نسائه وابنائه واقاربه، وكل ما يتعلق به))[1].

ويحدد التفويض لهولاكو ان يبدأ بتقويض السلطتين الروحيتين الممثلتين للطائفة الاسماعيلية في شمال ايران، والخلافة العباسية في بغداد، فيخاطبه بالقول: ((**وابدأ باقليم قهستان**[2] **في خراسان فخرب القلاع والحصون. فاذا فرغت من هذه المهمة، فتوجه الى العراق، وازل من طريقك اللور**[3] **والاكراد الذين يقطعون الطرق على سالكيها، واذا بادر خليفة بغداد بتقديم فروض الطاعة، فلا تتعرض له مطلقاً. اما اذا تكبر وعصى، فالحقه بالاخرين من الهالكين))**[4].

ويتضمن التفويض اشارة واضحة يفهم منها ان هولاكو، لم يكن مجرد قائد عسكري لحملة تستهدف اعداء المغول فقط،وانما عليه ان يقيم دولة يحكمها بنفسه نيابة عن القاآن، وان يفرض سلطانه على سكان البلاد المفتوحة **((... كذلك ينبغي ان تجعل رائدك في جميع الامور، العقل الحكيم والرأى السديد، وان تكون في جميع الاحوال يقظاً عاقلاً، وان تخفف على الرعية التكاليف والمؤن، وان ترفه عنهم. واما الولايات الخربة، فعليك ان تعيد تعميرها في الحال. وثق انك بقوة الله العظيم، سوف تفتح ممالك الاعداء، حتى يصير لك فيها مصايف ومشاتي عديدة**[5]**، وشاور دوقزخاتون (يقصد زوجة هولاكو)**

---

(1) الجويني، تاريخ جهانكشاي،جـ٣،ص٩٠؛رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ٢،ص٦٨٦؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا،جـ٥،ص٢٢٩.

(2) قهستان: تطلق على مناطق الجبال الممتدة من اطراف هراة حتى نهاوند وبروجرد (ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٤، ص٤٧٢).

(3) وقد عرفت هذه القبائل ايضاً باسم (قرا ألوس)، وموقع سكناها في الجزء الشرقي من العراق. انظر: عباس اقبال، تاريخ مفصل ايران،جـ١،ص٢٣-٢٤؛
G.L. Harris,Iraq, its people its society its culture (New York, 1958), p.43.

(4) الجويني، تاريخ جهانكشاي،جـ٣،ص٩٠؛رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ٢،ص٦٨٦؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا،جـ٥،ص٢٣٠، المستوفي القزويني، تاريخ كَزيده ،ص٥٨٩.

(5) كان المغول يسكنون الخيام، كما هو متبع عند القبائل البدوية، واعتادوا ان يغيروا اماكن اقامتهم صيفاً وشتاءاً، وجرياً على هذه العادة كانوا يختارون اماكن يقضون فيها الصيف (بيلاق) واخرى يقضون فيها الشتاء (قشلاق). انظر: الصياد، المغول،ص٢٤٧.

في جميع القضايا والشؤون))[1]. ومن ملاحظة نص التفويض الرسمي يتبين ان خطة الحملة العسكرية كانت تفصيلية، مما يؤكد ما ذهبنا اليه من ان خطة الاعداد والتحرك قد اقرت بشكل نهائي في قراقورم عاصمة المغول، وان هولاكو كان يسير بمقتضاها ولم يحد عنها، على الرغم من ما اشارت له بعض المصادر من مناقشات واستشارات، والتي لا تعدو ان تكون من باب التوفيق بين ماهو مرسوم مسبقاً وبين التطبيق الميداني.

الاعداد للحملة وإجراءات هولاكو لتنظيم الجيش وترتيب تشكيلاته

في ضوء التفويض الرسمي من القآن لهولاكو، اصبح من اولى مهامه اتخاذ الاجراءات اللازمة لتهيئة الجيش الذي سيتولى مهمة احتلال البلاد الشاسعة الممتدة بين مناطق ماوراء النهر وحتى حدود مصر، والتي سيناط لهولاكو مسؤولية حكمها نيابة عن القآن.

ويلاحظ بداية ان المصادر لا تعطي دوراً متميزاً لهولاكو في الاعداد للحملة وتوفير مستلزماتها، وما يبرر هذا الامر على ما يبدو ان هذا الاعداد كان من عمل وصلاحيات القآن الاعظم وحده، الذي يأخذ على عاتقه بموجب قواعد الياسا توفير كل ما يكفل للحملة من نجاح، وبما انه كان يعرف تمام المعرفة ما سيعترض اخاه من صعوبات ومشاكل جمة، نظراً لجسامة المهمة التي اسندت اليه،فاراد ان يهيأ كل اسباب النجاح لاخيه في تلك المهمة المنتظرة، وفي مقدمتها ان يكون قوام جيشه ضخماً، فقد امر ان يرافق هولاكو الخمس من كل رجال القبائل المغولية ليكونوا بمثابة الحرس الخاص له[2]، وعماد جيشه المكلف

---

[1] الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٣،ص٩٣؛رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ٢،ص٦٨٦؛
J.Von Hammer Purgstall,The History of the Assassins, translated from the German by Oswald Charles Wood (New York, 1968), p.166-167.

[2] الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٣،ص٩٠؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٦٢، رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ٢،ص٦٨٦؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية،ص٢٥٣.



بالحملة على مشرق العالم الاسلامي[1]، وان يكون معه امراء منحدرين من نسل كل ابناء جنكيزخان[2]. واوعز القاآن الى القائدين بايجونوين وجرماغون الموجودين في بلاد الروم، واللذان كان يمثلان السلطة المغولية في المناطق الغربية بان يستعدا للانضمام لجيش هولاكو حال وصوله[3]. كما امر القاآن بان تلتحق القوات التي ارسلت من قبل الى كشمير والهند بذلك الجيش وتتبع له[4].

وأُعطيت الاوامر بجلب الف اسرة من الخطأ[5] المدربين على استعمال ادوات القتال من المناجيق[6]، واخرون مختصين في الالات القاذفة للنفط والمواد المحترقة الاخرى[7]، ورماة السهام[8]. وارسل معه المرشدين ليختبروا الطريق الذي سوف يمر منه الجيش من حدود قراقورم حتى شاطئ نهر جيحون[9]. كما رافق الجيش عدداً من المهرة لتنفيذ المهام التي تتطلبها الحرب كاقامة الجسور وحفر الخنادق وغيرها[1]. ثم ان القاآن قام بارسال الوفود التي تحمل الاوامر العليا، الى

---

(١) على ان يستثنى من ذلك جنود جنكيزخان الذين قسموا بين ابنائه واخوته وابنائهم. انظر: رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢،ص٦٨٦.

(٢) المصدر نفسه،جـ٢،ص٦٨٦. باستثناء ابناء اوكتاي فلم تثبت لنا المصادر وجود احد منهم في الحملة.

(٣) المصدر نفسه،جـ٢،ص٦٨٥.

(٤) المصدر نفسه،جـ٢،ص٦٨٥.

(٥) كانت اراضي القراخطائيين، او دولة الخطأ، حسبما يرد في المصادر الاسلامية تقع في الاجزاء الجنوبية من منشوريا وغربي منغوليا، وكانت لهم دولة قوية، واسعة النفوذ استمرت لما يقرب قرن من الزمن ما بين سنتي ٥١٩هـ/١١٢٥م وحتى سنة ٦٠٨هـ/١٢١١م عندما اجتاحتها قبيلة النايمان واحتلت اراضيها، ثم دخلت جميع اراضي القراخطائيين تحت سلطة المغول سلماً بعد ان تمكن جنكيزخان من القضاء على دولة النايمان. انظر: رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ١،ص٢٣٤-٢٣٥؛
F.A.Witfokel and Chia-Sheng, History of Chinese Society: Liao (907-1152), translated from Chinese sources (Philadelphia,1949), p.32.

(٦) هذه الالات التي يقذف اللهب جلبت من الصين الى تركستان في العربات وهي مفككة الى خمسة او ستة اجزاء، ويمكن بسهولة تجميعها ثانية تحت اشراف مهندسين ماهرين اعدوا لهذا الغرض. انظر:
Howorth, op.cit.,vol.3, p.97.

(٧) كما زودت حملة هولاكو بكميات كبيرة من القذائف النارية، ملئت بها المخازن التموينية الخاصة بكل فرع من فروع الجيش المغولي. انظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي،جـ٣،ص٩٢-٩٣؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية،ص٢٥٣.

(٨) رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ٢،ص٦٨٧.

(٩) الجويني، تاريخ جهانكشاي،جـ٣،ص٩٣.

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ٢،ص٦٨٧؛

جميـع الحكـام والملـوك والسـلاطين التـابعين للسـلطة المغوليـة، ومـن بيـنهم سـلاطين السـلاجقة فـي بـلاد الـروم، وامـارة الموصـل، واتابـك فـارس وحـاكم كرمـان. وتقضـي اوامـر منكَوقـاآن لهـم بـان يسـاهم كـل فـرد مـن اولئـك الحكـام بنصـيب مـن الرجـال ومـؤن الجـيش لتنضـم تحـت خدمـة هولاكـو[٢]. وامـر القـاآن ايضـاً بـان تقـوم قـوة اسـتطلاعية مـن اثنـي عشـر الـف جنـدي بقيـادة كتبغـانوين بالتوجـه الـى قـلاع الاسماعيلية لتمهد الطريق امام الحملة التي يقودها هولاكو[٣].

امـا مـن ناحيـة تمـوين الجـيش الـذي كلـف هولاكـو بقيادتـه، فقـد امـر منكَوقـاآن بـان يخصـص لكـل جنـدي مائـة تغـار[٤] مـن الـدقيق وقربـة مـن النبيـذ فضـلاً عـن قطعـة مـن الجلـد يسـتخدمها لبـاس لـه[٥]. ولكـي يـؤمن القـاآن مزيـداً مـن المـؤن لرجـال الحملـة والـدواب التـي تحمـل الجـيش ومعداتـه، قـام بارسـال ايلجيـات متعـددة لابـلاغ تعليماتـه الـى مـن يعنيـه الامـر، بـان توضـع جميـع الاراضـي الواقعـة فـي مسـيرة الجـيش مـن نقطـة الانطـلاق فـي منغوليـا حتـى حـدود التركسـتان تحـت الحظـر، وتصـبح اراضٍ محرمـة لاي نـوع مـن انـواع الحيـوان السـماح بـالرعي فيهـا،لكي تبقـى

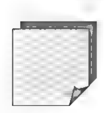
Bretschnieder,op.cit.,vol.1, pp.113-114.

(٢) كما طلب القآن ايضاً من حلفاء المغول من غير المسلمين في ارمينية الصغرى والكرج، الذين قدموا انفسهم كتابعين للسلطة المغولية، على امل تحقيق مكاسب اقليمية على حساب اراضي المسلمين، ان يساهموا بشكل فعال في دعم حملة هولاكو بالرجال والعدة. انظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي،جـ٣،ص٨٩-٩١؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٢٥٥.

(٣) رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ٢،ص٦٨٩-ص٦٩٠؛
Howorth, op.cit., vol.3, p.95.

(٤) التغار او الطغار: لفظة تركية تعني الجراب والوزن. وهو يساوي عشرين وزنة، والوزنة اربعة امنان، والمن اربعاً وعشرين اوقية، والاوقية خمسين مثقالاً. انظر: عباس العزاوي، تاريخ النقود العراقية لما بعد العهود العباسية (بغداد: شركة التجارة والطباعة، ١٣٣٧هـ/١٩٥٨م)،ص٩٩.

(٥) الجويني، تاريخ جهانكشاي،جـ٣،ص٩٣. وللتأكيد نكرر ان اجراءات منكَوقاآن هذه جاءت على وفق قانون الياسا الجنكيزخانية، حيث ورد فيه انه ينبغي عند الاستعداد لاية حملة عسكرية، ان يؤخذ المقياس على ما يشعر به رجل جائع وظمآن. وعلى هذا الاساس يؤخذ في الاعتبار ان كل رجل مشترك في الحملة له نفس الظروف. ومن هنايعتبر قائد هذا الجيش رجلاً جائعاً عطشاناً، ليقوم بتجهيز الجيش على افضل شكل ويتزود باحسن زاد، لئلا يشعر الرجال المحاربون بجوع ،او بعطش. وهذا يعني ان اية حملة عسكرية يجب ان تكون استعداداتها منسجمة تماماً مع قوة اضعف رجل محارب مشترك في تلك الحملة، والتحسب لاسوء الاحوال التي ربما سيعانيها الرجال. انظر: رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ١،ص٤٣٧؛ الغامدي،سقوط الدولة العباسية،ص١١٥.



الارض مخضـرة، ومراعيهـا غنيـة تكفـي لـدواب الجـيش الغـازي[1]. كمـا كانـت التعليمـات تقضـي بـان يقـوم امـراء الاطـراف مـن المغـول والمسـلمين بتـوفير المأكـل والمشـرب (علوفـة)،[2] وتخصـيص الافـراس مـن قطعـانهم لعمـل شـراب المغـول التقليـدي (القميـز)[3] فـي جميـع المراحـل التـي يمـر بهـا الجـيش[4] وطلـب منـهم ايضـاً اعـداد السـفن الكبيـرة لعبـور الانهـار[5]. وبـلا ريـب ان تلـك الاسـتعدادات والاجـراءات الهائلـة التـي قـام بهـا منكوقـاآن فـي دعـم الحملـة تعـد اهـم مصـادر القـوة التـي اسـتند عليهـا هولاكـو، وكمـا يبـدو واضـحاً مـن خـلال اجـراءات القـاآن الاعظـم ان دور هولاكـو فـي هـذه المرحلـة كـان مقتصـراً علـى الامـور التنظيميـة والاداريـة وحـدها، ففـي ربيـع الاول مـن سـنة ٦٥٠هـ/الثـاني مـن مـايس/١٢٥٢م[6] عـاد مـن بـلاط اخيـه الـى مقـره الخـاص[7] حتـى يسـتكمل تنظـيم الجـيش الـذي عهـد لـه بقيادتـه، وترتيـب امـور معسـكره قبـل رحيلـه[8]. وخـلال التحضـيرات الطويلـة التـي اسـتغرقت عامـاً كـاملاً[1]، تـوفر لهولاكـو الوقـت الكـافي لاسـتقبال الامـراء المغـول، الـذين توافـدوا الـى معسـكره لتقـديم الهـدايا، ومسـاهمة كـل

---

(١) الجويني، تاريخ جهانكشاي،جـ٣،ص٩٣؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٢٥٤؛ Howorth,op.cit.,vol.3,p.97;Hookham,Tamburlaine The Conqueror, (London,1962), p.97.

(٢) وفيما عدا ذلك مثل الجواهر والثياب وغيرها يطلق عليه المغول لفظ (ترغو). رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ٢،ص٦٨٧.

(٣) وطريقة صنعه بان توضع البان الافراس في قراب، ثم تخض بشدة وتترك حتى تصبح خمراً . انظر: B. Spuler, History of the Mongols, (London,1972), p.92.

(٤) الجويني، تاريخ جهانكشاي،جـ٣،ص٩١؛ رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ٢،ص٦٨٦.

(٥) الجويني، تاريخ جهانكشاي،جـ٣،ص١٠٢.

(٦) ويوافق ذلك اخر سنة الثور (هوكربيل) حسب تقويم الحيوانات الاثني عشر المغولي. انظر: رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ٢،ص٦٨٧.

(٧) لم تحدد لنا المصادر مكان المعسكر الخاص به، ولكن على الارجح انه لم يكن بعيداً عن قراقورم عاصمة المغول.

(٨) رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ٢،ص٦٨٧.

(١) تم الانتهاء منها في ربيع الاول سنة ٦٥١هـ/١٢٥٣م. انظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي،جـ٣،ص٩٦؛ حسن الامين، الاسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي (بيروت: مطبعة باقري، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)،ص١٥٤.

واحد منهم من الطعام والمؤن[٢]. ويدلل حسن التنظيم والقيادة المحكمة التي ظهر بها الجيش المغولي فيما بعد، على مقدار الجهد الذي بذله هولاكو في تنظيمه وترتيبه ادارياً .فمن المعروف ان هذا الجيش يبدو غير متجانساً فقد تم تشكيله على اساس الروابط القبلية، حيث مثلت فيه كل العناصر المغولية والتركية (الالوس) المنضوية تحت لواء الامبراطورية المغولية باوامر عليا صدرت من القاآن الاعظم. الا ان المعلومات المتوفرة تشير الى ان هولاكو كان ابناً للمدرسة الجنكيزخانية في تنظيم جيشه، إذ اعتمد على ما كان سائداً من نظام عام ظل متبعاً في الجيوش المغولية منذ ايام جنكيزخان، والمتمثل بالنظام العشري الذي يقسم الوحدات العسكرية الى مجموعات من العشرات[٣] والمئات[٤] والالاف[٥] وعشرات الالاف[٦]، والوظائف العسكرية المرتبطة بهذا التنظيم هي امير عشرة، وامير مئة، وامير الف. اما امراء النوين التي هي اعلى رتبة في الجيش المغولي،وتعكس غالباً تسلسل القيادات الحربية الموروثة، فكان ممثليها يتولون قيادة فرق العشرة الاف، ويعدون من مقدميه. وبواسطة هذا التنظيم تمكن هولاكو من تحقيق الانضباط بين افراد جيشه[٧]، وايجاد وحدة متجانسة من المجموعات القبلية المختلفة، مما سهل عليه كثيراً ادارة دفة الاعداد الكبيرة من الجند المكلف بقيادتهم. وقد ساعد هولاكو كثيراً في مهمته ان المغول عرفوا بالطاعة العمياء لقادتهم الى حد التضحية بالنفس[١].

---

[٢] رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ٢،ص٦٨٨.

[٣] ويطلق عليها بالمغولية لفظ (اريان). (عباس اقبال، تاريخ مفصل ايران،جـ١،ص١١٨).

[٤] ويطلق عليها لفظ (دن). (المرجع نفسه،جـ١،١١٨).

[٥] وتسمى (منجان). (المرجع نفسه،جـ١،ص١٩٩).

[٦] وتسمى (تومان). القلقشندي، صبح الاعشى،جـ٤،ص٤٣، فايد حماد عاشور، العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الاولى (القاهرة: دار المعارف،١٩٧٥)، ص٣٣؛
F.W.Cleaves, The Mongolian Name and Terms in the History of the Nation of the Archers (Boston:-Harvard University Press,1954), p.54.

[٧] كان هذا التنظيم صارماً الى الحد ان الفرد يعدم ومعه قائده اذا ترك وحدته التي ضُم اليها، وقد ادى هذا التنظيم على تحويل الانضباط القبلي البسيط ازاء رئيس القبيلة الى الخضوع لتعبئة اجبارية ازاء امراء الوحدات. (الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ١، ص١٩-٢٠).

[١] يذكر القلقشندي ((انهم اعظم الامم طاعة لسلاطينهم، لا لمال، ولا الجاه،بل ذلك دأب لهم)) (صبح الاعشى، جـ٤، ص٣١٢). ويقول ابن العماد ((هم أولو كلمة مجتمعة، وقلب واحد، ورئيس مطاع)).

وقبـل بـدء رحلتـه عهـد هولاكـو لابنـه تمكـاين ان يقـوم مقامـه اثنـاء غيابـه[٢]. واوصى ابنه الاخر جومقور ان يقوم بتمثيل مصالحه لدى القاآن[٣].

مسير هولاكو وجيشه نحو البلاد الغربية (مشرق العالم الاسلامي)

انطلـق هولاكـو فـي الثـاني عشـر مـن ربيـع الاول سـنة ٦٥١هـ/الثـاني مـن مـايس ١٢٥٣م[٤]، وقـد اصـطحب معـه اخـاه الاصـغر سـونتاي اوغـول[٥]، وابنائـه الكبـار يشـموت واباقـا، ورافقتـه زوجتـه اولجـاي خـاتون، وامـرأة ابيـه دوقـز خـاتون- التـي اصـبحت زوجتـه فيمـا بعـد، وصـحبه الامـراء والقـادة الكبـار وبيـنهم عـدد مـن اصهاره[١].

(شـذرات الـذهب، جـ٥، ص٧٣). وعـن مـدى طاعـة الجنـد لهولاكـو يـروي الصـارم ازبـك مملـوك الاشـرف صـاحب حمـص انـه كـان حاضـراً عنـد هولاكـو، فدخل عليـه رجل من المغول وفي يده رأس مقطوعـة مـن رؤوس التتار، صفة شاب لاشعر في وجهه، فرماها بين يديه، وتحدث معه بالمغولية، وانا لاافهم مايقول، ثم اخذ الرأس وخرج. فالتفت لي الحاجب وقال: تدري ماهذه الرأس، وماهذا الرجل؟ قلت: لا. قال هذا الرجل احد مقدمي التتار، وكان في نقب من نقوب حلب، فخرج لبعض شغله، وترك ولده مكانـه، فهاجمهم الحلبيين وهرب ولده مع الذين كانوا معه، فبلغ ابوه ذلك، فدخل النقب وقطع رأس ولده، وجاء بها الى الخان كما ترى (الدواداري، كنز الدرر، جـ٨، ص٥٣).

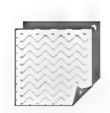
(٢) الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٣، ص٩٧؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٧٩؛
Howorth, op. cit., vol.3, p. 96.

(٣) وذلك لكون امه كويك خاتون كانت اكبر زوجات هولاكو، ويطلق عليها كوي خاتون، أي السيدة الكبيرة. انظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٣، ص٩٧؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٦٣.

(٤) يؤكد الجويني الذي كان مرافقاً للحملة هذا التاريخ (تاريخ جهانكشـاي، جـ٣، ص٩٦). بينما يجعله رشيد الدين في ذي الحجة سنة ٦٥١هـ/١٢٥٣م (جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٨٧).

(٥) الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٣، ص٩٦. وقد توفي سونتاي اوغول في شهر شعبان سنة ٦٥٣هـ/١٢٥٥م بمراعي (كان كَل) بسمرقند، قبل ان يبدأ هولاكو هجومه على قلاع الطائفة الاسماعيلية. (رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٨٨).

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٨٨؛
Boyle, C.H. of Iran, vol. 1-5, p. 340



لا تزودنا المصادر بمعلومات ذات اهمية عن الطريق الذي سلكه هولاكو وجيشه في زحفهم من قراقورم حتى وصولهم مدينة المآليغ[٢] في سنة ٦٥٣هـ/١٢٥٥م[٣]،سوى ان هولاكو اختار طرقاً توفر فيها المراعي الجبلية ملاذاً من حرارة صيف تلك السنة[٤].

وتشير المصادر الى ان استراحته في المآليغ كانت موفقة، فقد استقبل هولاكو وجيشه من قبل اورغنه خاتون (ارملة قراهولاكو)[٥] حاكم الوس الجغتائي في التركستان ردحاً من الزمن[٦]، وقد قامت هي والاميرات في هذه الاراضي بضيافة هولاكو وجنده، واقامت لهم ولائم عديدة متتالية[٧]، ثم سار هولاكو باتجاه اراضي ماوراء النهر، حيث استقبل بحفاوة بالغة من النائب المغولي مسعود بيك مقدماً له بدوره فروض الطاعة[١]. وبما ان هولاكو كان يسير على مراحل قصيرة غير مرهقة، فقد امر بنصب مخيمات جيشه في مكان يقع على الحدود بين التركستان واراضي ما وراء النهر حيث قضى فصل الصيف هناك[٢].

---

(٢) المآليغ او المآليق: وتعني (بستان التفاح) هي قرية على نهر جيحون (ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٥، ص٥٤).

(٣) تذكر المصادر الصينية ان جيش هولاكو لقي بعض المتاعب في الاسبوع الاول من رحلته عندما كان بالقرب من جبال خانقاي التي تقع الى الغرب من الصين، حيث كانت المنطقة مكسوة بالثلوج وتتعرض لهبوب الرياح الشديدة. انظر:

Howorth, op. cit., vol.3, p. 193.

(٤) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٨٨.

(٥) هذه المرأة كانت حينئذ هي الحاكمة لهذه الاراضي المغولية باسم ابنها مباركشاه بعد وفاة زوجها قراهولاكو بن ماتيكان بن جغتاي، وكانت هذه الاراضي التي منحها جنكيزخان لابنه الثاني تشمل اراضي الاويغور والقراخطائية، وجميع المناطق المحيطة ببحيرة بلكاش ووادي نهر تاريم وتركستان وماوراء النهر بما في ذلك بخارى. انظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ١، ص٤٣؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص١٤٢.

(٦) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٨٨؛

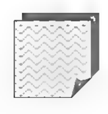
Boyle, C.H. of Iran, vol. 5, p. 341.

(٧) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٨٨؛

Howorth, op. cit., vol.3, p. 98.

(١) كان مسعود بيك يعد الحاكم الحقيقي لجميع الاراضي في خراسان وماوراء النهر، وقد اسند اليه حكم هذه البلاد الشاسعة، نظراً للخدمات التي قدمها والده محمود يلواج للدولة المغولية. انظر: رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ١، ص٥٩٥–ص٥٩٦؛ خواندمير، دستور الوزراء، ص٢٥٧–ص٢٥٨.

(٢) الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٣، ص٩٧؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٢٥٤.



وفي شعبان من سنة ٦٥٣هـ/ايلول ١٢٥٥م نزل هولاكو بمراعي (كان كَل) في سمرقند[٣]، ليمضي اربعين يوماً في خيمة منسوجة بخيوط من الذهب اقامها له مسعود بيك، النائب المغولي فيما وراء النهر، وقد قضى معظم تلك الايام باللهو والشراب[٤]. وقبل ان يستأنف سيره استقبل شمس الدين كرت، حاكم هراة المعين من قبل المغول، والذي قدم اسوة بسابقيه فروض الطاعة والولاء[٥].وعندما بلغ هولاكو مدينة كش القريبة من سمرقند[٦]، اقام خيامه في شهر-ي سبز (المدينة الخضراء)الواقعة الى الجنوب من سمرقند، وهناك مكث طوال شهر شوال عام ٦٥٣هـ/١٢٥٥م استعداداً لعبور نهر جيحون، التحق خلالها بدهليز عمله للعسكر الحاكم المغولي الاداري للاراضي الواقعة غرب نهر جيحون، الامير ارغون اغا، الذي وضع نفسه تحت خدمة هولاكو وجيشه، على نحو ما يقتضيه العرف المغولي[٧].

ويلاحظ ان هولاكو امضى اكثر من سنتين من بداية تاريخ رحلته نحو الغرب حتى وصوله نهر جيحون،مما يستدل منه انه كان يقود الجيش بخطى وئيدة جداً . ويفهم من روايات المصادر الاسلامية تفسيرها لذلك التباطؤ كونه عائد الى استغراق هولاكو اوقاتاً طويلة قضاها في اللهو والمجون وحفلات الصيد[١]. وحول هذه المسألة بالذات يقول هوجسون (M.Hodgson) المختص بالدراسات الاسماعيلية، بان هولاكو كان يسير نحو الغرب وكأنه بنزهة، وليس في حملة حربية[٢]. غير ان المستشرق البريطاني بويل (J.A.Boyle) يعزو البطء في حركة الجيش الى ضخامة حجمه، وما كان محملاً به من الاحمال

---

(٣) الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٣، ص٩٨؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، جـ٣، ص٩٤؛ عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، جـ١، ص٥٠؛
B. Spuler, Die Mongolen In Iran (Berlin, 1955), p. 50

(٤) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٨٨؛ بارتولد، تركستان، ص٦٩٠؛
Howorth, op. cit., vol.3, p. 101.

(٥) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٨٨؛ عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، جـ١، ص١٥٠.

(٦) وهي قرية على بعد ثلاثة فراسخ منها. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٤، ص٥٢٥).

(٧) الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٣، ص٩٨-ص٩٩؛
Bretschnieder, op. cit., vol. 1, pp. 122-132.

(١) الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٣، ص٩٨؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٨٨.

(2) The Order of Assassins, p. 259.

الثقيلة من المعدات والامتعة[٣]. ومع ان هذا الرأي الاخير لا يخلو من صحة، الا انه يمكننا ان نضيف الى ذلك سبب اخر املى على هولاكو ذلك السير المتمهل، وهو ضرورات التعبئة الحربية المتمثلة في جميع وتنظيم القوات العسكرية المختلفة، فالجيش الذي انطلق من قراقورم،وان كان يشكل القوة الرئيسة، الا انه لم يكن بحجمه المعروف الذي استقر عليه قبل الهجوم على طائفة الاسماعيلية، لانه لم يكن قد خرج من العاصمة المغولية دفعة واحدة، وانما سار وفق اسلوب تلقي التعزيزات المستمرة من قبل القبائل المغولية، فكان كلما اجتاز ولاية ينضم اليه ما اعدته قبائلها من رجال، فضلاً عن توالي انضمام وحدات جديدة كانت تتحرك من نقاط مختلفة في اصقاع الامبراطورية الاخرى، فيروي الجويني، الذي كان مرافقاً للحملة، بان تكدار ممثل مغول الجغتائي وفرقته العسكرية لم يلتحقوا بهولاكو الا في مدينة كش[٤]. كما ان الامراء بلغايي وتوتار وقولي ابناء اخوة باتو ممثلي زعيم القبيلة الذهبية اتخذوا الطريق المحاذية للشاطئ الغربي لبحر قزوين في طريقهم للانضمام لجيش هولاكو[٥]. ومن ذلك يتبين ان هولاكو كان يتمهل في سيره بشكل مقصود لكي يعطي الوقت الكافي للوحدات الاخرى للانضمام لجيشه، وانه خطط مسبقاً بان تكون مدينة كش هي الموضع الذي تتجمع فيه كل القوات المكلفة بالقضاء على طائفة الاسماعيلية.

وليست لدينا معلومات مؤكدة عن العدد الذي بلغته هذه القوات، غير ان قائمة النوين المعروفة لنا اسماؤهم، والذين يرأس الواحد منهم فرقة من عشرة الاف رجل، يجعل ما افترضه خواندمير بان جيش هولاكو في هذه المرحلة لم يكن يقل عن مائة وعشرين الف رجل اقرب للواقع، على الرغم من الروايات التي تبالغ في حجمه كثيراً[١].

---

[3] C.H. of Iran, vol.5.p.341.

(٤) تاريخ جهانكشاي، جـ٣، ص٩١.

(٥) المصدر نفسه، جـ٣، ص٩٢.

(١) تاريخ حبيب السير، جـ٣، ص٩٤. فابن كثير يؤكد ان عدد جيش هولاكو كان نحو مائتي الف مقاتل، انظر: البداية والنهاية، ط٧(بيروت: مكتبة دار المعارف،١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)،جـ١٣،ص٢٠٣. اما بويل (J.A.Boyle) فيشير الى ان عدده ربما يفوق عدد الجيش الذي قاده جنكيزخان ضد الدولة الخوارزمية سنة٦١٦هـ/١٢١٩م (C.H. of Iran. Vol.5.p.341).

وكان جيش هولاكو في تقديره النهائي يضم عدد من امراء النوين ينتسبون الى فروع المغول المتنفذة، الكثير منهم يكبرون هولاكو سناً، ولهم باع طويل في الحروب وادارة البلدان التابعة للامبراطورية المغولية. من ابرز هؤلاء كتبغا[٢] الذي ينتمي الى قبيلة النايمان[٣]، ويدين بالمسيحية[٤]، وهو صهر هولاكو[٥]، ويحظى باحترام وتعظيم جميع الامراء المغول لكونه عاصر سيد الاسرة جنكيزخان[٦]. والمصادر المغولية والمملوكية تجمع على انه عسكري مخلص لهولاكو حتى وقت مصرعه في معركة عين جالوت في الخامس والعشرين من رمضان سنة ٦٥٦هـ/الثالث من ايلول ١٢٦٠م[٧].

ويرد في المصادر المملوكية: ((كتبغا نوين كان عظيماً عند التتار، يعتمدون على رأيه وشجاعته وتدبيره،.... خبيراً بالحروب وافتتاح الحصون، والاستيلاء على الممالك، وهو الذي فتح معظم بلاد العجم والعراق، وكان ملك التتار يثق به ولا يخالفه فيما يشير اليه، ويتبرك برأيه))[١] ويفهم من هذا النص ان كتبغا ادى دوراً حاسماً في كل الانجازات العسكرية التي حسبت لقائد الحملة هولاكو، والانتصارات التي لم يكن بالامكان حسمها لولا مشورته. وقد سبق هولاكو بالتوجه صوب اراضي الاسماعيلية بنحو عامين عندما قاد القوة الاستطلاعية (يزك) المكون من اثني عشر الف رجل[٢]،محققاً مكاسب عسكرية

---

[٢] حظي كتبغا بمكانة خاصة عند امراء البيت الجنكيزخاني، فقد خدم الاسرة المغولية الحاكمة لمدة طويلة، وكانت اول وظيفة شغلهامشرفاً عاماً على الطعام والشراب الذي كان يقدم للقاآن، ثم تولى قيادة حراسة الخاصة (باورجي) قبل ان يترفع الى رتبة نوين. وبعد احتلال بلاد الشام عينه هولاكو نائباً عنه في حكم البلاد. انظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٣، ص٧٢؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٨٦، ص٧١٢.

[٣] النايمان من القبائل التركية التي تطبعت بالمغولية، ومناطق سكناها اعلى نهر ارخون، ومنحدرات جبال التاي، وحول ضفاف البحيرات في تلك المناطق، ويدين افرادها بالمسيحية النسطورية. (رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ١، ص٩٥-ص٩٦).

[٤] المصدر نفسه، جـ٢، ص٦٨٦.

[٥] المصدر نفسه، جـ٢، ص٦٨٦.

[٦] المصدر نفسه، جـ٢، ص٦٨٦.

[٧] المصدر نفسه، جـ٢، ص٧١٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ٧، ص٩٠.

[١] اليونيني، ذيل مرآة الزمان، جـ٢، ص٣٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ٧، ص٩٠.

[٢] الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٣، ص٩٤؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٨٦؛

علـى تلـك الطائفـة[٣]، قبـل ان يعهـد اليـه هولاكـو قيـادة الجنـاح الايسـر للجـيش المغولي بالتعاون مع تكدار اغول[٤].

ومـن امـراء النـوين البـارزين، بـايجونوين[٥]، وكـان مـن اشـهر قـادة المغـول العسكريين، ونعـرف بانـه قـد شـغل كثيـر مـن المهـام العسكرية والاداريـة، فقـد تـولى حكـم الاقلـيم الرابـع مـن اقـاليم الامبراطوريـة المغوليـة (غـرب ايـران والـروم) فـي سـنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م مـن الناحيـة العسـكرية[٦]. ومـا ان حلـت سـنة ٦٤٥هـ/١٢٤٧م حتـى اصـبحت قيـادة الجيـوش المغوليـة فـي غـرب ايـران كلهـا بيـده[١]. وتبـع ذلـك قيادتـه حمـلات عديـدة فـي سـنوات متفرقـة علـى اطـراف العـراق، بمـا فـي ذلـك حـدوث بعـض المناوشـات بـين جيشـه وجـيش الخلافـة العباسـية، الا انـه لـم يفلـح فـي توظيفهـا مـن اجـل الانـدفاع صـوب بغـداد[٢].غيـر ان بـايجو لـم يكـن مـع جـيش هولاكـو عنـد انطلاقـه مـن قراقـورم، وانمـا التحـق بـه فيمـا بعـد مـن اراضـي الـروم بنـاءاً علـى اوامـر القـآن مـن اجـل الانـدفاع نحـو بغـداد مـن جهـة الشـمال[٣] علـى الـرغم مـن الاهميـة التـي كـان يحظـى بهـا بـايجو بـين امـراء النـوين، الا ان علاقته بهولاكو كانت تتميز بالتوتر وفقدان الثقة[٤].

Howorth, op. cit., vol. 3, p. 96.

وعن تفاصيل ذلك انظر : الفصل الثالث، ص١٠٤.

(٣) الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٣، ص١٠٧.

(٤) المصدر نفسه، جـ٣، ص١٠٧.

(٥) وقد خلف جرماغون، وفي السنة نفسها التي تولى منصبه فيها، قاد حملة من ثلاثين الف رجل على سلاجقة الروم، وتمكن من اجتياج ارزن في ارمينية، وقتل كثير من سكانها واحتل مدن سيواس وقيسارية وغيرها من المدن المهمـة، حتـى تمكـن مـن اجبـار السلطان غيـاث الـدين زعيم سـلاجقة الـروم علـى قبـول تبعيتـه لامبراطوريـة المغول في سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م. ولما تولى منكوقآن عرش المغول، كان ايلجغداي نائب القآن في غرب ايران والروم يحد كثيراً من سلطان بايجو، الا انه سرعان ما استعاد نفوذه كله، بعد ان غضب على ايلجغداي، وامر باعدامه في سنة ٦٥٠هـ/١٢٥٢م، انظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي،جـ٢، ص٤٨٦؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ١، ص٦١٢-ص٦١٣.

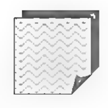
(٦) الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٢، ص٤٩٠.

(١) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٥٥؛ مجهول، الحوادث الجامعة، ص٢٦٠.

(٢) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٨٥.

(٣) المصدر نفسه، جـ٢، ص٦٨٥.

(٤) سبق الحديث عن تفاصيل ذلك في الفصل الاول، ص٥٠.



ومن بين قادة النوين يبرز اسم كوكا ايلكا، او على نحو ما يرد في المصادر باسم ايلكان[٥]، الذي ينتمي في اصله الى قبيلة جلاير[٦]، وقد خرج مع هولاكو من قراقورم على رأس فرقة من عشرة الاف رجل ينتمون لقبيلته[٧]، وقد حظي بمكانة وكلام مسموع عند هولاكو، ولذلك عهد اليه مع بوقاتيمور قيادة الجناح الايمن للجيش المغولي[٨].

اما بوقاتيمور فيعد احد قادة جيش هولاكو البارزين، وقد خرج معه من قراقورم على رأس فرقة من قبيلة الاويرات[١].

فضلاً عن هؤلاء، ترد اسماء كثيرة لقادة يحملون لقب (نوين) في جيش هولاكو، غير ان المصادر لا تقدم معلومات وافية عن سيرهم الشخصية، ومن بين هؤلاء قياق نوين، ارقيو نوين، قتار نوين، سونجاق نوين، هولاجو نوين، ومركديه نوين واخرون[٢].

رسائل هولاكو الى حكام الدول والإمارات الإسلامية

(٥) وتسميه المصادر الصينية بـ (كوكاآن) وتضفي على شخصيته بطولات اسطورية.

Bretschnieder, op. cit., vol. 1, p. 134.

وبعد قيام دولة الايلخانيين عينه هولاكو بمنصب امير الجيش. انظر: رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٤٠؛ دولتشاه بن علاء الدولة بختشياه السمرقندي (كان حياً في سنة ٨٩٢هـ/١٤٨٧م)، تذكرة الشعراء، تحقيق وتصحيح محمد عباسي (طهران، ١٣٨٠هـ.ش)، ص٥١٩.

(٦) جلاير: احدى القبائل الكبيرة التي تسكن شرق منغوليا عند نهر اونن، وكانت تتكون من شعب عديدة، وقد اختلف الباحثون في اصل هذه القبائل، فاعتبرهم البعض مغولاً من قبيلة دورليكين، فيما ذهب الآخرون الى انهم من الاقوام التركية التي تسمت بالمغولية. انظر: رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ١، ص٤٧-ص٤٨؛ نوري عبد الحميد العاني، العراق في العهد الجلائري (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦)، ص١٩-ص٢٠؛

Howorth, op. cit., vol. 1, p. 25.

(٧) الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٣، ص٩٢؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٧٠.

(٨) الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٣، ص١٠٧.

(١) الجويني، تأريخ جهانكشاي، جـ٣، ص٩٢.

(٢) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٩٨، ص٧٠٧؛ بيبرس الدويدار، زبدة الفكرة، ص٣٥.



قبل ان يبدأ هولاكو عمله العسكري الاول، باشر باولى الخطوات السياسية لاقرار سلطته على الامارات والاسر المحلية الحاكمة في ايران والسلاطين السلاجقة في بلاد الروم، وجميع الامارات التي سبق وان اعلنت طاعتها للمغول، عن طريق بعث الرسائل الى حكامها، بواسطة ايلجيات[٣] أُعدت لهذا الغرض[٤]. على الرغم من ان هدف هولاكو من تلك الرسائل يبدو ظاهرياً كما وردت عند رشيد الدين؛ هي الدعوة لمساعدته بالرجال والمؤن في قتال طائفة الاسماعيلية، الا ان كتابة تلك الرسائل بنص مقتضب وموحد وارسالها لامراء مختلفين، لا يترك مجالاً للشك بان هذه الرسائل لم تكن سوى عبارة عن يرليغ سلطاني، الغاية منه تأكيد اعتراف هؤلاء الامراء بسلطة القاآن ونائبه الخان الممثل بشخص هولاكو، مقابل اقرار هؤلاء الحكام على ولاياتهم.

ومن الواضح ان هولاكو لم يكن في حاجة ماسة الى مساعدة اولئك الحكام في حربه ضد طائفة الاسماعيلية، اذ كان لديه من الجنود والآت الحرب ما يكفي لاخضاع دول كبيرة، الا انه كان يرى ان مساهمتهم ضرورية كجزء من واجبات اولئك الحكام للتعبير عن ولائهم المخلص للامبراطورية المغولية، والتأكيد على ان هؤلاء الحكام لم يكونوا سوى امراء على بلدانهم يحكمون نيابة عن المغول، فضلاً عن اعلان طاعتهم له شخصياً[١].

يبدأ نص تلك الرسائل التي يحتفظ رشيد الدين بنصها الموحد بالترغيب للحكام المحليين باعلان طاعتهم المطلقة: ((**بناءً على امر القاآن قد عزمنا على تحطيم قلاع الملاحدة، وازعاج تلك الطائفة. فاذا اسرعتم وساهمتم في تلك الحملة بالجيوش والعدد والالات، فسوف تبقى لكم ولاياتكم وجيوشكم ومساكنكم، وستحمد لكم مواقفكم**))[٢]. ويدل هذا اليرليغ على حذق سياسي كبير لهولاكو من

---

(٣) الايلجية: لفظة تركية–مغولية تعني سفير او رسول. انظر: ك. هيوار، ايلجي، دائرة المعارف الاسلامية، جـ٣، ص٢٠١–ص٢٠٣؛ محمد التونجي، المعجم الذهبي، ص٨٦.

(٤) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٨٨؛

Boyle, C. H. of Iran, vol. 5, p. 341.

(١) الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٢٦٠.

(٢) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٨٨.

خلال عدم الاشارة لمجمل الاهداف الحقيقية لحملته، والاكتفاء بالاعلان عن النية بالقضاء على طائفة الاسماعيلية فقط.

ومقابل هذا الترغيب، لم يغفل هولاكو اسلوب الترهيب محذراً من مغبة التقاعس في تنفيذ الاوامر، فيرد في تلك الرسائل: **((اما اذا تهاونتم في امتثال الاوامر واهملتم؛ فاننا حين نفرغ بقوة الله من امر الملاحدة؛ فاننا لا نقبل عذركم، ونتوجه اليكم فيجري على ولاياتكم ومساكنكم ما يكون قد جرى عليهم))**[٣].

ولما كان الضعف قد الم بهذه الامارات بشكل عام، فضلاً عن حالة التدهور والانحلال التي اصابت الخلافة العباسية، فقد ادى خشية حكامها على ممالكهم ومصائرهم الى الاستجابة لنداء هولاكو دونما تردد، والقدوم الى مقره بالمعسكر مع اعداد من جنودهم، فمن بلاد الروم قدم السلاطين السلاجقة ممثلين بالاخوين عز الدين وركن الدين، ومن فارس قدم سعد ابن الاتابك مظفر الدين، كما حضر الصدور والاعيان من العراق العجمي وخراسان وكرمان واذربيجان، واران، وشروان، وجورجيا. وقد عبر هولاكو عن شكره لهم على طاعتهم، وتعهد لهم بالمحافظة على كياناتهم[١].

دور الإدارة المغولية في خراسان في دعم حملة هولاكو

تمثلت سلطة المغول السياسية والعسكرية والادارية في ايران قبل حملة هولاكو الذي اوجده المغول انفسهم بعد غزو جنكيزخان للبلاد الخوارزمية سنة ٦١٦هـ/١٢١٩،وفي حالات المقاومة التي ابداها اخر السلاطين الخوارزميين جلال الدين منكبرتي (٦١٧-٦٢٨هـ/١٢٢٠-١٢٣٠م)، الابن الاكبر

---

[٣] المصدر نفسه، جـ٢، ص٦٨٨.

[١] رشيد الدين،جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٨٨–ص٦٨٩؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، جـ٥، ص٢٣١؛
M. H. Hogdson, The Venture of Islam (Chicago, 1979), p. 291.



لخوارزمشاه، فقد جاء هذا الغزو بادارة عسكرية جديدة في اران[٢] وموقان[٣]،اسندت رئاستها الى احد قادتهم المدعو جنتمور، وادارة مالية في خراسان والعراق العجمي[٤]، حيث كان قاآنات المغول يرسلون نواباً عنهم من منغوليا مباشرة ليتولوا ادارة البلاد وقيادة الجيش المقيم بها[٥]. وكان هؤلاء النواب يستعينون بعمال محليين من بقايا الادارات السابقة للقيام بجمع الضرائب وادارة الشؤون الداخلية، فلما يقرب من ثلاث وثلاثين سنة تقريباً (٦٢١-٦٥٤هـ/١٢٢٤-١٢٥٦م) ظل الحكم المغولي عرضة للاختلال بين حين واخر، اذ كان يتأرجح بين الهدوء والاضطراب،وكان الحكام المغول يضربون بيد من حديد في تأديب الحكام التابعين لهم، الذين تظهر منهم بوادر التمرد، كما كان عليهم احياناً ان يبلغوا الحكم المركزي في قراقورم في حالة عجزهم عن ذلك.

وفي سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م كلف اوكتاي قاآن في بداية جلوسه على العرش، جرماغون نوين بتعقب نشاط السلطان الشريد جلال الدين منكبرتي، الذي كان يتخذ من غرب ايران مقراً له، واضعاً في معيته قوة من المحاربين المغول تقدر بثلاثين الف رجل، وطلب من امراء الولايات الغربية وحكامها مساعدة جرماغون في مهمته، وبموجب هذه التعليمات انضم جنتمور الى جيشه[١]. غير ان خلافاً وقع بين الاميرين لاسبلب غير مذكورة، ادى الى تدخل القاآن شخصياً لصالح جنتمور فقد اصدر قراراً رسمياً في سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م يقضي بتعيينه حاكماً على خراسان ومازندران، وامر بعدم تدخل جرماغون من جانبه في كل ما

---

(٢) اران: ولاية واسعة وبلاد كبيرة بينها وبين اذربيجان نهر يقال له الرس (ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ١، ص١٦٤).

(٣) موقان: وهي احدى مدن اذربيجان. (المصدر نفسه، جـ٥، ص٢٦١).

(٤) في عصر صدر الاسلام اطلق على العراق اسم (العراقين) ويقصد بهما الكوفة والبصرة (ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٤، ص١٠٥). وفي العصور اللاحقة اصبح اسم العراق يطلق على العراق وبلاد الجبال شرقاً .وفي حقبة نفوذ السلاجقة الذين حكموا العراق والجبال معاً، وقد اتخذ سلطانهم من همدان مقراً له، اخذ الناس يطلقون عليه سلطان العراق. وبما ان السلطان السلجوقي كان يفضل ان يطلق عليه سلطان العراقين للتفخيم، فقد اصبح الناس يطلقون على الجزء الشرقي من الدولة السلجوقية اسم العراق العجمي تمييزاً له عن العراق العربي، بعد ان اصبحت تسمية العراق تطلق مجازاً على الجبال. انظر:
M. Hortmann, Al-Iraq, EI. 1, vol. 3, p. 121.

(٥) الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٢، ص٤١٧.

(١) الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٢، ص٤١٨؛ عباس اقبال، تاريخ مفصل ايران، جـ١، ص١٦٦.

يخص الشؤون الادارية[2]. ومن جانبه شرع جنتمور بتأسيس نوع من نظام الادارة المدنية في خراسان تدين بالولاء للمغول (كالبيت الحويني الشهير)[3]، وظل جنتمور في منصبه حتى وفاته في سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٥م[4]. وعين في مكانه رجل كبير السن من قبيلة الكرايت يدعى نوسال، الا انه لم يدم طويلاً في ادارة المنطقة ، حيث عزل في سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م[5]، فخلفه رجل اويغوري اسمه جرجوز[6]، الذي اتخذ من مدينة طوس مقراً له، وتميزت مدة حكمه بوضع نظام دقيق لجمع الضرائب، حمى بموجبه السكان من فساد الامراء المغول[1]. لكن وفاة اوكتاي قآن وتسلم توراكيناخاتون وصاية العرش وضعه تحت رحمة مناوئيه من الامراء الذين نجحوا في التخلص منه[2].

وأخيراً عُين بدلاً عنه الامير ارغون آغا الاويراتي[3]، مع التفويض له بصلاحيات واسعة، حيث اصبح الحاكم الاداري لجميع اراضي البلاد الغربية، وفي المقابل اصبح جميع حكام تلك البلاد مسؤولين مسؤولية مباشرة اليه. وهم الحكام في خراسان، مازندران،وفارس، وكرمان واذربيجان وكرجستان، واللور، والارمن، والروم، وديار بكر، والموصل[4]. وبعد تسلمه منصبه في سنة

---

[2] الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٢، ص٢١٨.

[3] كان بهاء الدين محمد الجويني والد (شمس الدين وعلاء الدين) من بين الاسرى الذين امر المغول بسجنهم في طوس، فأمر جنتمور باطلاق سراحه، وعينه رئيساً للديوان، وظل يشغل هذه الوظيفة حتى مات في اصفهان سنة ٦٥١هـ/١٢٥٣م. انظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٢، ص٢٢١؛ السيد الباز العريني، المغول (بيروت: دار النهضة، ١٩٦٧)، ص٢٠٥.

[4] الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٢، ص٢٣٠.

[5] المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٣٦.

[6] كان بوذياً على الرغم من اسمه المسيحي، وكان موطنه الاصلي في ضواحي بشبالق، واشتهر بين الاويغور بسعة علمه، وقد لمع اسمه اثناء حياة جنكيزخان، الذي عهد اليه مهمة تعليم الخط الايغوري لبعض افراد عائلته. الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٢، ص٢٣٨؛ العريني، المغول، ص٢٠٥.

[1] الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٢، ص٢٤٠.

[2] المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٤١.

[3] نظراً لمعرفته بالكتابة الاويغورية، فقد كان يتولى الامور الادارية في عهد اوكتاي قآن. (المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٤٢).

[4] المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٤٢–ص٢٦٠؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ١، ص٥٧٥–٥٩٦؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٢٦٠.

٦٤١هـ/١٢٤٣م بذل ارغون آغا جهده في تحجيم زعماء المغول العسكريين من امثال جرماغون وبايجو، من خلال الغاء كثير من امتيازاتهم في مقابل اتباع سياسة مرنة مع السكان المحليين، وهو بتلك السياسة نجح نوع ما في ضمان خضوع الامارات المسؤول عن ادارتها للسلطة المغولية[٥]. ومن الجدير ذكره ان ولاية ارغون آغا استمرت مدة اربع عشرة سنة، الى حين تكليف هولاكو بقيادة الحملة على بلاد المسلمين عندما التحق ارغون بخدمته[٦].

والمهم ان هذه الادارات المغولية المتعاقبة، ولاسيما ولاية آرغون آغا ساهمت مساهمة فعالة في حملة هولاكو من جوانب عديدة:

(١) وفرت له ادارة مدنية من الخراسانيين على مستوى رفيع من الكفاءة لا تدين بالولاء الا للمغول بعد ان هجرت اسيادها الخوارزميين دون امل، وكان البعض منهم ذا باع طويل في ميدان عملهم، خدموا الامبراطورية المغولية منذ سنوات خلت اثر اجتياح المغول للدولة الخوارزمية، وتشير المصادر الى اسماء البعض منهم كآل الجويني وسيف الدين البيتكجي واحمد البيتكجي وغيرهم. ومثل هذه الشبكة لا بد انها قد زودت هولاكو بما كان يحتاجه من معلومات في منتهى الدقة والكفاءة عن احوال البلاد الاسلامية وحكامها، جعلت القائد المغولي الشاب مطلعاً اطلاعاً واسعاً، وعلى درايةً بما كان يحدث داخل اراضي الخلافة العباسية والامارات المحيطة بها، وعارفاً بحالة الضعف التي كانت تدب في جسد الخلافة منذ امد طويل، وما وصلت اليه مكانة الخليفة من تدني حتى في مقر الخلافة بغداد.

(٢) هيئت له عدداً من الاتباع عملوا بصفة ادلاء ومترجمين، وتسخير اعداداً من الحرفيين المهرة (حشر) مختصين بالاعمال التي يتطلبها الجيش.

(٣) عملت الادارة المغولية الاولى كحلقة وصل بين الامارات التي تتبعها في وسط وجنوب ايران وهولاكو، لضمان عدم حدوث اية عراقيل محتملة قد تقوم بها تلك الامارات في وجه الاندفاع المغولي صوب بلاد الخلافة العباسية.

---

[٥] حرص ارغون اثناء ولايته على ان يسير على نهج جرجوز، بأن يحمي السكان من مظالم الموظفين المغول الذين يبتزون اموالهم. وبموافقة كيوك قاآن ابطل كثير من امتيازات البيت الحاكم في هذا الاقليم. ولما جاء منكوقاآن للعرش منحه تأييداً قوياً لمواصلة اصلاحاته. انظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٢، ص٢٤١، جـ٣، ص٢٦؛ عباس اقبال، تاريخ مفصل ايران، جـ١، ص١٨٩.

[٦] رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٨٨.

دور الإمارات الإسلامية في إيران في دعم الحملة

اما عن دور الامارات الاسلامية في ايران، التي سبق وان اعلنت طاعتها للمغول عقب اختفاء الدولة الخوارزمية من ساحة الصراع، فقد خلق الوضع الجديد لها تعقيداً كبيراً، فقد كانت فيها حكومات محلية شبه مستقلة، لا ترتبط بالخلافة العباسية باية روابط سياسية وادارية. ولكن من جهة اخرى نجد ان سلطة المغول كانت نافذة على تلك الامارات، على الرغم من اراضيها لم تخضع عسكرياً لغزوهم، وقد حرص معظم امرائها على ان يدينوا بالولاء للمغول، ويستجيبوا لطلباتهم بدفع الجزية، واخيراً قبولهم بان يعين المغول نواباً في بلادهم يمثلون القآن الاعظم[1].

تلك الامارات تمثلت، باسرة آل كرت في هراة[2]، واسرة الاتابكة السلغريين[3] التي كانت تحكم فارس وشيزار[4] منذ سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م،وقد اعلنت تبعيتها للمغول بعد سقوط واختفاء الدولة الخوارزمية[5]. وفي يزد[6] حكم

---

(١) وقد حضر بعض هؤلاء الامراء مجلس القوريلتاي المنعقد في سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م والذي انتخب كيوك لزعامة المغول. انظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٢، ص٢١٤-ص٢١٦؛
Spuler, The Muslims World, vol.2, p. 18.

(٢) هراة: وهي مدينة مشهورة من امهات مدن خراسان. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٥، ص٤٥٦).

(٣) هذه الاسرة تركمانية الاصل يعود نسبها الى شخص يدعى سلغور. وكان تأسيس حكم هذه الاسرة على يد احد ابناءها واسمه سنغر بن مودود، الذي ثار في سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م على السلطان السلجوقي ملكشاه الثاني للتخلص من التبعية لحكمه، واستطاع ان يلحق الهزيمة بقوات السلاجقة، وان يستولي على شيراز وينصب نفسه اتابكا بلقب (مظفر الدين). انظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٢، ص٢٨٠؛ أي. ف. زامباور، معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي، ترجمة زكي محمد وحسن احمد محمود (القاهرة: مطبعة جامعة فؤاد الاول، ١٩٥١)، جـ٢، ص٣٦٥؛ عباس اقبال، تاريخ مفصل ايران، جـ١، ص٣٧٤ ومابعدها.

(٤) شيراز: بلد مشهور، وهو قصبة بلاد فارس في الاقليم الثالث. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٣، ص٤٣١).

(٥) الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٢، ص٢١٤.

(٦) يزد: مدينة متوسطة بين نيسابور وشيراز واصبهان معدودة من اعمال فارس. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٥، ص٤٩٨).

الاتابكة من ديالمة كاكويه، وكان الاتابك قطب الدين اخر حكام هذه الاسرة في اثناء حملة هولاكو[٧].

اما في اقليم كرمان[٨] فقد استطاع القراخطائيون من تأسيس اسرة حاكمة بزعامة قتلغ شاه (٦١٩-٦٣٢هـ/٦٢٢-١٢٣٥م) الذي استطاع بدهائه ان يحظى بدعم المغول[٩].ثم خدم خلفه في الحكم ركن الدين مبارك (٦٣٢-٦٥٠هـ/١٢٣٥-١٢٥٢م) في الجيش المغولي في الصين، فكافأه منكَوقاآن بمنحه امارة كرمان[١]. وعندما وصل هولاكو الى شرق ايران، وشرع في هجومه على طائفة الاسماعيلية، قام قطب الدين محمد (٦٥٠-٦٥٥هـ/١٢٥٢-١٢٥٧م) حاكم كرمان في ذلك الوقت، بتقديم فروض الطاعة، ولبى جميع ما طلبه منه سيده الجديد[٢].

وفي لورستان[٣] حكمت الدولة الهزارسبية[٤]، او دولة اتابكة لورستان الكبيرة، وبجانبها امارة اخرى عرفت باسم دولة (اتابكة لورستان الصغيرة)[٥] وقد دخل كلاهما في طاعة المغول[٦].

---

(٧) الجوزجاني، طبقات ناصري، جـ٢، ص١٩٠؛ الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٢، ص٢١٧-ص٢١٨.

(٨) كرمان: وهو اقليم مشهور وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة يقع بين فارس ومكران وسجستان وخراسان. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٤، ص٥١٥).

(٩) الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٢، ص٢١١-ص٢١٨؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٣٥٣.

(١) الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٣، ص١١٩؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٣٥٤.

(٢) الجوزجاني، طبقات ناصري، جـ٢، ص١٩٠.

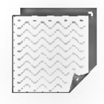
(٣) لورستان: كورة واسعة بين الاحواز واصبهان، معدودة في عمل الاحواز.واللور او اللُّر هم قوم يسكنون هذا الموضع (ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٥، ص٢١٠). واصلهم من القبائل الكردية التي هاجرت من جبال شمال بلاد الشام واستقرت في هذه المنطقة. انظر:

Howrth,op., cit., vol. 3, p. 140.

(٤) حكمت الاسرة الهزارسبية لورستان منذ قرابة منتصف القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، وكان زعيم هذه القبيلة الكردية المهاجرة يدعى ابا طاهر بن علي بن محمد، ولما كان جده التاسع يكنى بفضلويه، فقد اشتهرت هذه الاسرة بالامراء الفضلوية. انظر: عباس اقبال، تاريخ مفصل ايران، جـ١، ص٤٣٢؛ زامباور، معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي، جـ٢، ص٣٦٧-ص٣٧٠.

(٥) كانت عاصمتها خرم آباد، وقد اسسها شجاع الدين خورشيد في سنة ٥٩١هـ/١١٩٥م، وكانت تسمى احياناً بالدولة الخورشيدية. (عباس اقبال، تاريخ مفصل ايران، جـ١، ص٤٣٧).

(٦) عباس اقبال، تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة عبد الوهاب علوب (ابو ظبي: المجمع الثقافي، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ص٤٣٧-ص٤٣٨.



ومع ان حكام هذه الاسر الحاكمة كانوا من المسلمين، الا انهم كانوا اقرب الى المغول في ولائهم، ومهدوا الطريق امام هولاكو لاجتياح مشرق العالم الاسلامي، فضلاً عن تقديمهم الامتعة والمؤن، جنَّد هولاء الحكام اعداداً كبيرة من اتباعهما لينظموا مع القوات الغازية تحت لواء هولاكو، بناءً على الاوامر التي اصدرها لهم القاآن، أذ تشير المصادر الى ارسال اتابك فارس قوة من الفرسان للانضمام الى تشكيلات الحملة[٧]، كما كانت قوات اتابكة كرمان مع اتابكة يزد من القوة والكثرة بحيث كونتا لوحدهما كتيبة عسكرية مستقلة بذاتها[٨].

اما بشأن مصير هذه القوات، فلا تزودنا المصادر بمعلومات تؤكد ان تلك القوات قد عادت الى بلادها، بعد ان ساهمت مع جيش المغول بالقضاء على طائفة الاسماعيلية، مما يدل انها ظلت تحت خدمة هولاكو، لتشاركه في تنفيذ المرحلة اللاحقة، الاكثر اهمية من مراحل حملته العسكرية، ضد الخلافة العباسية، ومن ثم مشاركة المغول في اجتياحهم لبلاد الجزيرة واراضي الشام ومصر[١].

دور سلاجقة الروم في الحملة

دخل سلاجقة الروم[٢] في طاعة المغول بصورة غير مباشرة من سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م عندما ارسل السلطان علاء الدين كيقباذ (٦١٦-٦٣٤هـ/١٢١٩-١٢٣٦م) مبعوثاً الى اوكتاي قاآن يعلمه بخضوع سلطته لحكم

---

(٧) الجوزجاني، طبقات ناصري، جـ٢، ص١٩٠.

(٨) الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٣، ص١١٩.

(١) الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٢٦٨.

(٢) بعد انتصار السلاجقة على البيزنطيين في معركة ملازكرد سنة ٤٦٣هـ/١٠٧٢م، وامتداد نفوذهم الى آسيا الصغرى، اختار السلطان السلجوقي ملكشاه في عام ٤٧٠هـ/١٠٧٩م ابن عمه سليمان بن قتلمش بن اسرائيل ليكون والياً عليها، فاستولى سليمان على ولايتي قونيه واق سرا، اصبح المؤسس الحقيقي لهذه السلطنة. انظر: جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، تاريخ الخلفاء (القاهرة، ١٣٥١هـ)، ص٤٢٤؛ القزاز، الحياة السياسية، ص٧٩.

المغول[٣]. غير ان المغول في خلال مدة حكم الوصية على العرش توراكينا خاتون زوجة القاآن الراحل، قرروا اخضاع اراضي سلاجقة الروم لحكمهم المباشر، فارسلوا القائد بايجونوين على رأس حملة عسكرية، التي خلف فيها جرماغون، وانتهت بضم هذا الاقليم الى الاراضي المغولية في سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م[٤].

وعندما امر هولاكو قائد المغول العسكري بايجونوين، بان يسير من تلك الاراضي، كقائد للجناح الايمن،في اثناء زحف المغول باتجاه العاصمة العباسية بغداد، كان الاقليم يتنافس على حكمه اثنان من خلفاء السلطان غياث الدين كيخسرو الثاني، وهم عز الدين كيكاوس الثاني، وركن الدين قليج ارسلان الرابع اللذان بذلا جهدهما في تقديم الخضوع والطاعة للمغول، فعندما وصل هولاكو الى اقليم ما وراء النهر، ذهب الاثنان الى هناك للتعبير له عن ولائهما[١]، وقدما بعد عودتهما اعداداً كبيرة من جند السلطنة لينضموا تحت قيادة بايجونوين[٢]. ولما تحقق لهولاكو احتلال بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، وعاد الى تبريز، قام كل من كيكاوس وقليج ارسلان بزيارة هولاكو وقدما له التهنئة، مع الاعلان عن استعدادهما لتقديم المساعدة في الحملة المقبلة على الجزيرة وبلاد الشام[٣]. ويروي ابن البيبي، ان القائد المغولي هولاكو، طلب منهما مساهمة اكبر من ذي قبل، في الحملة المزمع القيام بها، فما كان من الرجلين المتنافسين، الا ان أستجاباً لطلب الايلخان بدفع الاموال الكبيرة من خزينة السلطنة[٤].

---

(٣) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٤٩؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٣٦٠.

(٤) عن تفاصيل تلك الحملة انظر: نصير الدين حسين بن محمد بن بيبي، مختصر من ((الاوامر العلائية في الامور العلائية))، تحقيق م.ت. هوتسما، (ليدن: ١٩٠١) اعاد طبعه وتحقيقه مع اضافات تتعلق بتاريخ السلاطين السلاجقة، محمد جواد مشكور، تحت عنوان (اخبار سلاجقة الروم)، (طهران، ١٣٥٠هـ.ش)، ص٢٣٤–ص٢٥٠.

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٨٨.

(٢) المصدر نفسه ، جـ٢، ص٦٨٩؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٣٦٨.

(٣) بلغ بهما الخنوع والذلة لهولاكو الى حد ان احدهما وهو عز الدين كيكاوس الثاني امر بصنع حذاء في غاية الجمال والاحكام، ونقش صورته الشخصية عليه.مقدماً اياه الى هولاكو، متوسلاً ان يشرفه بان يطأ بقدميه على صورته المنقوشة في الحذاء. (رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١٧).

(٤) اخبار سلاجقة الروم، ص٢٩٤.

دور إمارة الموصل في الحملة

اما امارة الموصل التي ارتبطت في هذه الحقبة باسم حاكمها الارمني الاصل بدر الدين لؤلؤ[1]، الذي عرف عنه خضوعه للسلطة المغولية منذ وقت مبكر، وبالتحديد بين سنتي ٦٣٣-٦٣٤هـ/١٢٣٥-١٢٣٦م، ومع انه لم يقطع صلته ظاهرياً بالخلافة العباسية، الا انه في السنوات التالية استمر على ولائه

[1] بدر الدين لؤلؤ كان مملوكاً ارمنياً اشتراه رجل خياط، ثم صار الى الملك نور الدين ارسلان شاه بن آق سنقر الاتابكي صاحب الموصل. وعند وفاته كان ابنه الملك القاهر منغمساً في ملذاته فترك السلطة الفعلية لبدر الدين لؤلؤ. ولما توفي الملك القاهر اصبح لؤلؤ وصياً على ابنه القاصر نور الدين ارسلان شاه الذي توفي ايضاً، وترك ابناً صغيراً لم يكن يتجاوز عمره ثلاث سنوات، استطاع بدر الدين من التخلص منه واعلان نفسه اميراً على الموصل سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م. وعن ترجمته انظر: جمال الدين محمد بن علي بن الصابوني (ت٦٨٠هـ/١٢٨١م)، تكملة اكمال الاكمال، تحقيق مصطفى جواد(بغداد: مطبعة المجمع العلمي، ١٩٥٧)، ص١٧٠؛ ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن خلكان (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، ط١ (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٣٦٧هـ)، جـ٥، ص٤٦؛ جمال الدين محمد بن سالم بن واصل (ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م)، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، تحقيق جمال الدين الشيال (القاهرة: دار القلم، بلا.ت)، جـ٣، ص٢٦٢؛ سوادي عبد محمد الرويشدي، امارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ (٦٠٦-٦٦٠هـ/١٢٠٩-١٢٦١م)، ط١، (بغداد: مطبعة الرشاد، ١٩٧١)، ص٢٤-ص٣٠.



للمغول، فقد كان يرسل لهم الضرائب المفروضة عليه في كل سنة[٢]، والمشاركة في الحملات والغارات التي يقومون بها[٣].

وعند قدوم هولاكو قام بدر الدين لؤلؤ باداء واجب التبعية، وذلك بالاشتراك معه فيه حملته، فارسل من يمثله لاستقبال هولاكو عندما وصل الى اراضي ما وراء النهر، للترحيب بمقدمه، والقيام بتنفيذ ما قد يأمره به من تعليمات تخص الحملة المرتقبة[١]. وبناءاً على اوامر هولاكو، فقد ساهم اتابك الموصل بوحدة عسكرية كاملة، انضمت لجيش هولاكو مع قيادة الميمنة التي كان يقودها بايجو صوب دار الخلافة، وكانت هذه الوحدة تحت رئاسة الملك الصالح بن بدر الدين لؤلؤ، وساهمت في توجيه ضربة قوية الى جيش الخلافة في معركة نهر بشير (الدجيلة)[٢].

موقف الخليفة المستعصم بالله
والجهاز الإداري للدولة العباسية من الحملة

يبقى ان نشير الى موقف اكبر القوى الاسلامية، ونقصد بها الخلافة العباسية بشخص المستعصم بالله (٦٤٠-٦٥٦هـ/١٢٤٢-١٢٥٨م)[٣] والجهاز

---

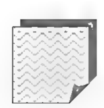
[٢] كان بدر الدين يبعث ممثليه الخاصين للمشاركة في الاحتفالات الرسمية التي كانت تقام في العاصمة المغولية قراقورم. وفي هذا الشأن يروي الجويني ان ممثلين عن بدر الدين لؤلؤ حضروا القوريلتاي الذي تم فيه تتويج كيوك قاآنا للمغول سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م. (تاريخ جهانكشاي، جـ١، ص٢٥٠).

[٣] يذكر صاحب الحوادث الجامعة، ص٩٩، ان بدر الدين لؤلؤ كان يقدم المساعدة للمغول في اثناء غاراتهم على اراضي الخلافة العباسية. وترد اشارات الى ان لؤلؤ كان مسؤولاً بشكل مباشر امام الحاكم العسكري المغولي في غربي ايران والروم، جرماغون ومن بعده بايجونوين. انظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٣، ص٧٤؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٣٥٨.

[١] رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٩١؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٣٥٨.

[٢] الجوزجاني، طبقات ناصري، جـ٢، ص١٩٤؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان، جـ٢، ص٣٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية،جـ١٣، ص٢٠٠.

[٣] ولد المستعصم بالله في سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م، وقد خلف والده المستنصر بالله في سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م. اختلفت المصادر في ذكر اوصافه الى حد وصل التناقض في ذلك عند المؤرخ الواحد، فابن قنيتو الاربلي (ت٧١٧هـ/١٣١٧م) الذي يصفه (كان حافظاً للقرآن المجيد، عاكفاً على تلاوته،



الاداري التابع له من الحملة، فنقول انه مما لا شك فيه ان الاتهام لم يوجه للخليفة المستعصم بالله بالتعاون مع المغول، على غرار الادعاء القائل، ان الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٨١-١٢٢٥م) تعاون مع المغول في السنوات ٦١٦-٦٢٢هـ/١٢١٩-١٢٢٥م بسبب تهديد الخوارزميين للدولة العباسية، ووجود الرغبة لدى محمد خوارزمشاه ان يحظى بمنزلة للخوارزميين مشابهة لما حظي بها البويهيون والسلاجقة وغيرهم[1]. اما فيما يخص الخلافة العباسية الممثلة بشخص المستعصم بالله، فلم تفصح المصادر عن وجود ترتيبات قائمة بينها وبين المغول، سوى رواية انفرد بها الرحالة الاوربي وليم روبروك (ت٦٧٤/١٢٧٥م)، لا نجد لها صدى في المصادر الاخرى، وفحواها، انه عندما كان الرحالة المذكور حاضراً بنفسه في بلاط منكوقاآن في ربيع الاول سنة ٦٥٢هـ/حزيران ١٢٥٤م، شاهد مبعوثاً من الخليفة المستعصم بالله، وقد ابلغه القاآن موافقته على ان يسالم الخلافة على شرط ان يقوموا بامداده بجيش مكون من عشرة الاف رجل، وان يقوم الخليفة بهدم الاسوار[2]، ولو صحت هذه الرواية فانها تدل على ان القاآن كان يعلم ان تلك الاسوار قد تعيق من عمل اخيه هولاكو في ان يحتل المدينة بسرعة وسهولة. ويفهم ان وفد الخليفة لم يرض بهذه الشروط قائلاً للقاآن: ((عندما تقوم بسحب جميع حوافر خيولكم، سوف نقوم بتدمير اسوارنا))[3].

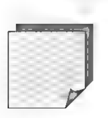
غير ان المؤكد ان هولاكو لما وصل مدينة كش سنة ٦٥٣هـ/١٢٥٥م ارسل الى الخليفة المستعصم بالله رسالةً طالبه فيها بالمساهمة في الحملة من

مواضباً على الصلاة في اوقاتها)) يذكر في موضع اخر انه ((كان مغرماً بسماع الملاهي، محباً للهو، واللعب، يبلغه ان مغنية او صاحب طرب في بلد من البلاد، فيراسل سلطان ذلك البلد في طلبه)). (خلاصة الذهب المسبوك مختصر في سير الملوك، تصحيح مكي السيد جاسم (بغداد: مكتبة المثنى، ١٩٦٤)، ص٢٩١). وابن كثير يذكر انه كان يفزع لمقتل جارية كانت تلعب بين يديه، يذكر ايضاً ((انه كان صحيح العقيدة، وانه من الحاكمين بالعدل ...كثير الصداقات مكرماً للعلماء والعباد)). (البداية والنهاية، جـ١٣، ص٢٠٠-ص٢٠٥). وللمزيد عن ترجمته انظر: ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٥٤؛ مجهول، الحوادث الجامعة، ص١٥٩-ص١٦٠؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان، جـ١، ص١٥٥؛ الكتبي، فوات الوفيات، جـ١، ص٤٩٠.

(1) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، جـ٩، ص٣٣٣.

(2) M. Komroff, Contemporary of Marco Polo (New York, N.D), p. 187.

(3) Ibid, p. 187.



خلال تقديم مساعدات بالرجال والعدة[٤]. وفي الحقيقة ان هذه الرسالة لم تكن الا تنفيذاً من القائد المغولي لاوامر اخيه القآن، بان يدعو الخليفة الى الاستسلام طواعية، من دون قيد او شرط الى السلطة المغولية، فان استجاب للطلب، فان عليه ان يرسل قوة من جنده للانضمام لقوات هولاكو في حربها ضد طائفة الاسماعيلية[٥]. ويروي رشيد الدين بان الخليفة المستعصم بالله استشار كبار رجال دولته، فاشار عليه وزيره مؤيد الدين بن العلقمي[١] بوجوب ارسال فرقة مكونة من عدد قليل من الجنود ، وقد اخذ الخليفة بهذا الرأي[٢]، الا ان الدويدار الصغير[٣] قائد جيش مماليك الخلفاء اعترض على هذه الموافقة مبرراً ذلك بالقول، ان هولاكو لم يكن في حاجة الى مساعدتهم، وانما هو يتخلق بخلق ماكر خداع، ويريد من وراء طلبه ان يضمن خروج المدافعين عن البلاد لكي يستطيع ان يهاجم بغداد ويأخذها بسهولة[٤]، وبذلك اقنع الخليفة بوجهة نظره وجعله يعدل عن الفكرة[٥].

---

(٤) الطوسي، رسالة في فتح بغداد، جـ٣، ص٢٨٢.

(٥) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٩٠. وانظر مراسلات هولاكو مع الخليفة في الفصل الثالث، ص ١٢٩.

(١) هو محمد بن احمد مؤيد الدين ابو طالب بن العلقمي، ولد سنة ٥٩١هـ/١١٩٤م، وينتسب الى قبيلة اسد، ولقب بالعلقمي، لما قيل ان جده حفر النهر المسمى بالعلقمي. عينه الخليفة المستنصر بالله استاذاً لدار الخلافة، ثم ناظراً لشؤون المدرسة المستنصرية. وفي سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م رفعه الخليفة المستعصم بالله الى مرتبة الوزير، وقد ظل في هذا المنصب لما بعد سقوط الخلافة العباسية. عن ترجمته انظر: ابن الطقطقي، الفخري في الاداب السلطانية، ص٢٤٨؛ ابن الفوطي، تلخيص مجمع الاداب، جـ٤، ق١، ص٣٣٢؛ صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، باعتناء هلموت ريتر، ط٢ (فيسبادن، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م)، جـ١، ص١٨٤–ص١٨٦.

(٣) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠٠.

(٣) هو ابو الميامين مجاهد الدين ايبك، اصله من المماليك الاتراك، سمي بالدويدار لانه كان كاتباً للخليفة، وقد خلف اباه في هذا المنصب، ثم صار من المستشارين المقربين للخليفة بعد ان تولى رئاسة المماليك بعد وفاة ابن جلدته شرف الدين اقبال الشرابي سنة ٦٥٣هـ/١٢٥٥م. انظر: مجهول، الحوادث الجامعة، ص١٧٢، ص٢٩٤، ص٢٩٥، ص٢٩٨.

(٤) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠٠.

(٥) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧٠١.

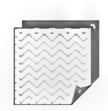
وفيما يخص الجهاز الاداري لدولة الخلافة، فنحن نعلم ان المغول كانوا يبحثون في ادارات الدول التي يقررون اجتياحها عن شخصيات تتبنى قضيتهم وتروج بين مجتمعاتهم عدم جدوى المقاومة. وضمن هذا الطرح نتسائل هل كان لعناصر من الادارة العباسية القائمة في بغداد خلال خلافة المستعصم بالله، ونخص بالذكر الوزير مؤيد الدين بن العلقمي، دور في الاستعدادات والمؤامرات لصالح دعم حملة هولاكو على بلاد الخلافة العباسية؟

تؤكد المصادر ان الاستعدادات والترتيبات للحملة حصلت في جميع مراكز بلدان الخلافة الشرقية الممتدة من ما وراء النهر وحتى امارة الموصل، وفي هذه المصادر جميعها لا نجد ما يفصح عن وجود ترتيبات مماثلة قائمة بين هولاكو وادارة الخليفة الممثلة بشخص الوزير، ولم يسجل لنا شيْ عن هذا في المصادر المغولية ما يفضي الى ادانته عند هذا الحد من الجملة، ويوحي الى القول بان الوزير ابن العلقمي كان احد الافراد المعول عليه في هذه المسألة، سوى ما تعكسه المصادر المملوكية[1]. كما لا يعرف هنا فيما اذا كان الوزير كاتب المغول حقاً وطلب منهم التوجه نحو بلاد الاسماعيلية في قهستان للقضاء عليها وتدميرها، ثم التوجه لتكملة هذا العمل في حاضرة الخلافة العباسية بغداد[2]، فلا توجد في مصادرنا نصوص لمراسلات جرت بهذا الشأن ابداً على غرار ما تحتفظ به المصادر بشأن الامارات الاسلامية الاخرى. واما بشأن

---

(1) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، جـ١، ص٨٥؛ ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، جـ٢، ص٣١٣؛ الذهبي، دول الاسلام، جـ٢، ص١٢١–ص١٢٢؛ حسين بن محمد بن حسن الدياربكري (ت٩٩٠هـ/١٥٨٢م)، تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس (القاهرة: المطبعة الوهبية، ١٢٨٣هـ)، جـ٢، ص٤٢١–ص٤٢٢.

(2) تشير المصادر المملوكية في معظمها، بأن الوزير مؤيد الدين بن العلقمي كان يضمر حقداً دفيناً تجاه الخليفة المستعصم بالله لدوافع طائفية، وكان يتوق شوقاً الى القضاء على الخلافة العباسية، ولكي يحقق اهدافه، فقد دخل في مراسلات سرية مع هولاكو، ودعاه للقدوم الى بغداد، وفي الوقت نفسه قام بتقليص جيش الخلافة العباسية بعد ان اقنع الخليفة بحجة انه قد ساد السلام مع المغول، ومن غير الضروري الابقاء على ذلك العدد الكبير من الجنود، ودفع مرتباتهم. غير ان روايات تلك المصادر لاتعبر عن حقائق تاريخية ثابتة، وانما بنت موقفها اساساً على دور ابن العلقمي اللاحق في التعاون مع هولاكو في اثناء وبعد احتلال بغداد، وكون هولاكو ابقى الوزير ابن العلقمي حياً، وعينه على رأس ادارة العراق، على انها برهان قاطع على تآمره مع المغول ضد الدولة العباسية قبل هذا الوقت. والحقيقة ان هولاكو لم يكن بحاجة لدعوة ابن العلقمي، لان نص التفويض الرسمي الذي حصل عليه من القاآن ينص بوضوح على احتلال البلاد من قهستان حتى حدود مصر. انظر: رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٨٧–٦٨٨.



التحريض ضد الحكم العباسي والقضاء عليه، فمن الممكن ان يكون قد حصل اتصال بين الوزير ومعسكر هولاكو بعد الانتهاء من القضاء على طائفة الاسماعيلية واستقراره في غرب ايران، لكن لا توجد بين ايدينا نصوص واشارات بخصوص تلك المرلسلات السرية سوى ما يرد في مصادر مملوكية بعضاً منها متأخرة ايضاً[٣].

غير انه يبقى امر الحكم عليه من المواقف التي تبناها في اثناء اجتياح هولاكو لبغداد، والمتمثلة في محاولة اقناع الخليفة بعدم جدوى المقاومة وضرورة التسليم لهولاكو، وجاء ذلك عقب اجتماعه بهولاكو بامر من الخليفة بما لا يقل عن مرتين في اثناء حصار بغداد[١]. وكذلك من دوره ما بعد قيام الحكم المغولي الجديد،الذي اصبح فيه ابن العلقمي احد اعضاء الادارة الجديدة، وحتى وفاته بعد عام من ذلك[٢].

عبور هولاكو وجيشه نهر جيحون وانعقاد مجلس المشورة الحربي

امر هولاكو قواته بعبور نهر جيحون في ذي الحجة من سنة ٦٥٣هـ/١٢٥٥م[٣] وقد اصدر الاوامر بتوقف حركة جميع السفن وزوارق الملاحين في النهر، واقامة جسر من القوارب حتى يتمكن الجيش من العبور

---

[٣] ابو شامة، ذيل الروضتين، ص١٩٨؛ البويني، ذيل مرآة الزمان، جـ٢، ص ٨٦ ؛ شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري (ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م)، نهاية الارب في فنون الادب، تحقيق سعيد عاشور (القاهرة: الهيئة المصرية للطباعة والنشر، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، جـ٢٧، ص٣٢٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١٣، ص٢٠٠–ص٢٠١؛ العيني، عقد الجمان، ص١٧٠.

[١] رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠٩، ص٧١٣؛ مجهول، الحوادث الجامعة، ص٣٣٤.

[٢] مجهول، الحوادث الجامعة، ص٣٣٢.وهناك العديد من الدراسات الحديثة التي ناقشت بالنقد والتحليل مسألة خيانة ابن العلقمي من عدمها. انظر: خصباك ، العراق في عهد المغول الايلخانيين،ص٣٢–٤٠؛ الصياد المغول ، ص٢٧١–٢٧٨؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية،ص٣٣٣–٣٥١؛ عجمي الجنابي، المقاومة العربية، ص١٣٨–١٥٦.

[٣] رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٨٩.

عليه. ثم انعم هولاكو على الذين قدموا له التسهيلات بان اعفاهم من الضريبة التي كانت تؤخذ على السفن[٤].

وبينما لم يحدد مؤرخو المغول المدة الزمنية التي استغرقها عبور الجيش للنهر، فان المؤرخ الارمني كيراكوس يؤكد ان ضخامة حجم ذلك الجيش تطلب عبوره شهراً كاملاً[٥].

وفي اعقاب التنفيذ بنجاح نزل هولاكو في شبورقان من توابع ولاية جوزجان[٦]، وهو عاقد العزم على الا يقيم هناك طويلاً، غير ان الظروف المناخية القاسية، ونزول المطر لسبعة ايام متوالية، وما نجم عنها من البرد، وهلاك كثير من الحيوانات، اجبر هولاكو على الاقامة في هذا المكان لفصل الشتاء عاكفاً على اللهو والاستمتاع[١]، حتى وقت حلول الربيع، وفي هذه المدينة عقد اول مجلس مشورة حربي في خيمة متحركة يمكن نقلها من مكان الى اخر اعدها حاكم خراسان ارغون آغا[٢]. وقد ضم هذا المجلس الذي ترأسه هولاكو كل من ولديه يشموت واباقا وكبار امراء المغول من مراتب المقدمين وبعض ممثلي امراء الاطراف الذين التحقوا بخدمته[٣].فضلاً عن ذلك فان المجلس ضم عدداً من المسلمين الذين عملوا بصفة مستشارين لهولاكو في حقلي الادارة والديوان، وقدموا له خدمات كبيرة في هذا الشأن. فمن هؤلاء المستشارين الذين التحقوا بخدمة هولاكو يرد اسم سيف الدين البيتكجي[٤]، وال الجويني (وهما كل من شمس الدين واخيه علاء الدين) وكراي ملك بن ارغون آغا[٥] وعلى عادة المغول في التعلق بالتنجيم وعلم الفلك، فقد كان مجلس المشورة يضم عدد من المنجمين،

---

(٤) المصدر نفسه، جـ٢، ص٦٨٩.

(5) Howorth, op., cit., vol. 3, p. 101.

(٦) شبورقان: بلدة صغيرة على مقربة من مدينة بلخ. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٣، ص٣٢١).

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٨٩؛
Boyle, C.H. of Iran, vol. 5, p. 431.

(٢) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٨٩.

(٣) المصدر نفسه، جـ٢، ص٦٨٩.

(٤) عن سيف الدين البيتكجي، انظر: الفصل الرابع، ص ٢٠١.

(٥) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٨٩؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، جـ٣، ص٩٥. وعن ال الجويني انظر الفصل الرابع، ص ٢٠٢.

لان هولاكو كما يقال كان لا يقدم على امر مهم، الا بعد ان يستطلع رأيهم[٦]، ومن هذه الاسماء حسام الدين المنجم الذي كان موضع تقدير هولاكو، وجاء بصحبته من قراقورم، وظل يلازمه ويشجعه على اعماله، الى وقت اختلافه معه في مسألة التعرض للخلافة[٧].

لم تشر المصادر الى انعقاد المجلس الحربي مرة اخرى، الا عندما كان هولاكو في همدان في سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م وهو يتأهب للانقضاض على عاصمة العباسيين، وقد انضم الى المجلس هذه المرة الفلكي نصير الدين الطوسي[١]، الشخصية المثيرة للجدل، وجاء انضمامه للمجلس في وقت لاحق، وتحديداً بعد القضاء على طائفة الاسماعيلية سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م. وقد كان نصير الدين الطوسي يقيم في قلاع تلك الطائفة، ولكن بعد استسلام مقدم الاسماعيلية ركن الدين خورشاه، التحق بمعسكر هولاكو وظل يلازمه في كل خطواته، وكان من جملة المؤيدين لمشروع احتلال بغداد، على الرغم من التحذيرات التي اطلقها حسام الدين المنجم من مغبة الاقدام على مثل هذا العمل[٢].

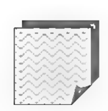
---

(٦) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠٦.

(٧) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧٠٦؛ عباس العزاوي، تاريخ علم الفلك في العراق، ص٣٣. وعن تفصيل ذلك انظر: الفصل الثالث، ص ١٣٦.

(١) هو عبد الله محمد بن محمد الحسن الطوسي (٥٩٧-٦٧٢هـ/١٢٠٠-١٢٧٣م). وصفه ابن العبري: حكيم عظيم الشأن في جميع فنون الحكمة (تاريخ مختصر الدول، ص٢٨٦) ووصف في مصادر اخرى بأوصاف تدل على علو منزلته العلمية، كما ذكرت له العديد من المصنفات الفلسفية والرياضية والطبيعية والفلكية والدينية. انظر: ابن الفوطي، تلخيص مجمع الاداب، جـ٤، ق٤، ص١١٦٩؛ مجهول، الحوادث الجامعة، ص٣١٢-٣١٣؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان، جـ٣، ص٧٩؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ٧، ص٢٤٥؛ محمد مفيد آل ياسين، الحياة الفكرية، ص١٢١-ص١٢٢.

(٢) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠٦-ص٧٠٧. وللتفصيل انظر: الفصل الثالث، ص١٣٦.



والخلاصة ان قيادة هولاكو للحملة على بلاد الخلافة الشرقية، والتي حددت اهدافها بدقة جاءت منسجمة مع السياسة المغوليةفي التوسع شرقاً وغرباً التي اطلقها سيد المغول جنكيزخان. وان اختياره لهذه المهمة من دون امراء المغول الاخرين تحديداً جاء لاعتبارات مرتبطة بسياسة القاآن الجديد، الاخ الاكبر لهولاكو ومساعيه في ترتيب البيت المغولي الداخلي بما يخدم مصالح اسرته من جهة، ومن جهة اخرى توفر المزايا الشخصية لدى هولاكو لتحمل قيادة مثل تلك الحملة الكبيرة.

لم يكن لهولاكو دور مهم في الاجراءات والاستعدادات للحملة، فقد اخذ قاآن المغول الاعظم على عاتقه كل ما يلزم لنجاحها، فقد هيأ لهولاكو جيشاً تعداده لا يقل عن مائة وعشرين الفاً، ربما فاق عدد المشاركين به عدد الجيش المغولي الذي قاده جنكيزخان في حملته على الدولة الخوارزمية سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م، ووضع على رأس تشكيلاته كبار قادة النوين سناً وخبرة من ذوي الباع الطويل في حملات المغول السابقة.

على الرغم من ان هولاكو لم يكن مبتكراً وانما كان ابناً للمدرسة الجنكيزخانية في تنظيم ذلك الجيش، الا انه اثبت قدرة تنظيمية وادارية فائقة، فقد استطاع اخضاع الجموع القبلية الكبيرة التي كانت تحت قيادته، بما فيهم الامراء وقادة النوين لحالة من الضبط الشديد.

وفي الوقت نفسه اثبت هولاكو قدرته السياسية من خلال اقرار سلطته بشكل رسمي على الامارات والاسر المحلية في ايران وبلاد الروم، وجميع الامارات التي سبق وان اعلنت طاعتها للمغول، والاهم انه استثمر بشكل باهر القدرات العسكرية والادارية لتلك الامارات وسخرها في خدمة اهداف حملته.



الفصل الثالث

اعمال هولاكو العسكرية
في ايران والعراق وبلاد الشام



ان سلسلة الأعمال التي قام بها هولاكو في مدة وجيزة لا تزيد عن اربع سنوات، تمخضت عن اسقاط وتقويض معظم الكيانات السياسية في بلاد الخلافة الشرقية، بما فيها عاصمة الخلافة العباسية ذاتها، واثمرت عن قيام دولة واسعة الارجاءتمتد من نهر جيحون شرقاً حتى سواحل بلاد الشام غرباً ، بحيث وصل التوسع المغولي من خلالها الى اقصى امتداد له في غرب اسيا. وفي هذا المحتوى سارت مشاريع هولاكو العسكرية جميعها على نحو ما خطط لها في قرار التفويض الصادر له من أخيه القاان، الا فيما يخص الحكام المماليك في مصر، الذين نجحوا ليس في الدفاع عن بلادهم فحسب، بل وفي استعادة بلاد الشام من الاحتلال المغولي الذي دام سبعة اشهر.

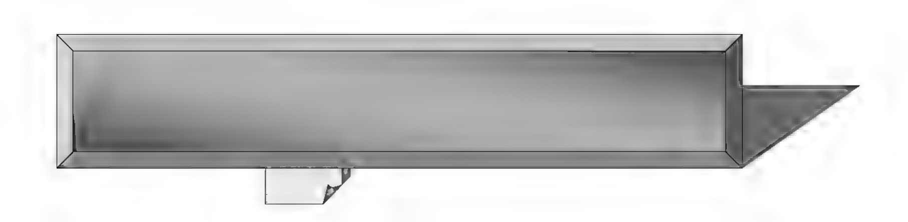
ومثل هذا النجاح العسكري الباهر الذي انجزه هولاكو يقودنا الى دراسة وتحليل عما يوجد في سجل حروبه من انتصارات في كل من بلاد الاسماعلية في شمال ايران، ودولة الخلافة العباسية، وبلاد الشام. ومن ثم تحليل الاخفاقات العسكرية التي مني بها جيشه على التوالي أمام المماليك في معركة عين جالوت، وبعد ذلك ابناء عمومته الذين كانوا يحكمون بلاد القبجاق، من أجل التعرف على طبيعة ونوع الاسلوب العسكري الذي كان يتبعه، والاسباب التي تقف وراء هذا التفوق للقائد المغولي الشاب في تخطيط وتنفيذ حملته العسكرية الكبرى.

من هنا فأن هذا الفصل يحاول الاجابة على عدة تساؤلات مهمة تتعلق بهذا التفوق الذي حظي به على حساب اعدائه، اولهما فيما اذا كان هولاكو يعد حقاً عبقرية عسكرية تجمع صفات القائد المغولي، وفيما اذا كانت لديه كرزما شخصيه تقف وراء ذلك النجاح؟ والعكس منه ان كان يفتقر الى هذه العناصر بقدر ما كان يقود جيشاًمنظماً تنظيماً دقيقاً، عرف بالطاعة التامة لقادته، استطاع من خلاله تطبيق اصول فن القيادة العسكرية وجنى ثمار الانتصارات لنفسه؟ وثانيهماذا كان هولاكو هذا رجلاً محارباً بمعنى الكلمة، وصوالاً جوالاً في ساحات المعارك على نحو ما اشتهر به كبار قادة المغول من امثال جده جنكيزخان، وأبوه تولوي، أم ان ما لديه من قدرات كانت تنحصر في حقيقتها بقابليات التخطيط والستراتيجية في شؤون الحرب والمناورة والقيام باعمال الحصار وتطويق المدن، مع الاستفادة من منظومة العمل العسكري المغولية التقليدية

القائمة على القتل والابادة،وترك مايتعلق بتنفيذ تلك المهام العسكرية عملياً للمقدمين من متولي الاجنحة ومساعديهم.

وفي هذا الخصوص ما هي السمة البارزة التي ميزت خططه العسكرية، سواء على مستوى تفضيل المواجهة والالتحام مع الاعداء بشكل مباشر، أو في أعتماد سياسة فرض اسلوب الحرب الخاص به عليهم، والذي كان يحقق له في المحصلة النهائية ما كان يستهدفه منهم سياسياً وعسكرياً . ثم هل كان له اسلوباً عسكرياً واحداً لايتغير، وصفة مميزة له في جميع حروبه التي خاضها ضد اعدائه بغض النظر عن تفاوتهم في القوة والظروف، ام ان ستراتيجيته العمل العسكري كانت تختلف من حرب الى أخرى؟

هذا كله يقودنا اخيراً الى السؤال الاهم بشقيه، أولهما فيما اذا كانت انجازات هولاكو العسكرية هي نتاج لعبقرية فذة اثبتت قدرتها في الحروب، أم كان لضعف اجراءات الخصوم في التصدي له، والتخاذل امام قوة الاصرار والعزيمة اللتان اتصفت بهما شخصيته، مع كل ما كان يبعثه اسم المغول من خوف ورعب في نفوس الاعداء، دوراً اساسياً في ذلك، وثانيهما فيما اذا كان يمتلك حنكة سياسية تمكن من توظيفها بنجاح باهر في خدمة عمله العسكري.



القضاء على طائفة الإسماعيلية

طبقاً للبرنامج الذي وضع خطوطه القوريلتاي المغولي، ابتدأ هولاكو اول أهداف حملته العسكرية بمهاجمة الطائفة الاسماعيلية، الذين كانوا يسيطرون على مناطق قهستان وقومس[١] ورودبار[٢] والوديان الجنوبية لجبال البرز في شمال ايران، والذين عرفوا بالسطوة والنفوذ في تلك المناطق لما يزيد عن قرن ونصف القرن، قاوموا خلالها كل محاولات السلاجقة والخوارزميين لتصفية قلاعهم التي تزيد عن مائة وخمس قلاع حصينة[٣] ، اشتهر منها في التاريخ قلعة الموت[٤] عاصمتهم الرسمية، وميمون دز ولمبسر وكردكوه.[٥]

وقبل اقتراب خطر هولاكو من ابواب الاسماعيلية سنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م، كانت الطائفة منذ بداياتها قد وقفت مع المغول ضد العدو المشترك المتمثل بالدولة الخوارزمية، عندما أعلن زعيمها جلال الدين حسن

---

(١) قومس: وهي كورة كبيرة واسعة تشتمل على مدن وقرى، وهي في ذيل جبال طبرستان، وقصبتها المشهورة دامغان. (المصدر نفسه، جـ٤، ص٤٧٠).

(٢) رودبار، أوروذبار: وهي قصبة بلاد الديلم، وتبعد ستة فراسخ عن قزوين. انظر: لسترنج. كي، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد (بغداد: مطبعة الرابطة، ١٩٥٤)، ص٢٠٧، ص٣٨٣.

(٣) حوالي سبعين قلعة منها تقع في اقليم قهستان، بينما تقع القلاع الباقية في اقليمي قومس ورودبار. انظر: الجوزجاني، طبقات ناصري، جـ٢، ص١٨٦.

(٤) الموت قلعة حصينة من ناحية رودبار بين قزوين وبحر الخزر، على قمة جبل وحولها وهاد لايمكن نصب المنجنيق عليها ولاالنشاب يبلغها، وهي مقر زعيم الاسماعيلية. ذكر ان بعض ملوك الديلم ارسل عقاباً للصيد، وتبعه فرآه، وقد وقع على هذا الموضع، فوجده موضعاً حصيناً، اتخذه قلعة وسماها (اله آموخت) أي بمعنى تعليم العقاب بلسان الديلم. انظر: زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م)، آثار البلاد واخبار العباد (بيروت: دار صادر، ١٩٦٠)، ص٢٠٠. بينما يشير حمد الله المستوفي القزويني (ت٧٥٠هـ/١٣٤٩م) ان هذه القلعة كانت في البدء تسمى (اله آموت) أي وكر العقاب، الذي كان الاطفال يتدربون عليه، ثم صار الموت بمرور الزمن (نزهت القلوب، بسعي واهتمام كي لسترنج (ليدن، ١٩١٣)، جـ٣، ص٦١).

ولمزيد من التفصيل عن القلعة انظر:

Purgstall, The History of the Assassins, p. 174; M. Hodgson, The Order of Assassins, p.49; Freya Stark, The Valleys of the Assassins (London, 1971), p. 200.

(٥) الجوزجاني، طبقات ناصري، جـ٢، ص١٨٦؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٩٥؛ الصياد، المغول، ص٢٣٧؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٢٦٢.

(٦٠٧-٦١٨هـ/١٢١١-١٢٢٢م) تأييده لغزو جنكيزخان لبلاد الخوارزميين، والقضاء على السلطان خوارزمشاه محمد (٥٩٦-٦١٧هـ/١١٩٩-١٢٢٠م)[١]، ومن ثم مساندته للمغول في ملاحقة ابنه جلال الدين منكوبرتي (ت٦٢٨هـ/١٢٣١م) في اثناء حكم اوكتاي قاان بن جنكيزخان[٢]، لكن قيام ادارة مغولية في خراسان محاذية لهم حلت محل الخوارزميين، لم يرق للاسماعيلية سادة الجبال، الذين شعروا بامتعاض شديد من سياسة الحكام الجدد لخراسان، في اعتبارهم مجرد رعايا تابعين يدينون لهم بالولاء والطاعة، وتمثل ذلك في اهانتهم عندما منعوا من مشاركة وفد مهم يمثلهم في الاحتفال الذي جرى في قراقورم بمناسبة انتخاب كيوك قاانا اعظم للمغول في سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م[٣]. وبحلول حكم منكوقاان في سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م كان المغول قد أعلنوا ان اتباع الطائفة الاسماعيلية بقلاعهم الحصينة سيكونون شوكة في ظهور جيوشهم، وموضع خطر دائم لخطوط مواصلاتهم في حال توسعهم في غرب اسيا، وانه من اجل ذلك، أوصى منكوقاان اخاه هولاكو بان يبدأ باستئصال شأفة هذه الطائفة عن بكرة ابيها، قبل الشروع في الهجوم على بلاد الخلافة العباسية والشام ومصر.[٤]

على الرغم من الانقسام الذي حدث داخل الزعامة الدينية للطائفة بشأن الموقف من المغول، والتي انتهت بارتقاء ركن الدين خورشاه (٦٥٣-٦٥٥هـ/ ١٢٥٥-١٢٥٧م) مقدماً للطائفة، محل والده علاء الدين محمد، الذي وجد مقتولاً في مكان يعرف بشيركوه[١]، الا ان ذلك لم يحل دون ان يمضي المغول قدماً في تنفيذ حملتهم العسكرية للقضاء عليها.

---

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٤٧٠؛ الصياد، المغول، ص١١١-ص١٣٠.

(٢) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكوبرتي، ص٢٤٣؛ ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، جـ٣، ص١٤٩.

(٣) الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٢، ص٢١١-ص٢١٣.

(٤) المصدر نفسه، جـ٣، ص٩٠؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٨٦؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، جـ٥، ص٢٣٠؛ الصياد، المغول، ص٢٣٥.

(١) يروي رشيد الدين ان علاء الدين محمد قتل في نهاية شوال سنة ٦٥٣هـ/١٢٥٥م بيد حاجبه حسن المازندراني، وذلك بالاتفاق مع ركن الدين خورشاه بن علاء الدين نفسه (جامع التواريخ، جـ٢، س٦٩٠). وكانت مسألة مقاومة المغول، او الخضوع لهم، واحدة من اسباب الخلاف الرئيسة بين ركن الدين خورشاه، وابيه علاء الدين محمد الذي كان يصر على المقاومة. انظر: برنارد لويس، الحشاشون فرقة ثورية في

كانت مهمة الحرب ضد الطائفة الاسماعيلية مهمة صعبة من دون شك لهولاكو بسبب طبيعة قلاع الاسماعيلية الحصينة وكثرتها من جهة، ولأنها التجربة الأولى التي يخوضها خارج حدود الامبراطورية المغولية من جهة أخرى.

كانت خطة هولاكو التي قررها في مجلس المشورة الحربي الذي عقد في شبورقان بداية فصل الربيع من سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م تقوم على مهاجمة قلاع الاسماعيلية المنتشرة الى الغرب من الدامغان[٢]، قلعة قلعة، مفضلاً عدم الاقتحام المباشر لها بشكل واسع في بداية الامر، ومتبنياً أسلوب الحصار والمراسلة مع قادة الاسماعيلية لتحقيق اهدافه الحربية. ويلاحظ أن من مجموع المائة وخمس قلاع العائدة للطائفة، كان المغول قد تمكنوا من احتلال وتسلم ثمانية قلاع قبل هذا التاريخ، فقد استطاعت القوة الاستطلاعية بقيادة كتبغانوين في خلال خمسة شهور ابتداءاً من شهر جمادي الأولى وحتى رمضان من سنة ٦٥٢هـ/١٢٥٤م من احتلال قلاع تون، ترشيز، زيركوه، مهرين، كمالي، المنصورية، اله بشين، وشاه، وجميعها في أقليم قهستان[١].

تاريخ الاسلام، ترجمة محمد الغرب موسى، ط١ (بيروت: دار المشرق العربي، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ص٣٣٨. وشيركوه: اسم قرية وجبل وواد يقع في القسم الغربي من ناحية الموت. انظر: عبد الوهاب القزويني (المحقق)، تاريخ جهانكشاي، جـ٣، ص٤٢٥ (الحاشية).

[٢] رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٩٢. والدامغان: بلد كبير بين الري ونيسابور، وهو قصبة قومس. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٤، ص٤٣٣).

[١] صدرت الاوامر القاآنية الى القائد المغولي كتبغا نوين بأن يقود قوات المغول الطلائعية، التي يبلغ قوامها اثني عشر الف رجل، لمهاجمة قلاع الاسماعيلية، والتمهيد لحملة هولاكو. ويعطي الجويني شهر جمادي الاولى لسنة ٦٥٠هـ/تموز ١٢٥٢م تاريخاً لبدء مسيرته (تاريخ جهانكشاي، جـ٣، ص٧٢)، الا ان رشيد الدين يؤكد ان ذلك تم في جمادي الاخر من العام نفسه (جامع التواريخ، جـ٢، س٦٨٩). وقد عبر نهر جيحون في ربيع سنة ٦٥١هـ/١٢٥٣م، أي بعد ستة اشهر تقريباً من تاريخ بدء مسيرته، وقبل اربعة اشهر من شروع هولاكو في مسيرته نحو البلاد الغربية. وحال وصوله في عام ٦٥١هـ/مايس١٢٥١م شرع كتبغا نوين في عمليات الحصار منذ قلاع الطائفة الاسماعيلية، وكانت قلعة كردكوه التي حاصرها جيشه ابدت مقاومة عنيدة، ولما عجز عنها ترك قوة خاصة تقدر بحوالي الف رجل لمواصلة عمليات الحصار على هذه القلعة الحصينة، ثم سار الى قهستان واستطاع ان ينجح في احتلال بعض من قلاعها. غير ان القوات المغولية

وبعد ان زحف هولاكو بجيشه في ربيع الثاني سنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م من حدود زاوه[٢] وخواف[٣] ومنها الى طوس[٤]، ثم وصل الى رادكان[٥]، ومنها سار الى خبوشان[٦]، قبل ان يتوجه غرباً الى بسطام[٧] وخرقان[٨] الواقعتين الى الغرب من الدامغان[١]. وعندما اراد في هذه المنطقة ان يضع خططه العسكرية لمهاجمة قلاع الاسماعيلية موضع التنفيذ، وجد من الصعوبة اقتحام تلك القلاع المنيعة المنتشرة بين الجبال الوعرة دون حصارها لمدة كافية من الزمن،خاصةً وان كثرتها وانتشارها في منطقة واسعة من تلك الجبال يحول دون تنفيذ ذلك بمدة قصيرة. ومن اجل التغلب على تلك الصعوبة، اتبع هولاكو ستراتيجية تقسيم الجيش المغولي الى اقسام عديدة[٢]،لعزل القلاع الرئيسة عن بعضها البعض، ومن ثم تشديد الحصار عليها الواحدة بعد الاخرى، حتى يؤمن استسلامها تباعاً[٣]. وفي

المحاصرة لقلعة كردكوه منيت بانتكاسة كبيرة، حيث نجح الاسماعيليون، داخل تلك القلعة في شن هجوم ليلي مباغت ضد القوات المغولية، واستطاعوا ان يقتلوا قائد القوة المسمى (بوري) مع مائة من جنوده. انظر: الجوزجاني، طبقات ناصري، جـ٢، ص١٨١؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٩٠؛ الصياد، المغول، ص٢٣٨.

(٢) زاوه: كورة من كور نيسابور تشتمل على مائتين وعشرين قرية (ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٣، ص١٢٨).

(٣) خواف: قصبة كبيرة من اعمال نيسابور بخراسان. (المصدر نفسه، جـ٢، ص٣٩٩).

(٤) قبل ان يصل الى هذه المدينة، التي كانت بمثابة المركز الاداري لحاكم المغول ارغون اغا، حدث ان اعتلت صحة هولاكو بمرض كاد ان يقضي عليه، فخلد للراحة لبضعة ايام، وكلف قائديه كتبغا نوين وكوكاايلكا، وبقية الامراء بمتابعة عمله وفتح ماتبقى من قلاع الاسماعيلية. انظر: رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٩١؛ الصياد، المغول، ص٢٤٠-ص٢٤١؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٢٦٦.

(٥) رادكان: قرية من قرى طوس، وقيل بليدة. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٣، ص١٣).

(٦) خبوشان: وهي بليدة بناحية نيسابور (المصدر نفسه، جـ٢، ٣٤٤). ويطلق عليها المغول اسم (قوجان). انظر: رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٩٢.

(٧) بسطام: بلدة كبيرة بقومس، على جادة الطريق الى نيسابور. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ١، ص١٩٦).

(٨) خرقان: قرية من قرى قزوين. (المصدر نفسه، جـ٢، ص٤١٢).

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٩٣؛
Boyle, C.H. of Iran, vol. 5, p. 343.

(٢) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٩٣؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٢٦٧؛
Howorth, op. cit., vol. 3, p. 104.

(٣) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٩٣؛

الوقت ذاته زجْ قوة المغول الاساسية في مواجهة مقر مقدم الطائفة ركن الدين خورشاه.

كانت قوة هولاكو في هذه الحملة مكونة من تشكيلات الجيش الاعتيادية، اضافة الى عدد من القوات المحلية الصغيرة المؤازرة من الاتابكيات والقبجاق[٤]. وبعد تقسيم الجيش المغولي، كان هولاكو شخصياً يقود قوة القلب، التي تضم من بين وحداتها، كتيبة من عشرة الاف من الفرسان، مستهدفة شق طريقها نحو قلعة ميمون دز[٥]، حيث مقر مقدم الطائفة الاسماعيلية ركن الدين خورشاه[٦]، وقد اتخذت هذه القوة طريقها الى مكان اسمه نصران قريب من منطقة الري[٧]، ومن هناك سارت الى مدينة (عباس اباد الري)، حيث أقام هولاكو مخيمات لجيشه فيها، فيما قاد القائدان الكبيران بوقاتيمور وكوكا ايلكا الجناح الايمن لمهاجمة رودبار من جهة الشمال الشرقي عن طريق مازندران[١].

أما الجناح الايسر فكان من نصيب كبتغانوين ومساعده تكدار أوغول، أحد امراء الجغتاي[٢]، وقد كلف بمهمة الاستيلاء على القلاع في منطقتي خوار[٣] وسمنان[٤]. وعززت تلك القوات بفرقة صغيرة من القبجاق بقيادة بلغايي وتوتار

Howorth, op. cit., vol. 3, p. 104.

(٤) الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٣، ص١٠٨؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ٢٦٨؛
Boyle, C.H. of Iran, vol. 5, p. 343.

(٥) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٩٣؛ عباس اقبال، تاريخ المغول، ص١٩٤؛
Howorth, op. cit., vol. 3, p. 104.

(٦) من المعروف ان قلعة الموت الشهيرة، هي مقر زعماء الاسماعيلية، ولكننا نجهل متى اصبحت قلعة ميمون دز، هي المقر الرئيس بدلاً عنها، والاسباب الى دعت الى ذلك.

(٧) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٩٤؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٢٦٧. والري: مدينة مشهورة في بلاد الجبال، تقع الى الجنوب من طهران الحالية، وكانت احدى مراكز تجمعات العسكر الهامة. انظر: ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، جـ٢، ص٦٥١؛ لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٢٥٢-ص٢٥٣.

(١) الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٣، ص١٠٦؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٩٣. ومازندران: احدى اهم مدن طبرستان. انظر: ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، جـ٣، ص١٢١٩.

(٢) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٩٣.

(٣) خوار: مدينة كبيرة من اعمال الري بينها وبين سمنان للقاصد الى خراسان، وهي على بعد عشرين فرسخاً من الري. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٢، ص٤٥١).

(٤) سمنان: بلدة بين الري وقومس، كثيرة الانهار والبساتين. (المصدر نفسه، جـ٣، ص٢٨٥).

لتضييق الخناق على ميمون دز من الجهة المقابلة لقوة هولاكو[٥]، وهكذا بالنسبة لاتابكية كرمان ويزد حيث توجهت قوتهما صوب قلاع منطقة الطالقان[٦] الوعرة[٧].

ومع ذلك لم تحقق هذه الالة الحربية المغولية الجبارة الانتصارات على الاسماعيلية هنا، بقدر ما احرزته اساليب هولاكو في المناورة والخداع التي عن طريقها تحقق للمغول الجزء الاكبر من النجاحات العسكرية، ليس ضد طائفة الاسماعيلية فحسب، وانما في جميع حروب هولاكو التي تلت ذلك.

لقد اثبت هولاكو قدرته كرجل سياسة اكثر من كونه مخططاً حربياً من خلال:

(١) محاولة شق صفوف اعدائه بحصوله على عناصر متعاونة معه من بين الجهاز الاداري، متوسماً التعاون من اولئك الذين كان يعتقد فيهم ضعف الاخلاص لسادتهم، ومستفيداً من الامراء المسلمين الذين كانوا في معيته، كحلقة وصل بينه وبين من كان يريد استمالتهم الى جانبه، فمثلاً، تكليفه بنجاح الملك شمس الدين كرت حاكم هراة في التوسط لدى ناصر الدين بن ابي منصور[١] محتشم[٢] قلاع سرتخت الاسماعيلية في ترك خدمة سيده خورشاه ةالالتحاق بمعسكر هولاكو[٣]، الذي امتثل لاجابة الطلب، دون تسليم سرتخت[٤]، وفي مثل هذه الحالة ينعم هولاكو على التابع

---

(٥) الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٣، ص١٠٧؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٢٦٧.

(٦) الطالقان: وهما بلدتان، والمقصود بها تلك التي تقع بين قزوين وابهر، وفيها عدة قرى. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٤، ص٧-ص٨).

(٧) الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٣، ص١٠٨؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٢٦٨؛
Boyle, C.H. of Iran, vol. 5, p. 343.

(١) هو ناصر الدين عبد الرحمن بن ابي منصور، عرف كونه صاحب نزعة فلسفية، ويشجع على ترجمة كتب الحكمة. وكانت بيده ادارة كثير من قلاع الاسماعيلية، وعند قدوم هولاكو كان ناصر الدين قد كبر وضعف، الى جانب توتر علاقته بمقدم الاسماعيلية ركن الدين خورشاه. انظر: رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٩١؛ عباس اقبال، تاريخ مفصل ايران، جـ١، ص١٩٣.

(٢) المحتشم: كلمة تطلق على من كانت بيده ادارة قلاع الاسماعيلية. ولم يكن للمحتشم زوجة ترافقه طوال مدة الاحتشام، وذلك بهدف استعداده الدائم للدفاع عن تلك القلاع دون ان يتقيد بأحد معه. (عباس اقبال، تاريخ مفصل ايران، جـ١، ص١٩٣).

(٣) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٩١.

(٤) مدعياً ان سكان القلعة ((لهم ملكاً يدعى خورشاه يأتمرون بأمره)). (المصدر نفسه، جـ٢، ص٦٩١).

الجديد بالبايزة[٥] والمرسوم (اليرليغ)[٦]، على نحو ما قام به مع المحتشم، منصباً أياه حاكماً على مدينة تون في قهستان[٧].

(٢) اللجوء الى استخدام الرسائل والوفود من اجل اضعاف الروح المعنوية للعدو وتحطيم عزيمة المقاومة عنده[٨]، ففيما لايقل عن ثمان مناسبات بعث هولاكو بالرسائل والوفود الى مقدم الطائفة يدعوه الى التسليم عن طريق الترغيب تارة والترهيب تارة أخرى، موفراً له الامان لحياته وحياة اهله، واتباعه ان هو استسلم طواعية، أو على العكس من ذلك يتوعده بالويل والثبور ان لم يفعل ذلك[١].

---

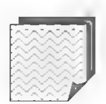
(٥) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٩٦١. والبايزة: هي لوحة تكريم مغولية ينعم بها على الاشخاص الذين يقدمون خدماتهم للمغول، وتكون اما ذهبية او فضية حسب مكانة الشخص المكرم بها. وينقش على اللوحة التي تساوي حجم كف اليد، اسم الله والقآن، واعلى اللوحة مزين بنقش رأس أسد. ويحصل حاملها على امتيازات كثيرة. انظر: عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، جـ١، ص٢٣٦؛ القزاز، الحياة السياسية، ص٨٤.

(٦) اليرليغ: كلمة مغولية بمعنى قانون او اقرار او امر، ثم استعملت لتدل على الامر او التفويض الصادر من السلطان مباشرة، وسميت المراسيم السلطانية باليرليغات. انظر: محمد رضا الشبيبي، اصول الفاظ اللهجة العراقية (بغداد: مطبعة المجمع العلمي، ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م)، ص١٠٥.

(٧) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٩١؛ عباس اقبال، تاريخ المغول، ص١٩٤؛ الصياد، المغول، ص٢٤٠.

(٨) وهو اسلوب شائع عند حكام المغول، فحين يريدون ان يفتحوا مدينة او يخضعوا اميراً او ملكاً، يدعوه اولاً للتسليم (ايلي). واذا رفض التسليم يقال له (ياغي) ويتحتم اخضاعه بالحرب. (عباس اقبال، تاريخ مفصل ايران، جـ١، ص١٢٤).

(١) الرسالة الاولى بعثها هولاكو عندما كان في مدينة خبوشان، في التاسع من جمادي الاخرة سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م، ولم تحقق نتيجة تذكر. والثانية برئاسة شحنة هراة موكتاي حققت نوعاً من المكاسب بين اتباع خورشاه. والثالثة نقلها وفد من خمسة اشخاص برئاسة احد المسلمين واسمه صدر الدين، طالباً تهديم القلاع والحصون والمثول بنفسه امامه. ورغم انه هدم بعض اجزاء من قلاع ميمون ذر والموت ولمبسر، الا ان خورشاه طلب ان يمهله سنة لكي يغادر بعدها القلعة، ولكن هولاكو رفض الطلب ظناً منه ان خورشاه يهدف الى مراوغته من اجل كسب الوقت. وفي الرسالة الرابعة بتاريخ العاشر من شعبان سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م، بعثها هولاكو وهو في بسطام ينذر فيها خورشاه: ((اننا عقدنا العزم، اذا جاء خورشاه لاستقبالنا، فاننا سنعفو عنه)). غير ان خورشاه كتب الى حكام كردكوه وقهستان يأمرهم بالاستسلام الى المغول. ولم يرض هذا هولاكو، فقد ظل مصمماً على قدوم خورشاه بنفسه. ولما استولى هولاكو على قلعتي فران وشاهدز ارسل رسالة خامسة لخورشاه لم تحقق نتيجة تذكر، كما هو حال الرسالة السادسة والسابعة. للتفصيل عن مراسلات هولاكو مع ركن الدين خورشاه، انظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٣، ص١٠٦-ص١١١؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٩٢-ص٦٩٥؛ البناكتي، تاريخ بناكتي، ص٤١٥.



ومن هذا المجموع، يظهر ان رسالة هولاكو الثانية،لقت ترحيباً عند بعض اتباع خورشاه عندما عرضت عليهم[٢]. الا ان اذعان مقدم الطائفة لمطالب هولاكو في تخريب القلاع والتسليم لجيش المغول لم يأت الا في رسالة التبادل الثامنة، التي كتبت في التاسع من شوال سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م، بعد سبعة شهور من ظهور هولاكو امام قلاع الاسماعيلية[٣].

ففي الرسالة الثانية استجاب الاصدقاء الثلاثة نصير الدين الطوسي ورئيس الدولة وموفق الدولة[٤] الذين كانوا يقيمون في قلاع الاسماعيلية الى هولاكو ومالوا اليه[٥]. وعن طريق نصحهم وتاثيرهم استجاب خورشاه لجزء من مطالب هولاكو، بأن اوفد اخاه الاصغر شاهنشاه الى معسكر المغول اظهاراً للطاعة[٦]، الا ان هولاكو ظل مصراً على هدم القلاع، وان يمثل المقدم امامه بنفسه[١]. والى ما قبل رسالته الثامنة، ظل الطرفان يتبادلان التهم والمناورة، هولاكو من جهته بالاصرار على رأيه بالتسليم الكامل مع قدوم خورشاه بنفسه ليمثل امامه. وخورشاه من جهة اخرى يتبنى الخداع والمراوغة، تارة بارسال ابن في الثامنة من عمره لمحظية له، رفضه هولاكو[٢]، وتارة اخرى يرسل اخاه شروانشاه على أمل كسب عفو هولاكو عنه دون جدوى[٣].

تضييق الخناق على قلعة ميمون دز

واستسلام زعيم الطائفة الاسماعيلية ركن الدين خورشاه.

(٢) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٩٢.

(٣) المصدر نفسه، جـ٢، ص٦٩٥.

(٤) موفق الدولة هو جد مؤرخ المغول رشيد الدين (ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، جـ٥، ص٢٧٤).

(٥) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٩٢.

(٦) المصدر نفسه، جـ٢، ص٦٩٢.

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٩٣.

(٢) ارسله في السابع عشر من رمضان سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م بصحبة طائفة من اعيان الاسماعيلية، فاكرم هولاكو الغلام، واذن له بالعودة، لانه لايزال صغيراً حسب قول رشيد الدين (جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٩٤).بينما يذكر الجويني بأن هولاكو اعاد الطفل، لانه شك بكونه ليس ابناً حقيقياً لخورشاه. (تاريخ جهانكشاي، جـ٣، ص١٠٧).

(٣) ارسله في الخامس من شوال سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م بصحبة ثلاثمائة من كبار شخصيات الطائفة الاسماعيلية، فقابلوا هولاكو في مدينة الري. (رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٩٥).



بعد ان غادر هولاكو منطقة (عباس اباد الري)، كان قد اقترب من القلعة الشهيرة ميمون دز[٤]، فأمر ان تقام مخيمات جيشه في منطقة تعرف بـ (بسكل دارا) القريبة من الطالقان[٥]. وطلب من اقسام جيشه الاخرى في مختلف الاطراف، الالتحاق بالقوة الرئيسة التي كان يقودها، والتجمع بعسكر واحد، حتى يتم الاحاطة بالقلعة من جميع الجهات[٦]. وبعد ان أمضى هولاكو بعض الوقت في بسكل دارا، لاستعراض جنده، والتاكد من استعداداتهم النهائية قبل شن الهجوم على العدو، وصل الى موضع مقابل تماماً لقلعة ميمون دز من ناحية الشمال في الثامن عشر من شوال سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م[٧]. وفي اليوم التالي كان هولاكو يطوف حول القلعة، ويرقب مداخلها ومخارجها بدقة من اجل تفحص المواقع المناسبة للهجوم عليها[١].

ويروي رشيد الدين انه في العشرين من شوال وصلت الجيوش بعظمة تامة تجل عن الوصف، واحاطت بالقلعة من جميع جوانبها، مشددة الحصار من حولها على امتداد ما يقرب من ستة فراسخ[٢]. ومع ذلك، فانه عندما حاول المغول مهاجمة القلعة، لم يحققوا نتيجة تذكر ،نظراً لما كانت تتمتع به القلعة من حماية طبيعية، ولما اضاف لها المدافعون من تحصينات منيعة[٣]. وفي الوقت ذاته ظهرت لهولاكو مشكلة اخرى، وهي اقتراب الشتاء ببرده القارص وثلوجه الوفيرة، فان لم تؤخذ القلعة قبل ذلك، فمما لاشك فيه ان هولاكو سيكون مضطراً على

(٤) المصدر نفسه، جـ٢، ص٦٩٥.

(٥) المصدر نفسه، جـ٢، ص٦٩٥.

(٦) المصدر نفسه، جـ٢، ص٦٩٦.

(٧) المصدر نفسه، جـ٢، ص٦٩٦.

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٩٦.

(٢) المصدر نفسه، جـ٢، ص٦٩٥؛
M. Hodgson, The Order of Assassins, p. 267.

(٣) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٩٥.

الاقلاع عن مواصلة الحصار والانتظار للسنة المقبلة[٤]، الامر الذي جعل هولاكو يشعر باليأس والحرج، حتى انه اراد العدول عن الحصار وتاجيل الاستيلاء على القلعة للعام المقبل، مسوغاً ذلك بقوله: ((اننا في وقت الشتاء، وحيواناتنا نحيفة عجفاء، والعلف معدوم، ويجب المبادرة بنقل العلف من ناحية بلاد الارمن أو حدود كرمان، فمن الافضل ان نعود الى قواعدنا))[٥].

غير ان بعض الامراء والقادة اشاروا عليه بضرورة الاستمرار في محاصرة القلعة، فأخذ بنصحهم[٦]، وشدد مجدداً الخناق على القلعة[٧]. وفي الوقت ذاته كانت رسالة هولاكو الثامنة الى ركن الدين خورشاه، والتي صيغت بكل عبارات الترغيب والترهيب[١]، سبباً في ضغط الامراء الاسماعيلية على زعيمهم، واقناعه بضرورة التسليم[٢]. وفي الاول من ذي القعدة سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م نزل ركن الدين خورشاه من القلعة بناءاً على مشورة اتباعه[٣]. وتوجه الى هولاكو بالمعسكر مقبلاً الارض امامه اعلاناً للطاعة[٤]. بعد ما يزيد عن سبعة اشهر من المماطلة. وحول هذا اللقاء يروي رشيد الدين، ان هولاكو لما وقع نظره على خورشاه، عرف انه غلام غير مجرب يعوزه الرأي والتدبير[٥]. غير انه اعزه واكرمه مؤقتاً، مقابل تسلم نحو مائة قلعة منه، موزعة بين مناطق قهستان ورودبار وقومس[٦].

---

(٤) المصدر نفسه، جـ٢، ص٦٩٥؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٢٦٨؛
Boyle, C.H. of Iran, vol. 5, p. 344.

(٥) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٩٥.

(٦) يذكر رشيد الدين ان الاشخاص الذين اشاروا على هولاكو بالاستمرار في حصار القلعة هم كل من بوقاتيمور وكتبغا نوين وسيف الدين البيتكجي. (جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٩٥).

(٧) يرد في المصادر انه في غضون اسبوعين لم تبق شجرة صنوبر واحدة في المنطقة المحيطة بالقلعة نتيجة استخدامها في المجانيق. أنظر:
Boyle, C.H. of Iran, vol. 5, p. 344.

(١) قام بتحريرها المؤرخ علاء الدين عطا ملك الجويني، الذي كان يعمل مستشاراً لهولاكو. انظر: تاريخ جهانكشاي، جـ٣، ص١٠٨.

(٢) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٩٥.

(٣) المصدر نفسه، جـ٢، ص٦٩٦.

(٤) المصدر نفسه، جـ٢، ص٦٩٦.

(٥) المصدر نفسه، جـ٢، ص٦٩٦.

(٦) المصدر نفسه، جـ٢، ص٦٩٦.

ومع ذلك، فان سقوط قلعة ميمون دز، واستسلام ركن الدين خورشاه مقدم الاسماعيلية وتسلم القلاع المائة لم يحل دون ان يستكمل هولاكو احتلال بقية القلاع التي رفضت الخضوع له، أو للانصياع لأوامر زعيم الاسماعيلية بالتسليم. وهذه القلاع هي:

قلعة الموت

يذكر الجويني ان هولاكو بعد استيلائه على قلعة ميمون دز، سار بطريق شهري رودبار، العاصمة القديمة لامراء الديلم، واقام فيها مخيماً، احتفل فيه المغول بالشراب واللهو لمدة تسعة ايام، على عادة الجنكيزخانيين بالاحتفال بالنصر[٧]. ثم توجه الى قلعة الموت من ناحية الجنوب، دون ان توضح لنا المصادر الطريق الذي سلكه بدقة[١]. ولما كانت الموت من القلاع المعروفة بمناعتها الطبيعية، طلب هولاكو من مأسوره ركن الدين خورشاه حث المدافعين عنها على التسليم، الا ان اسفهسلار[٢] القلعة رفض نداء خورشاه، مما اجبر هولاكو الى تكليف قائد القبجاق بلغايي بمحاصرة القلعة والاستيلاء عليها بالقوة[٣]. وفي الوقت نفسه ارسل للمحاصرين منشوراً يؤمنهم فيه على حياتهم[٤]. وبعد ثلاثة ايام من القتال الشرس، استجاب الاسفهسلار لنداء هولاكو وسلم القلعة للمغول في السادس والعشرين من ذي الحجة سنة ٦٥٤ هـ/تشرين الثاني ١٢٥٦م[٥]. غير ان الجيش المغولي لما دخل المقر الاصلي المعتاد للاسماعيلية،

---

(٧) تاريخ جهانكشاي، جـ٣، ص١١٤؛ وأنظر أيضاً :
Boyle, C.H. of Iran, vol. 5, p. 345.

(١) طبقاً للدراسة الميدانية التي قام بها (W. Ivanow) توصل الى انه من الصعوبة المرور لقلعة الموت مباشرة عبر هذا الطريق الصخري الضيق المليء بالمنحدرات والوهدات. انظر :
Alamut and Lamasar, (Teheran, 1960), p. 78.

(٢) اسفهسلار : تعني مقدم العسكر، وهو لفظ مركب من مقطعين، الاول اسفه بمعنى مقدم، والثاني سلار تركي بمعنى العسكر. (القلقشندي، صبح الاعشى، جـ٦، ص٧-ص٨).

(٣) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٩٦.

(٤) المصدر نفسه، جـ٢، ص٦٩٦؛ الصياد، المغول، ص٢٤٢-ص٢٤٣.

(٥) الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٣، ص١٠٩؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٢٦٩؛
Boyle, C.H. of Iran, vol. 5, p. 345.

عاث فيها فساداً من قتل ونهب وتخريب، خلافاً للوعود التي وردت في منشور هولاكو[٦].

ومن الجدير بالذكر ان هولاكو شخصياً لم يصعد للقلعة لمشاهدتها، الا بعد تصفية جميع جيوب المقاومة فيها بشكل نهائي[١]، وهو امر سوف نجد تكرار حدوثه في جميع المناطق التي ينجح في احتلالها لاحقاً . وعند صعوده الى اعلى تلك القلعة دهش لعظمتها وحصانتها[٢]، ولكنه لم يضع وقتاً طويلاً للاحتفال بالنصر، بل كلف قائده طايربوقا على رأس كتيبة من قوات القلب ان يسارع لاخضاع قلعة لمبسر[٣].

إخفاق هولاكو في إخضاع قلعتي لمبسر وكردكوه.

ان الظفر السريع الذي حققه هولاكو في اخضاع القلاع الرئيسة للاسماعيلية مثل ميمون دز والموت وسرتخت وغيرها، لم يتيسر له في قلعتي لمبسر التي تقع في منطقة رودبار، وكردكوه (وتعني الجبل المدور) والتي تقع جنوب الدامغان، وتشرف على الطريق بين خراسان وغربي ايران، بسبب اصرار

[٦] وكان من بين ماوقع في ايدي المغول، المكتبة النفيسة التي جهد الاسماعيلية كثيراً في انشائها، وقضوا في ذلك سنوات عديدة، وكان من صيتها ان ساهمت في ذيوع شهرة الطائفة الاسماعيلية نفسها. وقد استأذن عطا ملك الجويني من هولاكو في ان يطلع على محتويات تلك المكتبة، ليبقى منها مايمكن الاستفادة منه، ويتلف ماتبقى منها، فاختار مجموعة قيمة من المصاحف والكتب والات الرصد، ومن اهم تلك الكتب التي عثر عليها الجويني كتاب سركذشت سيدنا (أي سيرة سيدنا) الذي يشتمل على شرح احوال الطائفة الاسماعيلية في ايران منذ تأسيسها على يد الحسن بن الصباح وخلفائه من بعده، وقد دون الجويني خلاصة الكتاب المذكور في الجزء الثالث من مصنفه تاريخ جهانكشاي، كما ان جزءاً اكثر تفصيلاً منه نقله رشيد الدين في كتابه جامع التواريخ. انظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٣، ص٨٠-ص١٠٩؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٤٠-ص٦٩٠؛ عباس اقبال، تاريخ المغول، ص١٩٨؛ الصياد، المغول، ص٢٤٣.

[١] رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٩٦.

[٢] المصدر نفسه، جـ٢، ص٦٩٦.

[٣] المصدر نفسه، جـ٢، ص٦٩٦.

المدافعين فيهما على المقاومة، وعدم انخداعهم بالمناورات السياسية لهولاكو، ففي لمبسر امتنع السكان المدافعين عن الاذعان لنداء زعيمهم السابق ركن الدين خورشاه بالتسليم لهولاكو، وظلوا يقاومون حصار القائد المغولي طايربوقا لمدة سنة كاملة[٤]، قبل ان ينتشر الوباء بينهم، ويهلك الكثيرين منهم، مما اجبر الباقين على النزول والاستسلام[٥].

اما قلعة كردكوه التي تميزت عن سابقاتها من القلاع بكونها كانت مجهزة جيداً بالذخائر والمؤن، فقد صمدت في وجه الحصار الذي قاده كتبغانوين لاكثر من سنتين، وعندما جرب هولاكو دوره لأخضاعها، فأن المدافعين عنها الذين قدر عددهم بين مائة ومئتي رجل فقط، دافعوا عنها بشجاعة منقطعة النظير[١]، الى حد انه في النهاية عجز عن ايجاد وسيلة تمكنه منها، مما اضطر الى الرحيل عنها، وترك أمر معالجتها لقادته[٢]. وتختلف المصادر في طول المدة التي قاومت فيها كردكوه جيش المغول، فبينما يخبرنا الجوزجاني بانه عندما كتب مؤلفه الطبقات في سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م، فان القلعة يكون قد مضى من حصارها بضعة سنين[٣]. يذكر رشيد الدين ان القلعة لم تسقط الا بعد عشرين سنة من المقاومة أبان عهد أباقاخان بن هولاكو، بعد ان نفذت منها جميع المؤن التي كانت بداخلها[٤]. وبذلك تكون قلعة كردكوه اول قلعة تقاوم المغول من جهة، وآخر قلعة يدخلها هؤلاء المغول من جهة اخرى.

---

(٤) المصدر نفسه، جـ٢، ص٦٩٥؛

P. Willey, The Castles of the Assassins, p. 273; Purgstall, The History of the Assassins, p. 176; Freya Stark, The Valleys of Assassins, p. 234.

(٥) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٢٥؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٢٧١؛

Howorth, op. cit., vol. 3, p. 106.

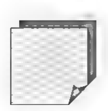
(١) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٩٦.

(٢) المصدر نفسه، جـ٢، ص٦٩٦.

(٣) ولكنها كانت خارج سيطرة المغول. (طبقات ناصري، جـ٢، ص١٨١).

(٤) جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٩٦. وتنفرد المصادر الصينية بذكر ان القلعة سقطت في وقت مبكر، فالوثائق الرسمية لاسرة اليوان تؤكد انها استسلمت بيد كتبغا نوين في سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م. وفي السيرة الذاتية لكوكا ايلكا: ((إن هذه القلعة التي لايمكن الوصول اليها الا بالسلالم المعلقة ويحرسها اشجع الرجال سقطت بيد هذا القائد. انظر:

Bretschnieder, op. cit., vol. 1, p. 134.



مصير الطائفة الإسماعيلية وتصفيتها

قام هولاكو بتصفية بيت ركن الدين خورشاه واتباعه جميعهم في تاريخ غير محدد في المصادر، بعد استلام اوامر القاآن بخصوصهم. اما قبل هذا التاريخ فقد ظل هولاكو يعامل ركن الدين خورشاه واتباعه بعد استسلامه معاملة حسنة مدة من الزمن، ويفسر رشيد الدين اسباب تلك المعاملة: ((بان هولاكو قد قطع العهد على نفسه، بان يؤمنه على حياته، فانه لم يشأ أن يتحلل من هذا العهد))[٥]. مع انه ليس في هذا التفسير ما يقنع، لان ذلك لم يكن يهم هولاكو كثيراً، فما هي اكثر العهود التي كان قد وعد بها اعدائه ثم قام بنكثها. والحقيقة ان هولاكو احتفظ بخورشاه لانه كان بحاجة الى مساعدته في تصفية ما تبقى من قلاع الاسماعيلية والتي كانت لا تزال خارج سيطرة المغول، ولا سيما قلعتي كردكوه ولمبسر، فضلاً عن قلاع الاسماعيلية في بلاد الشام، وهو ما يفسر امتناع هولاكو من الاجهاز عليه وتصفيته فوراً، فقد كان يريد منه ان يحث المدافعين عن تلك القلاع على التسليم دون قتال، بكونه زعيماً للطائفة، وان يحتفظ به كعنصر مساومة مع المقاومة التي يبديها اتباعه، حتى تسنح له الفرصة المناسبة للتخلص منه[١]. وباستجابة خورشاه لاوامر هولاكو، ومرافقته الى قلعة الموت وطلبه من المتحصنين فيها بالتسليم للمغول، حقق هولاكو جزءاً من الهدف الذي جاء من أجله، ولذلك انعم عليه هولاكو في العاشر من محرم سنة٦٥٥هـ/١٢٥٧م قبل ارساله الى بلاط القاآن باليرليغ والبايزة، ووهبه فتاة مغولية ليتزوج منها[٢]، واسكنه مدينة قزوين لتكون مقراً له ولحاشيته[٣] والسؤال هو من الذي أمر بوضع حد لحياة خورشاه وعائلته القاآن أم هولاكو شخصياً؟

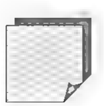
---

[٥] جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٩٦–ص٦٩٧.

[1] M. Hodgson, The Order of Assassins, p. 268; P. Willey, The Castles of the Assassins, p. 168.

[٢] رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٩٦. ولم تذكر لنا المصادر اسمها او العائلة التي تنتسب اليها، سوى ماذكره الجويني بأنها كانت من طبقة عامة الترك (تاريخ جهانكشاي، جـ٣، ص١١٩) مما يؤكد بأنها ليست من اسرة نبيلة. انظر ايضاً :

M. Hodgson, The Order of Assassins, p. 269.



يوجد اتفاق بان خورشاه قتل بطريقة غامضة، عندما ارسله هولاكو الى بلاط أخيه منكوقاآن في قراقورم عاصمة المغول[٤]. لكن الاختلاف في الروايات حول هذه المسألة قائم، فهناك عدم وضوح فيما اذا تمكن خورشاه من مقابلة القاآن ام لا، وفيما اذا كان قد قتل في طريق رحلة الذهاب، ام ان ذلك قد حدث في أثناء عودته لبلاده.

لذلك اختلفت الاراء بصدد من تقع عليه تبعة قتل خورشاه ان كان على هولاكو، ام على اخيه القاآن؟ ولتوضيح الغموض ينبغي تحليل روايات المصادر المعاصرة التي تناولت هذه المسألة ، ونخص بالذكر روايات الجويني وابن العبري ورشيد الدين، فما يرد عند الجويني، يظهر انه في الاول من ربيع الاول سنة ٦٥٥هـ/التاسع من اذار ١٢٥٧ م قام خورشاه برفقة تسعة من اتباعه بزيارة الى بلاط القاآن الاعظم بحراسة ايلجية من المغول يقودها بوجراي، الذي عند وصوله استقبله القاآن بشكل مهين، ووبخه بعنف وشدة، لان كثير من قلاع الاسماعيلية لم تستسلم بعد، وانه لذلك غير جدير بتقديم فروض الطاعة (التكشميشي)، لان تعاليم الياسا لا تبيح للعصاة تقديمها. ثم طلب منه العودة الى بلاده، والطلب من نوابه في كَردكوه ولمبسر النزول من قلاعهم واعلان استسلامهم[١]. لكن الجويني يضيف انه في اثناء طريق العودة، على مقربة من جبال التانغوت[٢]، تم وضع حد لحياة خورشاه مع من كان معه من اتباعه، وكان المنفذون هم انفسهم رجال الايلجية الذين كانوا يحرسونه، خارج الطريق المحدد للرحلة، بعد ان اقنعوه بان هناك وليمة اعدت له في احد الاماكن[٣]

وتتطابق رواية ابن العبري تماماً مع رواية الجويني[٤]. الا ان رشيد الدين بالرغم من تأكيده على الغموض الذي يحيط بهذه المسألة، يرجح ان ركن الدين خورشاه لم تطأ

---

(٣) رشيد الدين، جامع التواريخ، ص٦٩٦.

(٤) يذكر الجويني ان ذلك تم بناءاً على طلب خورشاه نفسه، ونزولاً عند رغبته الخاصة. (تاريخ جهانكشاي، جـ٣، ص١٢٠).

(١) تاريخ جهانكشاي، جـ٣، ص١٢١.

(٢) التانغوت او التانغو: اسم لسلسلة جبال تقع شرق غرب منغوليا وهي تمتد بموازاة جبال خانقاي الى الشمال والشمال الشرقي منها، ويطلق عليها احياناً في المصادر اسم خانقاي على جبال التانغوت ايضاً . انظر: Bretschnieder, op.cit., vol. 1, p. 114.

(٣) تاريخ جهانكشاي، جـ٣، ص١٢١.

(٤) تاريخ مختصر الدول، ص٢٦٦.

قدماه بلاط القآن، لان القآن رفض استقباله قائلاً : ((لماذا تحضرونه لي وتشقون بذلك عبئاً على الدابة التي يركبها))[٥]ثم اصدر الاوامر بقتله فوراً . ومن تحليل هذه الروايات يبدو ان المؤرخين الثلاثة يدفعون تبعة قتل خورشاه عن هولاكو، ويحملون اخاه القآن المسؤولية كاملة. اما ماورد عند الجويني وابن العبري، من ان القآن قام باستقبال خورشاه اولاً ثم طلب فيما بعد منه العودة لبلاده، ومن ثم اصدار الاوامر بقتله، وهو في طريق العودة، فهو ما يحيط به الشك، ولا يوجد ما يعززه. ومع غياب تاريخ محدد لمقتل خورشاه، تبدو رواية رشيد الدين التي تؤكد ان خورشاه لم يصل الى بلاط القآن هي اقرب الى الصحة، وما يرد عند الجويني من ان خورشاه قد قتل خارج الطريق المحدد للرحلة[٦]، يقود الى استنتاج بان هذا الاخير، ربما كان على دراية بما كان يضمر له منذ البداية، وانه حاول الهرب من حراسة وهو في طريق الذهاب، لكن رجال الايلجية لحقوا به وقتلوه مع اصحابه بامر من هولاكو، خاصة انه لم يجد من مسوغ في بقائه على قيد الحياة، فضلاً عن ان التعليمات التي اصدرت لهولاكو من اخيه القآن كانت واضحة ودقيقة، وهي تدمير قلاع الاسماعيلية واستئصال شأفتهم جميعاً[١]. والاحداث التي تلت مقتل خورشاه تؤكد ذلك، فقد اصدر هولاكو الاوامر بقتل جميع افراد اسرته واقاربه وجميع اتباعه، ولم يستثن من ذلك حتى الاطفال في مهودهم[٢]. وقام الحاكم المغولي لخراسان المدعو (اوتكه جينا)[٣] باحضار اسماعيلية قهستان بحجة احصاء عددهم، وقتل اكثر من اثني عشر الف منهم دفعة واحدة[٤]. وبدأت المنطقة الواقعة بين ابهر[٥] وقزوين خالية من أي اثر

---

(٥) جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٩٧.

(٦) تاريخ جهانكشاي، جـ٣، ص١٢١.

(١) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، جـ٥، ص٢١١.

(٢) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٩٦.

(٣) ويعني اسمه بالمغولية (الذئب الكبير)، (عباس اقبال، تاريخ مفصل ايران، جـ١، ص١٩٣).

(٤) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول؛ عباس اقبال، تاريخ مفصل ايران، جـ١، ص١٩٣؛
M. Hodgson, The Order of Assassins, p. 270.

(٥) ابهر او اوهر: مدينة مشهورة بين قزوين زنجان وهمدان من نواحي الجبل. (ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، جـ١، ص٢١).

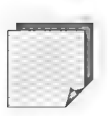
لوجودهم(٦). ومع ان المصادر تذكر انه لم يبق على قيد الحياة احد منهم، الا ان ذلك يبدو مبالغاً فيه(٧).

وفيما يلي جدولاً بالقلاع الإسماعيلية التي خضعت للغزو المغولي حرباً وسلماً:

اسم القلعة	الاقليم	القائد الذي اخضعها	كيفية اخضاعها	التاريخ
تون	قهستان	كتبغانوين	حرباً	سنة ٦٥١هـ/١٢٥٣م
ترشيز	قهستان	كتبغانوين	حرباً	سنة ٦٥١هـ/١٢٥٣م
شاه	قهستان	كتبغانوين	حرباً	سنة ٦٥١هـ/١٢٥٣م
مهرين	قهستان	كتبغانوين	حرباً	سنة ٦٥١هـ/١٢٥٣م
كمالي	قهستان	كتبغانوين	حرباً	سنة ٦٥١هـ/١٢٥٣م
زيركوه	قهستان	كتبغانوين	حرباً	سنة ٦٥١هـ/١٢٥٣م

(٦) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٩٧.

(٧) فقد بقي الاسماعيلية بعد ذلك مدة من الزمن في ايران، لان كثير منهم اختفى في الجبال والكهوف بانتظار تحسن الاوضاع، بدليل ان اباقا بن هولاكو وخلفائه شنوا عدة حملات في سنوات تالية لقمع فلولهم. وفي احدى المرات، وبالتحديد في سنة ٦٧٤هـ/١٢٧٥م حاول الاسماعيلية اعادة سيطرتهم على قلعة الموت، ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك. (رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٤٠). وهاجر البعض منهم، فالحوليات الجورجية المعاصرة تشير الى ان بعض الذين نجوا من مذبحة المغول تمكنوا من الوصول لمصر.
Howorth, op. cit., vol. 3, p. 108.



آله بشين	رودبار	هركتاي	حرباً	سنة ٦٥١هـ/١٢٥٣م
منصورية	رودبار	هركتاي	حرباً	سنة ٦٥١هـ/١٢٥٣م
فران	رودبار	هولاكو	حرباً	٦٥٤هـ/١٢٥٦م
شاه دز	رودبار	هولاكو	حرباً	٦٥٤هـ/١٢٥٦م
الموت	رودبار	هولاكو	حرباً	٦٥٤هـ/١٢٥٦م
ميمون دز	رودبار	هولاكو	سلماً	٦٥٤هـ/١٢٥٦م
مع ما يزيد عن تسعين قلعة	قومس رودبار وقهستان	هولاكو	سلماً	٦٥٤هـ/١٢٥٦م
لمبسر	قهستان	طايربوقا	حرباً	٦٥٥هـ/١٢٥٧م

من الواضح ان النجاحات العسكرية التي حققها هولاكو على حساب طائفة الاسماعيلية في ايران، واخضاعه لقلاع ميمون دز والموت وسرتخت وغيرها لحكمه، كان تفوقاً مهماً للمغول ولهولاكو شخصياً، انهى به حكم تلك الطائفة ومحق وجودهم نهائياً من تلك المنطقة. الا ان هذا المكسب لم يتحقق للسيد الجديد للبلاد بالوسائل العسكرية وحدها، بقدر ماتحقق له ذلك بالوسائل السياسية، والسمعة المخيفة التي عرف بها المغول عند اعدائهم. فباستثناء اخضاع بعض القلاع غير المهمة عنوة، بعد سلسلة من اعمال الحصار المتتالية لها، فان هولاكو في حقيقة الامر، لم يخض اية معركة كبيرة وحاسمة ضد اعدائه من اسفهسالارات ومحتشمي تلك القلاع. ونحن نعرف فشله الذريع في قهر قلعتي لمبسر وكَردكوه، لكون المدافعين عنهما، من الرعايا والفداوية قد استعدوا بشكل جيد لمواجهة الحصار والضغط العسكري لجيشه، مما يقف دليلاً ساطعاً يبرهن على ذلك.

ومن هنا نرى ان نجاح هولاكو في تحقيق اهدافه ضد طائفة الاسماعيلية بمثل هذه السرعة المذهلة والسهولة المتناهية يعود لجملة من الاسباب اهمها:

(١) حجم الجيش المغولي الذي قاده هولاكو كان كبيراً جدا بحيثً، لم يكن لقوة الطائفة الاسماعيلية ادنى حد من ان تكون نداً له. وانتشار ذلك الجيش بشكل واسع على امتداد الاقاليم الرئيسية الثلاث للطائفة في قهستان وقومس ورودبار، واتقانه لوسائل الحصار واستخدام المجانيق، مع ما رافق ذلك من سمعة مخيفة عرفت بها جيوش المغول، كلها عوامل ساهمت بشكل فعال في تمكن هولاكو وجيشه من بث الخوف واليأس في نفوس زعماء الاسماعيلية، ومن ثم استسلامهم دون مقاومة.

(٢) كان لوجود قاذفات النفط الصينية في الجيش المغولي دور فعال في اقناع المتحصنين بالقلاع بصعوبة الصمود والاحتفاظ بقلاعهم لمدة زمنية طويلة، في وجه سلاح جديد لم يألفوه من قبل.

(٣) نجاح هولاكو شخصياً في استمالة شخصيات من كبار اتباع مقدم الاسماعيلية الى جانبه، من امثال نصير الدين الطوسي وناصر الدين وموفق الدولة وغيرهم، مستفيداً من الانقسام الذي حدث داخل الزعامة الدينية للطائفة، بعد مقتل علاء الدين محمد، وارتقاء ابنه ركن الدين خورشاه محل والده.

(٤) لعبت الوعود التي قطعها هولاكو لخورشاه عبر رسائله العديدة ، بمنح الامان له ولاسرته وجميع اتباعه، دوراً حاسماً في قبول مقدم الاسماعيلية باعلان طاعته واستسلامه، ودعوته لاتباعه بوجوب القاء السلاح والنزول من قلاعهم امتثالاً لاوامر هولاكو، رغم الشكوك التي تدور حول مصداقية هذه الوعود سياسياً واخلاقياً .

وعلى كل حال، فان نجاح هولاكو في تحقيق هدف حملته الأول المتمثل بالقضاء على طائفة الإسماعيلية، وأزالتها من الوجود كقوة سياسية بشكل نهائي، كان ذا أهمية خاصة بالنسبة للقائد المغولي الشاب، فقد منحته الفرصة ليثبت كفاءته العسكرية خارج حدود بلاده لاول مرة، وليبرهن على انه كان في مستوى المسؤولية التي كلف بها. وكان من نتائج انتصاره العسكري الكاسح ، ان اصبح لاسمه روع مخيف في مختلف بلدان الخلافة الشرقية، لكونه تمكن من قهر القوة التي عرفت بشدة البأس، والتي طالما عجزت كل القوى المجاورة لها من إخضاعها من قبل لمدة تزيد عن قرن ونصف. ومن الناحية

السياسية فان هذا النجاح ضمن لهولاكو ان يفرض سلطته على جميع اراضي ايران، وهي القاعدة التي كان ينوي اقامة حكم الايلخانيين عليها بعد اضافة العراق اليها.

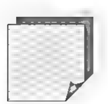
حملة هولاكو على بغداد عاصمة العباسيين

انهى هولاكو المرحلة الاولى من مراحل حملته العسكرية ضد طائفة الاسماعيلية في نهاية سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م بعد ان استسلم اليه خورشاه مقدم الطائفة وتم تدمير قلاعه، فعاد الى مقره العسكري في مكان يعرف بـ (كَشلمبه)[١] بالقرب من قزوين، حيث قضى تلك السنة هناك[٢].

وفي ضوء تجربته مع الطائفة الاسماعيلية شرع في شهر ربيع الاول من سنة ٦٥٥هـ/مايس ١٢٥٧م في تنفيذ المرحلة الثانية من حملته العسكرية، وهي التوجه الى

(١) وتقع على بعد سبعة فراسخ من قزوين. (لسترنج. كي، بلدان الخلافة الشرقية، ص٢١٨).

(٢) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٩٧.



العاصمة العباسية بغداد واخضاعها بحد السيف، على نحو ما هو مقرر في خطة مجلس القوريلتاي المغولي، وعند وصوله الى اقليم بلاد الجبل، اتخذ من منطقة (خان آباد) مقراً لادارته العسكرية[٣].

ومن روايات المصادر نعرف ان هولاكو سار باتجاه بغداد في نفس الشهر من سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م حيث وصل همدان، الا انه عندما غادرها الى دينوار[٤]، عاد اليها مجدداً، ومن هناك ذهب شمالاً الى تبريز، حيث قضى ما يقرب من شهرين (شعبان ورمضان سنة ٦٥٥هـ/ آب وايلول ١٢٥٧م[٥]. ولا توضح لنا المصادر الاولية سبب مغادرة هولاكو بهذا الشكل المفاجئ الى تبريز، ولماذا اقدم على تأجيل حملته لمدة هذين الشهرين. غير ان هناك من الباحثين من يعتقد ان ارجاء الحملة يعود الى عدم تمكن هولاكو من التنسيق مع رجال ادارة الخليفة حينئذٍ[١]. اما في حقيقة الامر، فأن تأجيل هولاكو موعد حملته المقررة يعود لسببين مهمين، الاول انه اراد انقضاء فصل الصيف الحار غير المناسب تماماً لحركة جيشه، لان المغول لم يعتادوا القتال في الاجواء الحارة، خاصة وان المنطقة الممتدة بين القاعدة الادارية للجيش في همدان وعاصمة العباسيين تفتقر في هذا الوقت للمراعي الضرورية للجياد والدواب التي يعتمد عليها الجيش المغولي بشكل كبير. وفي اثناء ذلك لم يجد هولاكو مكاناً افضل من تبريز وضواحيها يقضي فيه

---

(٣) المصدر نفسه، جـ٢، ص٦٩٨.

(٤) دينوار: مدينة من اعمال الجبل قرب قرميسين بينها وبين همدان نيف وعشرون فرسخاً (ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٢، ص٥٤٥).

(٥) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٩٩.

(١) مثل الباحث رافرتي (H.G. Raverty) في تحقيقه لكتاب الجوزجاني يفسر ذلك بقوله؛ ان هولاكو كان قد استعجل في بداية حملته على اراضي الخلافة العباسية، غير ان الوزير الخائن (يقصد ابن العلقمي) لم يكن قد انجز بعد ما اتفق عليه مع القائد المغولي بخصوص تسريح الجزء الاكبر من جيش الخلافة، وعندما علم هولاكو بذلك أرجأ المشروع مدة شهرين ليتيح الفرصة للوزير لانجاز مشاريعه. ويبدو لنا ان الباحث المذكور كان متأثراً برواية الجوزجاني حول مسألة خيانة ابن العلقمي، لانه اذا كان المقصود قيام الوزير بتخفيض حجم جيش الخلافة بداعي تقليص النفقات، فان ذلك يعود على ما اجمعت عليه المصادر الى سنوات عديدة مضت قبل حركة هولاكو صوب عاصمة العباسيين. انظر:

Tabakat-Nasiri, translated by H. G. Raverty, (London, 1970), vol. 2, p. 1224, note, 8.

وحول مسألة تقليص الجيش العباسي. انظر: خصباك، العراق في عهد المغول الايلخانيين، ص٣٠وما بعدها.

اوقات الاستجمام وممارسة هواية الصيد المحببة اليه، والثاني ان هولاكو فوجئ بوجود عدد من القلاع والحصون التي تحتل الاماكن والممرات الجبلية على قمم جبال زاكروس في الطريق الى بغداد، وتقع تحت سيطرة قبائل مناوئة من الاكراد والتركمان الصعبة المراس، التي لم يكن يحسبها هولاكو بهذه الاهمية قبل تحركه صوب بغداد، فاراد في المدة المذكورة، اخضاع تلك القبائل لسلطته وفك ارتباطها بالخلافة العباسية سلماً، وان تعذر عليه ذلك، كان لا بد من العمل للتخلص منها عن طريق القوة، لكي يؤمن حماية مواقع جيشه الامامية في همدان اولاً، وضمان خطوط مواصلاته الخلفية في حال الاندفاع نحو بغداد ثانياً، حتى يستبعد تماماً أي احتمال بان يتعرض جنوده الى هجوم مباغت من الخلف قد يؤدي الى ان تتعثر حملته في اية مرحلة من مراحلها[٢].

أحوال الخلافة العباسية عشية غزو هولاكو

عاصر اربعة من الخلفاء العباسيين حملات الغزو المغولي على بلاد الخلافة الشرقية كان اولهم الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٨١-١٢٢٥م) الذي في عهده اندفع جنكيزخان صوب الدولة الخوارزمية وقوض حكمها، منقذاً بشكل غير مقصود دولة الخلافة العباسية من عدو كان يجاهرعلناً بالتوجه الى بغداد، اسوةً بالاسر البويهية والسلجوقية التي اقامت لها ادارة هناك، ومع ضعف التهمة الموجهة للخليفة الناصر لدين الله من بعض المؤرخين، والقائلة بتأمر الخليفة مع المغول ضد السلطان محمد خوارزمشاه، الا انه يكاد يكون من الحقائق الثابتة ان الخليفة لم يقم بما كان ينبغي عليه لتفادي هذا الخطر المغولي الجارف[١].

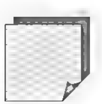
وقد اعقب الناصر ابنه الظاهر بأمر الله (٦٢٢-٦٢٣هـ/١٢٢٦م) الذي لم يكمل سنة من خلافته حتى وافته المنية بعد شهور من توليه المسؤولية[٢]. فيما شهد عهد الخليفة

---

(٢) الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٢٩٢.

(١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، جـ٩، ص٣٨٦؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، جـ٤، ص٧٨.

(٢) الذهبي، دول الاسلام، جـ٢، ص٩٥.



المستنصر بالله (٦٢٣-٦٤٠هـ/١٢٢٦-١٢٤٢ م) حملة كبيرة للمغول جردها اوكتاي قاآن بن جنكيزخان على ما تبقى من الدولة الخوارزمية، وقد تمكنوا من هزيمة السلطان جلال الدين منكبرتي، خلف محمد خوارزمشاه وقتله في عام ٦٢٨هـ/١٢٣٠م في احدى قرى مدينة خلاط[٣]. كما شهدت خلافة المستنصر بالله تهديد المغول لاطراف العراق ودولة الخلافة لثمان مرات ما بين السنوات ٦٢٨-٦٤٠هـ/ ١٢٣٠-١٢٤٢م[٤].

وخلف المستعصم بالله الخليفة العباسي الاخير (٦٤٠-٦٥٦هـ/١٢٤٢-١٢٥٨م) والده المستنصر بالله ، الذي اختلف عن هؤلاء الخلفاء بضعف الشخصية، وعدم توفر الكفاءة فيه لمنصب الخلافة لعدم ارتقاء شخصيته لمستوى الاحداث الخطيرة التي كانت تحيط بالدولة حينئذٍ، فمثلاً يقول عنه ابن الطقطقى: ((كان المستعصم رجلاً خيراً متديناً لين الجانب سهل العريكة عفيف اللسان ... الا انه كان مستضعف الرأي ضعيف البطش، قليل الخبرة بامور المملكة، مطموعاً فيه، غير مهيب في النفوس،ولا مطلع على حقائق الامور))[١]. من هنا تميزت مدة حكمه بكون السلطة الحقيقية كانت بيد رجال البلاط، وليس بيده[٢]. وعشية التهديد المغولي الشامل لاراضي الخلافة ازدادت هذه الحالة سوءاً وخطورة اثر تفاقم المشاكل داخل الجهاز الاداري المسؤول عن شؤونها[٣]، وخصوصاً النزاعات التي كانت تقع بين كبار موظفي الديوان بزعامة الوزير مؤيد الدين بن العلقمي من جانب، والدويدار الصغير من جانب اخر، فالدويدار الصغير الذي كان كاتباً للخليفة اصبح يترقى بصورة تدريجية في البلاط، حتى آل به المقام عنده وفاة ابن بلده شرف الدين الشرابي في سنة ٦٥٣هـ/١٢٥٥م الى تولي قيادة الاتراك المماليك، الذين كانوا يشكلون غالبية الجيش العباسي[٤]؛ وبهذا التقدم السريع اصبح الدويدار منافساً خطيراً للوزير

---

(٣) خلاط: وهي قصبة ارمينية الوسطى، فيها الفواكه الكثيرة والمياه الغزيرة. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٢، ص٤٣٥-ص٤٣٦).

(٤) مجهول، الحوادث الجامعة، ص١٢٨، ص١٦٠، ص٢١٢؛ خصباك، العراق، ص٣٢.

(١) الفخري في الاداب السلطانية، ص١٢٧.

(٢) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠٢.

(٣) تناول كثير من الباحثين مسألة تدهور اوضاع الخلافة العباسية عشية الغزو المغولي بالنقد والتحليل. انظر: خصباك، العراق في عهد المغول الايلخانيين، ص٣٢-ص٤٠؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٢١٢-ص٢٢٣؛ الصياد، المغول، ص٢٥١-ص٢٥٥؛ عجمي الجنابي، المقاومة العربية، ص٦١-ص٧٠.

(٤) مجهول، الحوادث الجامعة، ص٩٣-ص٩٤؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٢١٣.

ابن العلقمي، ومعارضاً شديداً لسياسته الادارية. ويلاحظ ان الصراع الداخلي بين الاداريين العباسيين وصل قمته في سنة ٦٥٣هـ/١٢٥٥م، وذلك عندما اتهم الوزير ابن العلقمي خصمه بالتآمر مع ابن الخليفة الاكبر ابو بكر،والذي تسميه بعض المصادر أبو العباس، للاطاحة بالمستعصم بالله واحلال ابنه مكانه[٥]. وعندما سمع الدويدار بهذه الادعاءات انكر ذلك كلياً، ودعا ابناء جلدته من مماليك الخلافة، الذي كانوا تحت زعامته الى مؤازرته، فيما طلب من خصمه الوزير أن يقابله في ميدان المعركة، وما ان سمع الوزير بان خصمه جمع جيشاً من مماليكه لتحديه حتى قام بحركة مماثلة من جانبه فجمع اعداداً من اتباعه استعداداً للمجابهة، ولم يتم تجنب القتال بينهما سوى توسط الخليفة المستعصم بنفسه[٦].

وعند قدوم هولاكو على رأس حملته، وهو في طريقه نحو الاراضي العباسية، فقد اقترح الوزير وجوب استرضاء ذلك العدو الغازي، وذلك بارسال هدايا وتحف ووحدة عسكرية صغيرة لتشارك في حربه المقررة ضد طائفة الاسماعيلية، فيما قام الدويدار الصغير باتهام خصمه بالتآمر مع المغول ضد الخليفة[١].

اما جيش الخلافة العباسية، عشية الغزو المغولي، فلم يكن بحالة يحسد عليها عدداً واستعداداً فقد كان جيشاً صغيراً لا يزيد تعداده في التقدير الاولي لتشكيلاته عن ثلاثين الفاً في احسن الاحوال[٢]، ويتكون معظمه من مماليك الخلفاء الذين تولوا الخلافة قبل المستعصم بالله[٣]. وكانت رئاستهم كما ذكرنا مسندة الى الدويدار الصغير[٤]. والى جانب مماليك الخلفاء، فان جيش الخلافة كان يضم مجموعتان اخريان هما العناصر الكردية بزعامة عز الدين بن كر الشيباني[٥]. والعناصر التركمانية برئاسة سليمانشاه بن

---

(٥) مجهول، الحوادث الجامعة، ص٢٩٣؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٢١٤.

(٦) مجهول، الحوادث الجامعة، ص٢٩٣؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٢١٤.

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠٠؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٢١٥.

(٢) البناكتي، تاريخ بناكتي، ص٤١٧.

(٣) كان اولئك المماليك يسمون بأسماء اسيادهم من الخلفاء، فأصبحوا يعرفون بالمماليك الناصرية والظاهرية والمستنصرية. انظر: مجهول، الحوادث الجامعة، ص١٦٨-ص١٧٠؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٢٢١.

(٤) مجهول، الحوادث الجامعة، ص٣٢٠.

(٥) هو فتح الدين ابو المظفر الحسن بن محمد بن كر بن محمد بن موسك الشيباني الكردي، وكان من الامراء الاكابر. انظر: ابن الفوطي، تلخيص مجمع الاداب، جـ٤، ص٣١٢.

برجم الابوائي[٦]. وهذه المجموعات الثلاث بقدراتها المتواضعة هي التي كان يعول عليها في مهمة الدفاع عن بغداد.

ويروي الجوزجاني انه عند اقتراب خطر المغول على البلاد، عقد زعماء تلك المجموعات اجتماعاً مع الخليفة المستعصم بالله لوضع خطة الدفاع عن بغداد، الا انهم لم يعطوا اهتماماً يذكر لخطة الدفاع، بقدر ما تحدثوا مع الخليفة عن خيانة الوزير وتعاونه مع المغول[٧]. ويبدو ان الخليفة لم يأخذ رأيهم على محمل الجد، وانما طالبهم بان يقوموا بالتشاور مع الوزير نفسه لمناقشة افضل السبل لمواجهة المغول، الا ان القادة الثلاث اصروا على ما يظهر بمخالفة اوامر الخليفة، وتولوا لوحدهم وضع خطة القتال دون اشراك الوزير بالمسالة وتجاهله تماماً .

تقوم خطة الدفاع الاخيرة عن بغداد حسب ما يرد لها من اشارات في المصادر على ارسال القادة للجزء الاكبر من مقاتليهم بمهمة التصدي للمغول في الجانب الشرقي من بغداد، والذي يقابله جيش المغول الرئيس بقيادة هولاكو، بينما كلفت البقية الباقية من القوات بالتمركز في بغداد والاحتماء وراء اسوارها للدفاع عن المدينة. ويظهر انهم اتفقوا على تقوم قوة الاكراد في الجيش بقيادة ابن كر، والمماليك بقيادة الدويدار الصغير بالمهمة الاولى، ربما لان قادة جيش الخلافة كانوا يظنون بان الجيش المغولي الزاحف نحو بغداد، والذي كان تحت قيادة هولاكو، هو القوة المغولية الوحيدة الزاحفة صوب المدينة[١].

اما القوة التركمانية برئاسة سليمانشاه فقد كلفت بالمهمة الثانية، وهي البقاء في العاصمة العباسية والدفاع عنها[٣].ولكن ما نجهله عن هذه القوة، هو العدد الفعلي للعناصر المتكونة منها، بينما اختلفت المصادر في تقدير عدد القوات الاخرى التي خرجت للتصدي لجيش هولاكو، فبينما يذكر البناكتي ان عددها بلغ ثلاثين الف رجل[٣]، نرى ان معظم المصادر الاخرى لا تجعل عددها يزيد عن عشرين الفاً[٤]. غير ان ما يرويه ابن الطقطقى

---

(٦) سليمانشاه بن برجم الابوائي، احد قادة الخليفة المستعصم بالله المشهورين، وهو الذي اشار على الخليفة برفض مهادنة هولاكو، والاستعداد للحرب. وكان له المام بعلم النجوم والكواكب، ونظم الشعر باللغة الفارسية. أنظر: رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١٢.

(٧) طبقات ناصري، جـ٢، ص١٨٩.

(١) الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٢٢٧.

(٢) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠٣؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص ٢٢٧.

(٣) تاريخ بناكتي، ص٤١٧.

(٤) الجوزجاني، طبقات ناصري، جـ٢، ص١٩٤.

في وصف تلك القوة ((كان عسكراً في غاية القلة))[٥] يثبت لنا ان القوة التي اخذت على عاتقها مهمة التصدي لجيش هولاكو ربما تقل عن ذلك العدد.

إجراءات هولاكو قبيل اجتياحه بغداد

(١) اخضاع قبائل الأكراد والتركمان

طبقاً للتعليمات التي تلقاها هولاكو من اخيه القاآن، بدأ قائد الحملة اولاً باخضاع القبائل الكردية والتركمانية التي كانت تسكن اطراف المناطق الجبلية للعراق، قبل تحركه الى بغداد[١]، حتى يؤمن الطرق والمسالك التي من المحتمل ان يسلكها جيشه. وعلى نحو ما جرت العادة لديه، شرع في التفاوض مع اشهر زعمائها بشخص حسام الدين بن عكه، الذي يتبع ادارياً لدولة الخلافة العباسية، حيث طلب منه ان يسلم جميع شؤون البلاد، بما في ذلك مركز امارته في قلعة درتنكَ الى ابنه سعد، وان يمثل امامه شخصياً في مقره العسكري بهمدان[٢].

---

(٥) الفخري في الاداب السلطانية، ص٣٣٥.

(١) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، جـ٥، ص٢٠٧.

(٢) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠٥.



ولما كان حسام الدين على غير وفاق مع الخليفة المستعصم بالله، فقد استجاب لمطالب هولاكو في البداية، ونزل من قلعة درتنك، وحضر بنفسه امام القائد المغولي[٣]. وفي هذا المحتوى،يذكر رشيد الدين ان هولاكو استقبله استقبالاً حسناً، وثبته حاكماً على ما كان بيده من المدن والقلاع، على شرط ان يكون تابعاً لسيده الجديد[٤]. غير ان حسام الدين تراجع عن وعوده عندما افلح، بعد تنفيذ التعليمات التي وجهها هولاكو اليه في توحيد وضم زعماء القبائل المجاورة تحت سلطته، وتم له الحصول على اعداد وفيرة من المقاتلين تجمعوا تحت امرته، سوغ لنفسه امر نبذ ولائه السابق للقائد المغولي، والعمل على مواجهته والتصدي له[١].

ويبدو ان مأزق حسام تمثل بوشاية عدد من الامراء المحليين به لدى هولاكو، فقرر هذا الاخير ان يقوم بعمل صارم وخاطف ضد تابعه الجديد المتمرد، فارسل واحداً من اشهر قادته، وهوكتبغانوين، على راس قوة قوامها ثلاثين الف رجل صوب قلاع حسام الدين[٢]. وقد تظاهر كتبغا بانه سائر في طريقه الى بغداد، وان هولاكو يرغب في التشاور مع حسام الدين على مخطط معين لخبرته بالبلاد ومداخلها[٣].

اما حسام الدين، فلم يكن يعرف ان مخططه اكتشف بسرعة، ولم يكن يعلم كذلك بما دبر له من المغول، فانطلت عليه الخدعة، واسرع الى تنفيذ ما دعاه اليه القائد المغولي حتى انتهى الامر بالقبض عليه، والطلب منه دعوة نسائه، وابنائه، واتباعه جميعاً ان ينزلوا من حصونهم، وذلك بحجة احصائهم وتقدير الاموال والمؤن لهم[٤]. ولما لم يكن امام حسام

---

(٣) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧٠٥؛
Boyle, C.H. of Iran, vol. 5, p. 346.

(٤) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠٥؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٢٩٣.

(١) يروي رشيد الدين انه ارسل رسالة الى ابن الصلايا العلوي حاكم أربل يقول فيها: ((لقد قدرت هولاكو خان وما هو عليه من كفاءة وكياسة، ومهما يكن له من العنف والتهديد، فليس له عندي قدر ولاوزن. فلو طيب الخليفة خاطري، وطمأن قلبي، وبعث الي بجيش من الفرسان؛ لجمعت انا ايضاً مايقرب من مائة الف من كرد وتركمان، ولسددت الطرق في وجه هولاكو خان، ولأدع أي مخلوق من جنده يدخل بغداد)). (جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠٦).

(٢) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧٠٦؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٢٩٤.

(٣) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠٦؛
Boyle, C.H. of Iran, vol. 5, p. 346.

(٤) الجوزجاني، طبقات ناصري، جـ٢، ص١٩١؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠٦؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٢٩٤.

الدين أي خيار، سوى ان يخضع للامر، فاستجاب لكل ما طلب منه تنفيذه، وانزل كل الافراد الذين ارادهم كتبغانوين من قلاعهم، ثم طلب من حسام الدين ان يأمر اتباعه بتدمير حصونهم وقلاعهم حتى تسوى بالارض. فلما اطاع حسام الدين الاوامر، ودمر قلاعه، جاءت تعليمات كتبغا بقطع اعناق حسام الدين واسرته واتباعه جميعاً[٥].

ويبدو من المؤكد ان تصرف كتبغا بتصفية هذا البيت واتباعه، جاء بناءً على اوامر من هولاكو شخصياً، لسببين؛ الاول: ان السياسة العسكرية التي انتهجها تقضي بان يقوم على الدوام باخذ الاحتياطات اللازمة، وازالة كل امكانية مهما كانت طفيفة، قد يكمن ورائها خطر يهدد الجيش الذي كان تحت قيادته. والثاني، عند مراجعة التعليمات التي صدرت الى هولاكو في التفويض الرسمي من اخيه منكَوقاآن يظهر انها كانت واضحة ودقيقة، وتنص على ان يقوم هولاكو بالقضاء على الاكراد واللور واستئصال شافتهم وازالتهم من الجبال التي يسكنونها في هذه المنطقة، كما هو الحال بالنسبة لطائفة الاسماعيلية. ويرجح ان مرد ذلك يعود لخشية المغول من سكان الجبال، لما يقومون به من اعمال قطع الطرق والسلب في الاراضي الجنوبية الغربية من امبراطوريتهم.

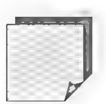
(٢) مراسلات هولاكو مع الخليفة المستعصم بالله

تأخذ المراسلات التي اقامها هولاكو مع الخليفة المستعصم بالله اهميتها من كونها تمثل اخطر حوار جرى بين قوتين غير متكافئتين، لكنه كان حاسماً في تغيير مجرى تاريخ الاسرة العباسية باسرها، فمن خلال تلك الرسائل استطاع هولاكو ان يجعل الخليفة المستعصم بالله عاجزاً عن فعل أي شئ ينقذ البيت العباسي وبغداد، نتيجة لتردده ما بين خيار الاستسلام للمغول او العمل على مواجهتهم.

لم تحدد المصادر متى ارسل هولاكو رسالته الاولى الى الخليفة العباسي، غير ان الفلكي نصير الدين الطوسي يؤكد في الرسالة المنسوبة له في كيفية احتلال بغداد ان هولاكو: ((لما عزم على ان يلج بلاد الملاحدة سيَّر من قبله مندوباً للخليفة يطلب

---

[٥] لم ينج منهم الا ابنه سعد الذي شق طريقه هرباً الى بغداد، ولكنه قتل مع من قتل من سكان بغداد بعد اشهر قلائل من ذلك. انظر: الجوزجاني، طبقات ناصري، جـ٢، ص١٩١؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠٩؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٢٩٤.



المساعدة، حتى تستأصل بذلك شأفتهم وتمحو سطوتهم))[١]. ومثل هذا النص لا يقدم تاريخاً لبداية المراسلات، ولا اسم المبعوث المرسل، لكنه يقود للاستنتاج بان هولاكو بعث اول رسائله الى الخليفة بيد ايلجية من المغول اعدوا لهذا الغرض عندما كان في مدينة كش في اواخر سنة ٦٥٣هـ/١٢٥٥م قبل اعلان الحصار على قلاع الطائفة الاسماعيلية. وهي في الحقيقة واحدة من مجموعة رسائل بعث بها للملوك والسلاطين يدعوهم فيها الى المساهمة في القضاء على تلك الطائفة، وامداده بالرجال والعدة لهذا الغرض ظاهرياً[١].

ومع ذلك، فان مفاوضات الرسائل حسبما اصطلح على تسميتها الباحث غروسيه (Grousset)[٢] بين هولاكو والخليفة المستعصم بالله، لم تتم الا قبيل تحرك القائد المغولي باتجاه همدان وهو في طريقه لحصار بغداد[٣]. وهذه المراسلات جاءت على الشكل الكرونولوجي التالي؛ في البداية ارسل هولاكو الى الخليفة المستعصم بالله رسالة مؤرخة في العاشر من رمضان سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م عنفه فيها بشدة لعدم ارساله المعونة التي طلبها بشأن طائفة الاسماعيلية المشار اليها. غير انه وعد بالعفو عن الخليفة ان هو هدم الاسوار وردم الخنادق التي تحمي بغداد، ولكنه اشترط على عادته في مثل هذه المفاوضات ان يترك ادارة البلاد العباسية لابنه، ويمثل امامه شخصياً، واذا تعذر عليه الحضور، فان عليه ارسال احد ثلاثة من كبار رجال دولته نيابة عنه، هم كل من الوزير مؤيد الدين بن العلقمي، او سليمانشاه، والدويدار الصغير، القائدين العسكريين لقوة مماليك الخلفاء، لكي يؤدوا رسالته دون زيادة او نقص، وتوعد الخليفة بالويل والثبور ان لم يستجب لهذه المطالب، والاحرى به في هذه الحالة ان يعبء جنده ويعين ساحة القتال[٤]. ورد الخليفة على هذه الرسالة بجواب شديد اللهجة حمله في تاريخ غير محدد من سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م وفد مؤلف من شرف الدين بن الجوزي[٥] ومساعديه بدر الدين محمود

---

(١) رسالة في فتح بغداد، ذيل تاريخ جهانكشاي، جـ٣، ص٢٠٠.

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠٠.

(2) L'Empire des Steppes, p. 428.

(٣) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٩٩.

(٤) الطوسي، رسالة في فتح بغداد، جـ٣، ص٢٨٠؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠٠؛ البناكتي، تاريخ بناكتي، ص٤١٦؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، جـ٥، ص٢٣٤. وعن نص الرسالة انظر: ملحق رقم (٤).

(٥) هو شرف الدين بن محيي الدين ابي يوسف بن جمال الدين ابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، كان يعمل استاداً لدار الخلافة. (ابن العماد، شذرات الذهب، جـ٥، ص٢٨٧).

وزكي النخجواني بصحبة رسل المغول[٦]، حذر فيه هولاكو من التعرض لاسرة بني العباس المقدسة، وذكره بان جموع المسلمين من الشرق والغرب مستعدون للسير تحت قيادته ضد المغول، ثم قدم النصح لهولاكو بان يصغي لصوت السلام، والا فما عليه سوى ان يستعد للحرب ويسير اليها قدماً[١].

ان نظرة دقيقة وفاحصة لجواب الخليفة، نراه يحمل في حيثياته روح التحدي والتهديد لهولاكو مباشرة وذلك انه يوعد بتوظيف قوة ملوك الارض الذين سيهبون من الشرق والغرب للدفاع عن الخليفة عند اول اشارة منه لذلك[٢]. كما يذكر هولاكو بمصير اولئك السلاطين الذين سبقوه في القيام بمثل هذه المغامرات، ومثل هذا الكلام حقيقة يمثل ماضي الدولة العباسية في ايام عزها. الا ان الخليفة تجاهل ما انتهت اليه الدولة من التفكك والضعف ايام حكمه، كما غاب عن ذهنه ان معظم اولئك الملوك والامراء من حدود شرق التركستان الى حدود دولة الخلافة، الذين توعد بهم هولاكو، كانوا في حقيقة الامر يشكلون جزءاً من قوات هولاكو المتجهة صوب بغداد ليس الا. والاهم ان الخليفة المستعصم بالله لم يكن على علم بحقيقة الخطر الجديد القادم من شرق بلدان الخلافة ولا بالقوة الكبيرة التي تدعمه عندما نصح هولاكو بان يعود الى خراسان، ويقتنع بما تنازل له بروح الرضى عن اراضٍ واسعة الارجاء[٣].

ومن خلال تحليلنا لهذه الوثيقة الجوابية يظهر لنا التناقض الواضح في مضمونها، فهي تعكس التحدي والضعف في آن واحد. وان هذا التناقض يدل على ان الخليفة لم يكن له رأى في اتخاذ القرارات، وانما كان ذلك من شأن كبار اركان دولته، فهم الذين كانوا يقررون سياسته ومواقفه من المراسلات مع هولاكو. وبما ان هؤلاء الاداريين كانوا منقسمين الى فئتين، الفئة الاولى ويمثلها امراء العسكر وهي المتنفذة،وكانت لاسباب واضحة لا تحبذ اطلاقاً فكرة مهادنة هولاكو، او الاستسلام لشروطه، وترى التصدي له وقتاله امر لا مفر منه وكان على راسها الدويدار الصغير وسليمانشاه. والفئة الثانية كان تريد التصرف على

---

(٦) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠٠-ص٧٠١.

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠١. وعن نص رسالة الخليفة المستعصم بالله الى هولاكو انظر: ملحق رقم (٥).

(٢) المصدر نفسه ، جـ٢، ص٧٠٠.

(٣) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧٠١؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، جـ٥، ص٢٣٤؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٢٧٥.

اساس المهادنة والتفاوض مع هولاكو وكان على راسها الوزير مؤيد الدين بن العلقمي[٤]. وعليه فلا غرابة ان تعكس رسالة الخليفة ذلك التضارب بين هاتين الفئتين. كما لا يستبعد ان يكون اسلوب التحدي في الرسالة قد صيغ من قبل علاء الدين الكاتب الاول في دار الخلافة او مجاهد الدين ايبك الكاتب الثاني والاخير كان موضع ثقة مطلقة من الخليفة. والاثنان يمثلان الجناح الداعي للمقاومة الذي يتزعمه سليمانشاه قائد الجيش.

على كل حال لم تلق تلك الرسالة الجوابية الموقعة باسم الخليفة غير الغضب من لدن هولاكو، ورفض قبول الهدايا التي قدمها الوفد[١]، قائلاً : ((**ان الخليفة ليست لديه كفاءة قط، اذ انه معنا كالقوس الاعوج. فلو امدني الله الازلي بعونه، فسوف اجعله مستقيماً كالسهم**))[٢]. وفي وقت غير محدد من سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م عندما كان بموضع (بنج انكَشت) على حدود همدان بعث هولاكو برسالة ثانية الى الخليفة حملها رسل الخليفة انفسهم ومما قال فيها: ((**ان الله اختار جنكيزخان ليحكم العالم، ومنحه هو ونسله كل وجه الارض من الشرق والغرب، فكل من سار معنا، واطاعنا، واستقام قلبه ولسانه، تبقى له امواله ونساؤه وابناؤه. ومن يفكر في الخلاف والشقاق لا يستمتع بشيء من ذلك**))[٣]. ثم عنف الخليفة بشدة لتظاهره بالقوة التي يمكن لها اية وجود، وطلب منه ان يستعد للحرب مجدداً، فانه سائر في طريقه الى بغداد بجيش يفوق عدده النمل والجراد[٤].

وقد اوقعت هذه الرسالة خلافاً واضحاً بين رجال الادارة العباسية بشأن كيفية التعامل مع العدو الجديد، اذ تشير الروايات الى ان الخليفة استأنس برأي وزيره ابن العلقمي بشأن محتواها، وطلب منه النصح بما هو مناسب ، فاشار عليه بان يرسل للعدو المغولي ويدفع شره ببذل الاموال والنفائس، لان الخزائن والدفائن التي تملكها الدولة العباسية ما جمعت الا لتدرأ عن هذه الاسرة الشر[٥]. ويروي رشيد الدين بأن الخليفة اعجب

---

(٤) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠٠–ص٧٠٢.

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ ، جـ٢، ص٧٠٢.

(٢) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧٠١.

(٣) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧٠٢.

(٤) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧٠٢. عن نص الرسالة أنظر ملحق رقم (٦).

(٥) الطوسي، رسالة في فتح بغداد، جـ٣، ص٢٨٠–ص٢٨١؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٦٩–ص٢٧٠.

بهذا الرأى، الا ان الدويدار الصغير اعترض على ذلك بسبب النفور الذي كان بينه وبين الوزير، متهماً خصمه بانه في مشورته تلك يسعى للتزلف لدى هولاكو، وليس الدفاع عن الخليفة وبغداد[1]، وتمكن من اقناع المستعصم بصحة رأيه، مما دفع بالخليفة للعدول عن الفكرة[2]. ويبدو واضحاً من مقارنة الموقفين، ان الخليفة كان ضعيف الارادة، عديم الرأي في مثل هذه المسألة الخطيرة، الى حد انه لم يحاول ان يفرض اوامره وتوجيهاته الشخصية على رجال ادارته. وفي النهاية اكتفى بارسال بعض الهدايا صحبة الرسل الذين نقلوا رسالته الثانية الى هولاكو برئاسة بدرالدين درتنكَي قاضي البندنيجين[3]، اعاد فيها ما سبق وان ذكره في رسالته الثانية بشأن المصير الذي لاقاه المغامرون عندما ساروا مستهدفين دولة بني العباس، وحذر هولاكو بان الشئ نفسه سيتكرر له والمغول ان حاول النيل من شخصه، او يلحق الاذى باسرته المقدسة التي قال بانها سوف تظل قائمة الى يوم القيامة[4]. وفي هذا المحتوى يروي رشيد الدين ان هولاكو لما استلم رد الخليفة غضب بشدة وصمم على اجتياح العاصمة العباسية، بحيث حمل المبعوث نفسه رسالة الى الخليفة صيغت بشكل شِعر:

اذهب واصنع من الحديد المدن والاسوار
وارفع من الفولاذ الابراج والهياكل
واجمع جيشاً من المردة والشياطين
ثم تقدم نحوي للخصام والنزال
فسأنزلك ولو كنت في السماء

---

(١) جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠٢.

(٢) يروي رشيد الدين ان الخليفة ارسل الى الوزير قائلاً: ((لاتخش القضاء المقبل، ولاتقل خرافة، فان بيني وبين هولاكو خان، واخيه منكوقاآن صداقة وألفة، لاعداوة وقطيعة. وحيث انني صديق لهما؛ فلابد انهما ايضاً يكونان صديقين وموالِيين لي، وان رسالة الرسل غير صحيحة. اما اذا اضمر الاخوان لي خلافاً وغدراً، فلاضير على الاسرة العباسية، اذ ان ملوك الارض هم بمثابة الجنود لي، وهم منقادون ومطيعون لأمري ونهيي، فأدعوهم من كل بلد، واسير لدفعهما، واثير ايران وتوران عليهما. فقّو قلبك ولاتخافن تهديد المغول ووعيدهم؛ فانهم رغم كونهم أرباب دولة واصحاب شوكة، الا انهم لايملكون سوى الهوس في رؤوسهم، والريح في اكفهم)). وحينئذ ايقن الوزير ان دولة العباسيين سوف تزول. (المصدر نفسه، جـ٢، ص٧٠٢).

(٣) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧٠٤. والبندنيجين: اسم لم يبق له ذكر في الوقت الحاضر، الا أن موقع هذه المدينة يعرف اليوم باسم (مندلي). انظر: لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٨٨.

(٤) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠٤. ونص رسالة الخليفة المستعصم بالله لهولاكو انظر: ملحق رقم (٧).

وسادفع بك غصباً الى افواه السباع[٥].

غير ان ما يثير التسأول هنا، هل ان هولاكو حقاً هو الذي املى هذه الرسالة الشعرية، في وقت عرف عنه بانه لا يتكلم غير لغة المغول؟. واذا سلمنا جدلاً بان هذه الابيات هي من املاء احد مستشاريه المسلمين، فلا يمكن ان تكون حينئذٍ سوى خاتمة لنص رسالة تعود لهولاكو كتبها مباشرةً رداً على رسالة الخليفة الشديدة اللهجة، الا ان رشيد الدين لا يذكر لنا شيئاً عنها، مما يدفع للقول ان هذه الابيات الشعرية التي انفرد بها رشيد الدين ربما تكون رواية غير موثوقة، ولا يعول عليها، ومما يؤكد هذا الاستنتاج، اننا لا نجد ما يشير الى اطلاع الخليفة على محتوياتها، وتحرير رد عليها حتى عند المؤرخ نفسه.

على اية حال بوصول هولاكو الى مدينة اسد آباد[١] في طريقه من همدان احيا مجدداً المراسلات مع الخليفة، اذ لدينا رسالة اخرى موجهة للخليفة من هولاكو كرر فيها دعوته له بالقدوم اليه، وان لم يستطع فعليه ان يرسل احد من كبار موظفيه[٢]. غير ان الخليفة مثلما هو متوقع، لم يستجب لمطالبه[٣]، وابدى استعداده لان يدفع لهولاكو الاموال التي يقررها بنفسه ان هو رجع مجدداً الى خراسان[٤]. وهذه هي المناسبة التي اجاب فيها هولاكو على رسالة الخليفة بتلك السخرية التي عرف بها قائلاً : ((**كيف نترك زيارة، الخليفة بعد كل ما قطعناه من هذه المسافات الشاسعة، ودون ان نراه. فبعد ان نحضر ، ونلقاه، ثم نتحدث معه سوف نطلب الاذن منه بالسماح لنا بالعودة**))[٥].

هذه باختصار المرحلة الاولى من تبادل الرسائل بين هولاكو والخليفة المستعصم بالله. اما الصفحة الثانية من هذه المراسلات، فتبدا بعد وصول هولاكو الى كرمنشاه في

---

(٥) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧٠٥؛ الغامدي، سقوط الدولةالعباسية، ص٢٧٨.

(١) أسد أباد: هي مدينة تبعد عن همدان مرحلة واحدة نحو العراق. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ١، ص١٧٦).

(٢) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠٥.

(٣) تذكر أحدى الروايات بأن الخليفة المستعصم بالله كان قد طلب من كل واحد من اولئك، الموظفين الكبار – الذين سماهم هولاكو – بأن يذهبوا لمقابلة القائد المغولي، ولكن حسب تلك الرواية التي نقلها ابن العبري – لم يرد أي واحد منهم ان يمتثل لأوامره (تاريخ مختصر الدول، ص٢٧٠). الا ان الطوسي ورشيد الدين، وصاحب الحوادث الجامعة يؤكدون بأن الخليفة لم يستجب لمطالب هولاكو. انظر: رسالة في فتح بغداد، جـ٣، ص٢٨٠–ص٢٨١؛ جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠٧–ص٧٠٨؛ الحوادث الجامعة، ص٣٢٥.

(٤) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠٧–ص٧٠٨.

(٥) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧٠٨.

السابع والعشرين من محرم سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م، حيث لجأ هولاكو مرة اخرى الى تبادل الرسائل كوسيلة من وسائل الضغط السياسي على الخليفة ودعوته للاستسلام[١].

ويلاحظ ان هذه الرسائل مهمة المحتوى في جوانب من فقراتها، اولها رسالة لا نجد اشارة لها في المصادر سوى عند رشيد الدين، وفيها يؤكد هولاكو على الخليفة بانه اذا ما اراد حقاً ان يعلن طاعته، فعليه ان يقدم الى الاردو ويصبح واحداً من الحكام التابعين للمغول[٢]، والا فانه سوف يتحمل العواقب، فمما يرد في تلك الرسالة: **((اذا كان الخليفة قد اطاع فليخرج، والا فليتأهب للقتال، وليحضر الينا قبل كل شي ، الوزير وسليمانشاه والدويدار ليسمعوا ما نقول))**[٣].

وما يبدو جلياً في هذه الرسالة، ان هولاكو بالرغم من صفة الوحشية والبربرية التي اتصف بها، كان يظهر معرفة بوقائع العباسيين الماضية، وينقل بكل دقة هدف حملته المتمثل بنزع السلطة الزمنية من الخليفة، فقد جاء محتواها مطابقاً لتحذيرات رسالة التفاوض الاولى، التي سبق وان ذكر فيها الخليفة المستعصم بالله، انه اذا كانت ابواب عاصمة العباسيين لم توصد مطلقاً من قبل في وجه الخوارزميين والسلاجقة وملوك الديلم وسائر الاتابكة فكيف توصد الان في وجه المغول الذين اذلوا تلك الاسر، وقد اختارهم الله لحكم العالم[٤].

وللتأكيد على مبتغاه، طلب هولاكو من الخليفة المستعصم مجدداً ان يستعد للحرب ان اخفق في تنفيذ شروطه[٥]. والواضح ان اصرار هولاكو على خروج الخليفة اولاً والمسؤولين الثلاث ثانياً، يعود الى انه كان على معرفة ودراية باوضاع الخلافة العباسية، فهو يعرف مدى تأثير الوزير ابن العلقمي على الخليفة، وربما كان غرضه، هو ان يضمن استسلام الخليفة بسرعة، بعد اعطاءه وعود الامان الكاذبة، لكون الوزير كان ميالاً للمهادنة والتسليم للمغول[٦]. اما القائدان الاخران سليمانشاه والدويدار الصغير، فقد كانا مكلفين

---

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠٨. وكرمنشاه كانت تسمى قرميسين، وهي احدى مدن الجبال، وفيها مياه جارية وشجر وثمر. (لسترنج بلدان الخلافة الشرقية،ص٢٢١).

(٢) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠٨.

(٣) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧٠٨.

(٤) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧٠٠.

(٥) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧٠٨.

(٦) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧٠٨.

بقيادة القوة الرئيسة لجيش الخلافة المكونة بشكل اساس من التركمان[1] وهي القوات التي انيطت بها مهمة الدفاع عن بغداد في وجه الاجتياح المغولي، ولذلك نرى هولاكو يحرص على خروجهما اليه من اجل ابقائهما عنده، لانه كان يأمل من وراء ذلك ان يعلن اتباعهما الاستسلام لجيشه، حتى يجرد الخليفة المستعصم بالله من الجزء الاكبر من قواته.

(٣) استشارة هولاكو للمنجمين بشأن الحملة

لما عزم هولاكو الزحف على مدينة بغداد من همدان، طلب من المنجمين المغول في اثناء قيامه بسلسلة المراسلات التي دارت بينه وبين الخليفة العباسي المستعصم بالله، التنبؤ بمستقبل الحملة ومصيره هو شخصياً[2]. ثم احال الطلب الى كبير المنجمين حسام الدين، الذي كان قد التحق في وقت سابق باردو هولاكو بامر من القاآن الاعظم[3]، قائلاً له: ((بين كل ما يبدو لك في النجوم دون مداهنة))[4].

ولما عرف عن حسام الدين من توفر عنصر الجرأة في كشوفاته بسبب قربه من القائد المغولي، فانه اراد ان لا يفوت مثل هذه الفرصة امامه في بيان موقفه، والدفاع عن الخليفة العباسي، قائلاً انه يجد من المصلحة ان لا يقصد هولاكو بغداد، لانه ليس ماموناً قصد الخلافة وقتئذ، لان كل من اقدم بالهجوم على بغداد ، والاسرة العباسية من قبل، قد خسر مملكته، وفقد حياته، وحذر هولاكو من المصير نفسه ان اقدم على تلك

---

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠٨.

(٢) كان من وسائل التنبؤ عند المغول وضع عظام كتف الخراف في النار حتى تتفحم، ثم يفحصونها بدقة، فاذا خرجت سليمة دون ان تتهشم، فهذا معناه ان القائد المغولي موفق في امره، واذا حدث وتهشمت العظام، او تفتت اجزاء منها، فان الامر المنشود له عواقب وخيمة ولاخير فيه. انظر: عباس اقبال، تاريخ المغول، ص١٢٠؛

Howorth, op. cit., vol. 3, p. 119.

(٣) تشير الروايات الى ان حسام الدين المنجم كان مسلماً على المذهب السني، ونتيجة للخدمات التي سبق وان أسداها لحكام المغول، فان القاآن اوصى اخاه هولاكو، بان لايخرج عن مشورته. انظر: رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠٦؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، جـ٣، ص٦١؛

Boyle, C.H. of Iran, vol. 5, p.346.

(٤) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠٦.

المحاولة[١]. وقد تنبأ بان الطالع ينذر بوقوع ستة كوارث عظيمة تشمل الطبيعة وهولاكو شخصياً[٢]. غير ان هولاكو اهمل رأى المنجم، وامتنع عن الاخذ بنبوته[٣]، فمن غير المعقول ان يأتي من قراقورم عاصمة المغول، على رأس جيش ضخم بقصد القضاء على الخلافة العباسية، ثم بعد ان يصل الى مشارف عاصمة العباسيين يحجم عن ذلك العمل بسبب نصيحة المنجم هذه، ولا سيما بعد ان طلب من المنجم اقامة البراهين القاطعة على صحة اعتقاده دون جدوى[٤]. من جهة اخرى عاب رجال الدين البوذيين المتواجدين في الجلسة رأى المنجم وفندوه[٥]. الا ان الذي اعطى لهولاكو الاذن في الهجوم، جاء من الفلكي الذي فك ارتباطه تواً بطائفة الاسماعيلية والتحق بالمغول، هو نصير الدين الطوسي، الذي بين بان ما يدعيه حسام الدين هو شئ لا وجود له الا في مخيلة المنجم وحدها، ولا ضرر على هولاكو من تلك الكوارث، بل انه على العكس من ذلك سيتمكن من قتل الخليفة العباسي وهزيمة جيشه[٦]. وعندما طلب هولاكو من نصير الدين الطوسي ان يثبت برهانه على ذلك، رد بالقول: ((... لو قيل ان للعباسيين مكرمة خاصة بهم، فان طاهراً جاء من خراسان بأمر المأمون، وقتل اخاه محمداً الامين، وقتل المتوكل على يد ابنه بالاتفاق مع الامراء. كذلك قتل الامراء والغلمان المنتصر والمعتز، وقتل عدد من الخلفاء على يد جملة اشخاص فلم تختل الامور))[٧].

---

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠٦؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٢٩٥؛
Boyle, C.H. of Iran, vol. 5, p.346.

(٢) اشار للكوارث المذكورة على النحو التالي: ١- لاتشرق الشمس ٢- تحبس الامطار ٣- تهب ريح عاتية ويقع زلزال يدمر العالم ٤- لاتنبت الارض النبات ٥- مرض الجنود وهلاك الحيوانات ٦- يموت الملك الاعظم في تلك السنة. انظر: رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠٦؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، جـ٣، ص٦١؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٢٩٥؛
Howorth, op.cit., vol. 3, p. 115; Boyle, C.H. of Iran, vol. 5, p.346.

(٣) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠٧.

(٤) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧٠٧.

(٥) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧٠٧؛
Howorth, op. cit., vol. 3, p. 115.

(٦) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠٦؛ مجهول، الحوادث الجامعة، ص٣٢٩؛ القزاز، الحياة السياسية، ص١٠٤؛
Boyle, C.H. of Iran, vol. 5, p.346.

(٧) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠٦.

اما اسباب وقوف منجم معين بامر القآن الاعظم بجانب الخليفة ضد مصالح سيده ومسؤوله المباشر هولاكو، فان المصادر لا تفصح عن مغزى هذا الدفاع المستميت منه تجاه الخليفة المستعصم بالله، والاعتقاد بقدسية الخلافة سوى انه اراد حماية الخلافة العباسية السنية من المصير المؤلم الذي ستفضي اليه على يد هولاكو[١]. غير ان هذا التفسير ليس مقنعاً تماماً، فلماذا لم يرد هذا الاعتراض منه قبل ان يبدأ هولاكو رحلته باتجاه بلاد الخليفة، وهو يعلم علم اليقين ان هولاكو كان يستهدف في حملته القضاء على الدولة العباسية. اما تفسيرنا لذلك نقول هناك احتمالان؛ الاول ان حسام الدين لم يثن سيده بشكل قاطع عن مهاجمة الخلافة العباسية، وانما الذي اراد النصح به هو الاشارة عليه بان الوقت حينئذ غير مناسب لبدء المشروع لسوء الطالع في الابراج،والاحتمال الثاني اننا لو امعنا النظر في الرواية بمجملها سنجد بوضوح ارتباك وتناقض محتواها، فهي في شقها الاول عبارة عن سؤال موجه لحسام الدين المنجم عن الطالع لمهاجمة بغداد،ولكن الرواية في شقها الثاني توجهت وجهة اخرى، وهي مسألة قتل الخليفة، وقد اجاب عن ذلك الفلكي نصير الدين الطوسي، مما يدل بوضوح ان الرواية المذكورة التي نقلها رشيد الدين وغيره من المؤرخين، هي جمع لروايتين عن حدثين مختلفين، الحدث الاول، هو استشارة هولاكو للمنجمين عن الطالع في حال مهاجمة الدولة العباسية عندما كان في همدان، والحدث الثاني، هو ما ورد عند ميرخواند وبعض المصادر النصرانية،من ان هولاكو استطلع اراء المنجمين بعد ان تمكن من احتلال بغداد، وذلك عند بحث مسألة قتل الخليفة المستعصم بالله، او ابقائه على قيد الحياة[٢]. ويبدو لنا حسام الدين اعطى رايه المذكور عن الحدث الثاني، وهو مسألة قتل الخليفة، لان من غير المعقول ان يفوت على حسام الدين المنجم ان قرار احتلال بغداد كان قراراً نهائياً لا رجعة عنه.

اما موقف نصير الدين الطوسي من المسألة، فان مؤرخاً مثل رشيد الدين حاول تبرئةجانبه، بان ما افصح عنه كان بوازع الخوف من هولاكو ولا شئ غير ذلك، فقد اراد هذا الاخير ان يضعه في هذا الموضع لاختباره، ومعرفة مدى اخلاصه له[٣]. غير انه

---

(١) القزاز، الحياة السياسة، ص١٠٤؛
Boyle, C.H. of Iran, vol. 5, p.346.

(٢) تاريخ روضة الصفا، جـ٥، ص٢٥٠؛ ابن العبري، تاريخ الدول السرياني، ص٤٣١؛
Howorth, op. cit., vol. 3, p. 128.

(٣) جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠٦.

لا يمكن ان نتجاهل ما اكدته مصادر اخرى مثل الجوزجاني، من ان موقفه كان تحريضياً بدافع كرهه للخليفة المستعصم بالله خاصة، والعباسيين بصفة عامة[1].

خطة هولاكو لاحتلال بغداد

بعد أن أمن هولاكو خطوط المواصلات التي سيسلكها جيشه في المنطقة الممتدة ما بين القاعدة الإدارية للجيش المغولي في همدان وحدود العاصمة العباسية، من خلال إكتساحه لقوة القبائل الكردية والتركمانية المستقرة حول جبال زاكروس، وإطلاعه على التقارير المطمئنة التي رفعها له المرشدون والمستطلعون في جيشه، لم يبق أمامه سوى وضع الخطط الحربية لمهاجمة عاصمة الخلافة العباسية.

كانت خطة هولاكو لأحتلال بغداد، حسبما يتوضح من تحليلنا للروايات الواردة في المصادر ،محكمة التخطيط، وقد وضعها بنفسه، بعد أخذ رأي مجلس المشورة الحربي في المسألة أثر الجلسة التي عقدت لهذا الغرض في همدان قبيل التحرك صوب بغداد بأيام قليلة[2]. وفي هذه الخطة تقرر السعي لتطويق بغداد من كل الجهات المطروقة،ولا سيما من ناحية الغرب لعزل المدينة عن العمق الطبيعي لها في بلاد الشام ومصر ،حتى يمنع وصول أية مساعدة أو نجدة محتملة لجيش الخلافة، ولا سيما أن الخليفة المستعصم بالله كان في حالة تفاوض مع أيوبي الشام تستهدف الوقوف معاً بوجه الغزو المغولي[3]. وبموجب ما تقرر قام هولاكو منذ المراحل الاولى للتنفيذ بتقسيم جيشه الجرار الى ثلاث تشكيلات

---

(1) طبقات ناصري، جـ٢، ص١٩٤.

(2) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠٦.

(3) حاول الخليفة المستعصم بالله الحصول على مساعدة عسكرية من الايوبيين في بلاد الشام، والحكام المماليك في مصر، وقد ارسل لهم مبعوثاً باسم البادرائي لهذا الغرض، غير ان مساعيه لم تحقق النجاح المطلوب، لانها جاءت متأخرة من جانب، وللفرقة والعداء المستمرين بين الايوبيين والمماليك من جانب آخر. انظر: ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، جـ٣، ص١٩٣؛ المقريزي، السلوك، جـ١، ص٣٦٠؛ عجمي الجنابي، المقاومة العربية، ص١٠٨.

رئيسة، على عادة إنتشار القوات المغولية في ميادين المعارك، أي الميمنة والميسرة والقلب، وكان هولاكو يرمي من وراء ذلك ان تقوم هذه الاقسام الثلاث بمحاصرة بغداد والالتفاف حول أسوارها من الجهات المختلفة[١]. وتظهر هذه التقسيمات للجيش، بدون شك، إن هولاكو كان مطلعاً إطلاعاً دقيقاً على الظروف الجغرافية والعسكرية لأراضي العاصمة العباسية.

قوات الميمنة

تولى بايجو نوين قيادة قوات الميمنة التي أراد منها هولاكو أن تحاصر بغداد من جهة الغرب. على الرغم من الإزدراء الشخصي الذي يحمله هولاكو لبايجو، إلا أن هذه الخلافات لم تعمل على أن يستغني هولاكو عن خدمات أحد كبار قادة المغول خبرة ودراية بأمور الخلافة العباسية،فأصدر له الأوامر بان يتقدم بقواته من معسكراتها الواقعة في الشرق والشمال الشرقي من أسيا الصغرى، حيث كان يعمل نائباً للمغول في بلاد سلاجقة الروم، صوب العراق[٢]، ووفق رواية المؤرخ الأرمني كيراكوس أن بايجو كان قد إصطحب معه هيثوم ملك أرمينية الصغرى على رأس فرقة من جنوده[٣]. وقد سار بايجو نوين جنوباً حتى وصل أربل، وعبر دجلة في مكان قريب من الموصل على جسر من القوارب، قام بأعداده حاكم المدينة بدر الدين لؤلؤ، كجزء من تعاونه مع المغول[٤]، في حين إنضمت الى قوات بايجو كتيبة عسكرية من المدينة بقيادة الملك الصالح بن بدر الدين لؤلؤ[٥]. ولكي يطمئن هولاكو الى قوة قائده بايجو قام بأرسال قوة تعزيزية لها من القوات التي كانت مرابطة في همدان إنضمت إليها في مدينة تكريت، وكانت هذه القوة الإضافية يتكون الجزء الأعظم منها من الجنود الذين أسهم بهم فرع أسرة

---

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠٧؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٢٩٨؛ Howorth, op. cit., vol. 3, p. 119.

(٢) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠٧؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٢٩٩. وسبق الاشارة الى اسباب تأزم العلاقة بين هولاكو وبايجو في الفصل الاول، ص٥٠ .

(3) Howorth, op.cit., vol. 3, p. 121.

(٤) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٧٦؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠٧.

(٥) الجوزجاني، طبقات ناصري، جـ٢، ص١٩٠.

القبجاق بقيادة بلغايي[١]، وكان على رأس هذه القوة التعزيزية قائدان أخران من كبار قادة المغول، هما سونجاق وبوقايتمور[٢].

أما المهمة المناطة بهذه القوات مجتمعة فهي محاصرة بغداد من جهة الغرب، وقد وصلت الى مواقعها المعينة في الوقت المقرر لها، قبل أقسام الجيش الأخرى، في بداية الأسبوع الاول من محرم سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م عندما تمركزت في نواحي نهر عيسى[٣]. وفي غضون ذلك عهد بايجونوين بالقيادة الميدانية لجيش غرب بغداد الى سونجاق، الذي إتخذ من الحربية مقراً له[٤].

كان هولاكو يتوقع أن تحقق هذه القوة النجاح المؤمل منها بسرعة تفوق بقية أقسام الجيش المغولي الأخرى، مبنياً توقعاته تلك بناءاً على ما زوده به الجواسيس من معلومات مؤكدة تكشف له بان الجانب الغربي من المدينة لم يكن من القوة والحصانة، لأنه كان غير مسوراً، وقابلاً للأختراق بسهولة[٥]. ولذلك أراد هولاكو أن يوظف نجاح هذه القوة في تحقيق الأهداف التالية:

(١) منع وصول الإمدادات المحتملة التي قد تصل لجيش الخلافة من بلاد الشام ومصر، ومنع الخليفة العباسي وأتباعه من الفرار بأتجاه بلاد الشام.

(٢) التعويل على مبادرة هذه القوات، على نحو ما حدث، بالهجوم قبل الكتائب الأخرى، لكونها كانت قوة خفيفة الحركة، ولها القدرة على مفاجأة جيش الخلافة الذي أقام معسكراته بين بعقوبة وباجسرا[١] بقيادة مجاهد الدين ايبك الدويدار الصغير[٢]، من

---

(١) وكان يساعده ايضاً كل من الامراء توتار وقولي من اسرة القبجاق. (رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠٠).

(٢) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧٠٧؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٢٩٩.

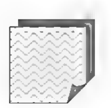
(٣) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠٧. ونهر عيسى: احد الانهار الذي يأخذ مياهه من نهر الفرات قرب الفلوجة ويصب في دجلة عند الجانب الغربي من بغداد (ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، جـ٣، ص١٤٠٤). ويعتقد هارتمان انه نهر الصقلاوية الحالي. انظر: دجلة، دائرة المعارف الاسلامية، جـ٩، ص١٥١.

(٤) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠٧. والحربية:- محلة كبيرة مشهورة ببغداد عند باب حرب قرب مقبرة بشر الحافي واحمد بن حنبل، وتنسب الى حرب بن عبد الله البلخي، احد قواد ابي جعفر المنصور. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٢، ص٢٧٤).

(5) Bretschneider, op. cit., vol. 1, p. 138.

(١) باجسرا: بليدة في شرق بغداد بينها وبين حلوان. (ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، جـ١، ص١٤٧).

(٢) ابن الطقطقي، الفخري في الاداب السلطانية، ص٢١١.



خلال الإيحاء له بأن الهجوم المغولي الرئيسي سوف يكون من ناحية الغرب، على عكس ماهو متوقع، لأجبار قوات الدويدار المتمركزة في الجانب الشرقي للتراجع عن ميدان المعركة الأساس، والإنتقال للجانب الغربي. وبذلك تحدث ثغرة مفتوحة من الجهة الشرقية للمدينة تسهل عمل قوات القلب التي يقودها هولاكو بنفسه. ومن حسن حظ هولاكو أن هذه القوة التي يعول عليها كثيراً في نجاح خطته المرسومة، تعززت بأنضمام إثنين من كبار قادة جيش الخلافة إليها، هما أيبك الحلبي وسيف الدين قليج، مع أن الروايات تختلف في ذكر أسباب إلتحاقهما بجيش المغول[٣]. كما يرد إسم قائد عسكري أخر بأسم سلطان جق، يقال بأنه من نسل الخوارزميين قد إلتحق أيضاً بميمنة الجيش المغولي[٤].

قوات الميسرة

وعهد بها هولاكو الى كتبغانوين، أحد أشهر القادة المغول في تأريخ الحملة كلها، ومساعديه في هذه المهمة وهما قدسون ونيرلكا[٥]. وهذه القوات التي لم يحدد عددها في المصادر إنيطت بها مهمة محاصرة بغداد من جهة الجنوب، وقد تحركت من لورستان وإحتلت في طريقها الكثير من المدن طوعاً وكرهاً[٦]، وعند إقترابها من بغداد

---

(٣) فبينما يذكر رشيد الدين ان قوات بايجو نوين تمكنت من اسرهما، وفيما بعد منحهما هولاكو الامان نظير قولهما الصدق والتعاون معه، فجعلهما مرشدين لطلائع قوات الميمنة المغولية. (جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠٨).نجد مؤرخاً عراقياً تبدو روايته اقرب للصحة، يقول ان هذين القائدين تركا الخدمة في جيش الخلافة، وهربا عن اداء واجباتهما عندما ارسلهما الدويدار الصغير لكي يكشفا له الطريق التي سيسلكها اثناء سيره لمواجهة جيش المغول، وانظما لقوات بايجو نوين، والقبول بولائهما للسيد الجديد. (مجهول، الحوادث الجامعة، ص٣١٩).

(٤) ويذكر رشيد الدين ان سلطان جق كان يراسل ابناء جلدته من الاتراك يحثهم على ترك مراكزهم في جيش الخلافة، والالتحاق به تحت لواء جيش المغول. انظر: جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠٨.

(٥) المصدر نفسه،جـ٢،ص٧٠٧.

(٦) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧٠٧.

عبرت نهر صرصر[١] ثم إستقرت في الموضع المحدد لها قرب أسواق الكرخ[٢]، حسبما كان مخطط لها من قبل هولاكو، في منتصف شهر محرم سنة ٦٥٦هـ/ الثاني عشر من كانون الثاني ١٢٥٨م[٣]. إلا أن هذه القوة لم يكن لها دور رئيس في إجتياح بغداد، ويبدو أنها أخذت على عاتقها مهمة قطع الإتصال بين العاصمة بغداد وجنوب العراق، والقيام ببعض المهام الإدارية التي تقتضيها ظروف المعركة.

قوات القلب

وكان هولاكو يتولى قيادتها شخصياً، وهي أكبر القوات المغولية الثلاث الزاحفة بأتجاه بغداد، ومن بين صفوفها قوة الحرس الخاص به، وعدد أفرادها عشرة ألاف رجل[٤].وكان يرافق هولاكو كبار قادة جيشه، من امثال كوكاأيلكا وأرغتو[٥]، وطبقة من الإداريين المدنيين ممثلة بأرغون آغا وسيف الدين البيتكجي وكراي البيتكجي وعلاء الدين عطا ملك الجويني، ومن الفلكيين حسام الدين المنجم ونصير الدين الطوسي[٦].

إبتدأ هولاكو مسيرته بقوات القلب من منطقة همدان في اول شوال سنة ٦٥٥هـ/تشرين الثاني من سنة ١٢٥٧م[٧]، حيث اخذ طريقه بأتجاه الغرب مباشرة، فمر بأسد آباد ومنها الى دينوار، ومن ثم إتجه الى كرمنشاه التي وصلها في السابع والعشرين من محرم، وعسكر بعدها في حلوان[٨] للمدة ما بين

(١) صرصر: قريتان من سواد بغداد، صرصر العليا، وصرصر السفلى، وهما على ضفة نهر عيسى، وربما قيل نهر صرصر، فينسب النهر اليهما. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٣، ص٤٥٥).

(٢) مجهول، الحوادث الجامعة، ص٣٢٦.

(٣) الطوسي، رسالة في فتح بغداد، جـ٣، ص٢٨٣.

(٤) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٠٧.

(٥) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧٠٧.

(٦) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧٠٨.

(٧) الطوسي، رسالة في فتح بغداد، جـ٣، ص٢٨٢؛ مجهول، الحوادث الجامعة، ص٣٢٥.

(٨) حلوان: هي آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٢، ص٣١٧).



التاسع والثاني والعشرين من ذي الحجة سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م حيث ترك بها النساء، وما ثقل من الامتعة، وواصل سيره نحو بغداد[١].

وقد إختلفت المصادر في تحديد تاريخ اليوم الذي إستقرت فيه قوات القلب بقيادة هولاكو في الجانب الشرقي من عاصمة العباسيين، مقابل برج العجمي[٢]، فبينما يذكر رشيد الدين والبناكتي إن ذلك حدث في الحادي عشر من محرم سنة ٦٥٦هـ/ الثامن عشر من كانون الثاني /١٢٥٨م[٣]. نجد صاحب الحوادث الجامعة يشير الى ذلك في اليوم الثاني عشر[٤]. إلا أن الروايات التي أوردها كل من الطوسي[٥]، وابن العبري[٦] وابن الطقطقى[٧] كلها تشير الى اليوم الخامس عشر. ويبدو أن هذا التأريخ هوالأرجح لكون نصير الدين الطوسي، كان مرافقاً لهذه القوات، ويتبنى الغامدي أحد الباحثين المحدثين هذا التأريخ بقوله، إن وصول هولاكو الى المكان المخصص لقواته لا بد أنه كان مخططاً مسبقاً، ومتزامناً مع بقية أقسام الجيش الاخرى في اليوم الخامس عشر من محرم/ الثاني والعشرين من كانون الثاني[٨]. وهذا يعني أن القوات المغولية إستكملت الإحاطة بمدينة بغداد في مطلع الأسبوع الثالث من محرم.

وإزاء هذه الإستعدادات لم يبق لهولاكو غير الشروع في إصدار الأوامر بالقيام بأجراءات الحصار ونصب المجانيق، إلا أن الإختبار الحقيقي لجس نبض قوات الخليفة وإستعداداتها عكسته معركة نهر بشير التي أبانت عن ضعف

---

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١٠.

(٢) برج العجمي: هو برج كبير في سور بغداد قريب من باب الحلبة (باب الوسطاني) في الزاوية الغربية الجنوبية منه. وقد اشتهر هذا البرج باتخاذ الشيخ عبد القادر الكيلاني اياه رباطاً له. انظر: زين الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين احمد بن رجب (ت٧٩٥هـ/١٣٩٢م)، الذيل على طبقات الحنابلة، تصحيح محمد حامد الفقي (القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ١٩٥٢-١٩٥٣)، جـ١، ص٢٩١.

(٣) جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١٠؛ تاريخ بناكتي، ص٤١٧.

(٤) ص٣٢٥.

(٥) رسالة في فتح بغداد، جـ٣، ص٢٨٦.

(٦) تاريخ مختصر الدول، ص٢٧٠.

(٧) الفخري في الاداب السلطانية، ص٣٣١.

(٨) سقوط الدولة العباسية، ص٣٠٧. غير ان الحقيقة كما هو مثبت في المصادر ان قوة الميمنة المغولية بقيادة بايجو نوين سبقت بقية اقسام الجيش المغولي الاخرى في الوصول الى نواحي غرب بغداد، وخاضت معركة نهر بشير (الدجيلة) في التاسع من محرم سنة ٦٥٦هـ/السادس عشر من كانون الثاني ١٢٥٨م.

الإستعدادت لجيش الخلافة وعدم جدوى خططها العسكرية في التصدي لقوات المغول.

معركة نهر بشير (الدجيلة)

حققت خطة هولاكو الحربية منذ البداية ما كان يأمل تحقيقه منها، فما أن شرعت قواته في وضع تعليماته وتوجيهاته موضع التطبيق،حتى ظهر التفوق المغولي على جيش العباسيين واضحاً ، عندما نجح قائد جيشه الأيمن بايجونوين في إختراق الجانب الغربي من بغداد، والدخول في معركة غيرت نتائجها مجرى تأريخ الخلافة العباسية ككل، وأدت بالنهاية الى إستيلاء هولاكو على بغداد، والقضاء على حكم العباسيين. ومع أن هولاكو لم يشترك شخصياً في هذه المعركة، لكونه كان مرابطاً مع قواته في الجانب الشرقي من بغداد، إلا أن دوره الستراتيجي فيها كان في غاية الاهمية، فهو الذي رسم لقادة جيشه الأيمن خطة المعركة، والنتائج التي تمخضت عنها. فكيف أدت هذه المعركة الى مثل ذلك المصير المؤلم لجيش الخلافة؟.

تروي المصادر أن قوات بايجو نوين نجحت بأستدراج الجزء الأهم من قوات الخلافة العباسية، عندما إنسحب الدويدار الصغير وجيشه من الجانب الشرقي من بغداد وتوجه الى غرب المدينة بعد عبور نهر دجلة لملاقاة الجناح الأيمن المغولي الذي أصبح يهدد العاصمة أكثر من القوة التي كانت ترابط في الجانب الشرقي بقيادة هولاكو، وتلى الإستدراج حدوث إشتباك بين القوتين عند قنطرة باب البصرة[1] بفرسخ واحد من جهة الأنبار، في التاسع من محرم سنة ٦٥٦هـ/ السادس عشر من كانون الثاني ١٢٥٨م[1]. وقد أظهرت لنا بعض المصادر إنتصار جيش الخلافة في أول يوم من المعركة،

[1] قنطرة باب البصرة: وهي المنطقة التي تقع على نهر الصراة، الى الجنوب من المدينة المدورة. انظر: حسن فاضل زعين، العراق في مواجهة التحدي المغولي، مجلة الاستاذ، ع١ (بغداد: مطبعة الارشاد، ١٩٨٧)، ص٤٤١.

[1] رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١١؛ مجهول، الحوادث الجامعة، ص٣٤٤.



وإنـدحار قـوات بـايجو نـوين وتقهقرهـا الـى الـوراء حيـث يـذكر صـاحب الحـوادث الجامعـة: ((أنكسـرت عسـاكر المغـول وتـبعهم الدويـدار، وقتـل مـنهم أعـداداً كبيـرة، وحمـل رؤوسـهم الـى بغـداد ومـازال يتـبعهم بقيـة نهـاره ... فأدركـه الليـل، وقـد تجـاوز نهر بشير ببز الدجيل))[٢].

ويتجاهـل مؤرخـو المغـول إنتصـار الدويـدار فـي تلـك المعركـة الأولـى، سـوى مـا يـورده رشـيد الـدين، مـن أن جنـود المغـول ولـوا العنـان أول الأمـر[٣]. أمـا وصـاف وأبـن العبـري فأشـارت روايتيهمـا الـى حـدوث قتـال قـرب نهـر دجيـل دون إعطاء الغلبة لأحد[٤].

ويبـدو أن قـوات بـايجونوين تظـاهرت فـي البدايـة بالهزيمـة، أمـا فـي الحقيقـة فـأن بـايجو دفـع بمقدمـة قواتـه الإسـتطلاعية للأشـتباك مـع قـوة الدويـدار الصـغير فـي أول يـوم المعركـة ثـم قـرر الإنسـحاب شـمالاً، بينمـا أمـر قواتـه الرئيسـة أن تتمركـز قـرب قريـة البشـيرية علـى نهـر الـدجيل، فأنطلـت الخدعـة علـى الدويـدار الصـغير، الـذي كـان عـديم الخبـرة بـالأمور العسـكرية، لأن بداياتـه فـي الأصـل كانـت كاتبـاً مـدنياً، ولـم يكـن يملـك التجربـة التـي كانـت لنظرائـه المغـول المخضـرمين مـن أمثـال بـايجو وبوقـا تيمـور وسـونجاق، الـذين تمرسـوا علـى فنـون القتـال لسنوات طويلـة. وفـي نشـوة الأنتصـار الموهـوم أمـر الدويـدار قواتـه بتتبـع جـيش المغـول المنسـحب أمامـه الـى الشـمال. ويبـدو أن إبـن كـر مسـاعد الدويـدار أدرك خدعـة المغـول، فـأحجم أول الأمـر عـن الإنـدفاع وراء جـيش المغـول، إلا أنـه إنصـاع لتنفيـذ الأوامـر أخيـراً أمـام إصرار الدويدار على ذلك[٥].

علـى أيـة حـال، فقـد سـارت القوتـان فـي أراضٍ سـهلية خاليـة مـن العـوارض الطبيعية التي يمكن ان تحمي جيش الخلافة في حالة كر الجيش المغولي عليه.

ولمـا كـان النهـار قـد شـارف علـى الغـروب توقفـت المناوشـات بينهمـا، وبـات كـل جـيش فـي مكانـه، إلا أن جـيش الدويـدار إسـتدرج الـى منطقـة محصـورة بـين جـيش المغـول وبـين السـدود المقامـة علـى نهـر دجلـة فـي موضـع يقـع شـمال النهـر

---

[٢] ص٣٢٤.

[٣] جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١١.

[٤] تاريخ وصاف، ص٦٨؛ تاريخ الدول السرياني، ص٢٤٩.

[٥] رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١١؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٢١٢.

المسمى (نهر بشير) من فروع دجيل، على بعد تسعة فراسخ من بغداد[1]. وفي اليوم التالي حدث أن أغرقت المياه جميع السهول الواقعة خلف جيش الدويدار الصغير، بينما شرعت قوات بايجونوين في الوقت نفسه بالهجوم على قوات الدويدار وشددت الخناق عليها ضمن المنطقة المغمورة بالمياه، وتمكنت من إنزال هزيمة نكراء بها، حيث هلك الكثير من أفرادها في الوحل، فيما قتل البقية على أيدي جنود المغول، ومن بينهم عز الدين بن كر قائد القوة الكردية[2]. أما من نجا، وكانوا فئة قليلة، ومن بينهم الدويدار نفسه، فقد شقوا طريقهم هرباً نحو بغداد[3].

وما يثير التساؤل هنا هل كان غمر المياه لميدان المعركة من جهة السهول الواقعةخلف جيش الدويدار عملاً طبيعياً، أم أنه كان متعمداً، ومن صنع المغول؟ ما متوفر في المصادر الصينية يعزو الواقعة الى هطول الأمطار الغزيرة طوال الليلة التي بات فيها الجيشان يواجه بعضهما البعض الأخر[4]. غير أن هذه الرواية تجانب الصواب إذ لا يعقل أن يلحق ضرر الهطول بجيش الخلافة وحده دون أن يتأثر الجيش المغولي بذلك. وبينما يتهم الجوزجاني صراحة الوزير أبن العلقمي، بأنه هو الذي أرسل مجموعة من رجاله لفتح القناة خلف جيش الدويدار، ويحمله مسئولية الهزيمة[5]، فأن المستشرق هوارث (Howorth) يذهب الى القول أن المؤرخين المغول، دون أن يحدد لنا أسماؤهم، لا يؤيدون ذلك، وإنما يشيرون الى أن المغول هم أنفسهم الذين قاموا بهذا العمل[1].

---

(١) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٤٧٣؛ مجهول، الحوادث الجامعة، ص٣٢٤.

(٢) الجوزجاني، طبقات ناصري، جـ٢، ص١٩٣-ص١٩٤؛ ظهير الدين علي بن محمد بن الكازروني (ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م)، مختصر التاريخ من اول الزمان الى منتهى دولة بني العباس، تحقيق مصطفى جواد (بغداد: المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م)، ص٢٧١؛ مجهول، الحوادث الجامعة، ص٣٢٤.

(٣) الجوزجاني، طبقات ناصري، جـ٢، ص١٩٤؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٣٠٣.

(4) Bretschnieder, op. cit., vol. 1, p. 139.

(٥) طبقات ناصري، جـ٢، ص١٩٤.

(1) op. cit., vol. 3, p. 122.

ومن خلال تضارب الروايات المذكورة نرجح أن يكون قادة جيش الخلافة المرتدين الذين إلتحقوا بقوات بايجو من أمثال أيبك الحلبي وقليج أرسلان وسلطان جق هم الذين أرشدوا المغول الى السدود وأشاروا عليهم بكسرها.

وعلى كل حال فالمصادر تتفق على أن أهم نتائج هذه المعركة التمهيدية هو دخول قوات هولاكو الى الضواحي الغربية من بغداد، وقد سهل من مهمتها كثيراً، حسبما تؤكد المصادر الصينية، أن الجانب الغربي من بغداد لم يكن مسوراً [٢].

أحكام الحصار حول بغداد

بعد وصول هولاكو على رأس قوات القلب الى الأسوار الشرقية ليغداد وبشكل متزامن مع إقتراب قوتي الميمنة بقيادة بايجونوين من الجانب الغربي والميسرة من الجانب الجنوبي، وأكمالها الاحاطة بالمدينة من أطرافها كافة تكون الخطة العامة التي أقرها هولاكو لإجتياح بغداد، قد حققت ما كان ينبغي منها في قسمها الأول، عندما هيأت لجيش المغول عمقاً سوقياً يمتد من أطراف بغداد حتى قراقورم عاصمة الدولة المغولية، يمده بالعدة والرجال وقت ما يشاء. وفي مقابل ذلك فرضت على الخليفة العباسي وجيشه العزلة التامة حتى عن بقية مدن الخلافة حينئذ، وإجبارهم على الإنكفاء الى داخل أسوار العاصمة بغداد.

وفي ضوء ذلك التفوق، شرع قائد المغول الأول بتبني إجراءات تستهدف تعزيز الحصار على لمدينة، فأمر ببناء خندق حولها، طبقاً لطريقة المغول عند الشروع في محاصرة المواقع الحصينة، كما أعطى الأوامر بأن يبنى من تراب الخندق نفسه سوراً يحيط بشرقي بغداد يحمي جنوده من شدة رمي المدافعين عنها[١]. وفي الوقت نفسه أعطى الأوامر في بناء ونصب المجانيق، والآلات

---

(2) Bretschnieder, op. cit., vol. 1, p. 139.

(١) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٧٣؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١١؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٣٠٣.

الحربية الخاصة بقذف اللهب والعربات ذات العجلات، التي عن طريقها تطلق الأسهم ذات الأشكال المتنوعة[٢].

ولما إكتملت هذه الإستعدادات، أعطى الأوامر للمهندسين الصينيين بالمباشرة بأن تكون العاصمة العباسية وسكانها هدفاً لتلك القذائف الفتاكة طوال الليل والنهار[٣]. وبسبب كون المناطق المحيطة بالمدينة تفتقد للصخور أمر هولاكو بجلبها من جبل حمرين[٤].

قيادة هولاكو الميدانية لمعركة إحتلال بغداد

ولما إشتدت هجمات المجانيق على بغداد من جميع الجهات، طلب هولاكو من قادته أخذ مواقعهم إستعداداً لأجتياح المدينة المحاصرة، فكان هو شخصياً يقف على رأس قوات القلب في الجانب الأيسر للمدينة في مقابل برج العجمي، وكان كل من كوكا ايلكا وفربا قرب باب كلواذا[٥]. فيما كان الأمراء قولي وبلغايي وتوتار وشيرامون وأرقيو في عرض المدينة بمواجهة سوق السلطان[١]، وبوقايتمور يقف بموضع أسمه (دولاب بقل)[٢]. أما بايجو وسونجاق فكانا يرابطان

---

[٢] يصف المستشرق رافرتي (Raverty) هذه الاسلحة الصينية بقوله: ان المهندسين الصينيين كانوا قد جلبوا معهم هذه الالات لتقوم بقذف الاسهم القاذفة الملتهبة، وكانت تلك الالات تسير على عجلات، ومعها كمية لا تحصى من القذائف. كما احضر اولئك الصينيون معهم ايضاً الات اخرى تقذف السهام الى مسافات بعيدة. ومن خصوصيات هذه السهام او النصال ذاتها، انها قصيرة، ومتناهية القوة والصلابة. انظر: Tabakat – Nasiri, vol. 2, p. 1191.

[٣] رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١١.

[٤] كما شرع المغول باستخدام جذوع النخيل، حيث كانت تقطع الى احجام تناسب المجانيق، وتغطس في الماء لكي تصبح ثقيلة جداً. (ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١٣، ص٢٠١).

[٥] رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١١. وباب كلواذا: هو احد ابواب سور بغداد، يقع بالقرب من ضفة دجلة. سمي بهذا الاسم لان الطريق الذي يخرج منه يؤدي الى قرية كلواذا. وموضع هذا الباب في محل الباب الشرقي. انظر: مصطفى جواد، دليل خارطة بغداد، ص١٦٢.

[١] رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١١. وسوق السلطان يقع جنوبي الباب الشمالي لمدينة بغداد المعروف بباب السلطان، واليه ينسب السوق. انظر: مصطفى جواد، دليل خارطة بغداد، ص١٦٠.

[٢] رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١١.

في الجانب الغربي قرب المارستان العضدي[٣]. ويبدو أن كتبغا ظل على مهمته السابقة في حصار المدينة من جهة أسواق الكرخ[٤].

أما الخليفة فقد طلب من وزيره ابن العلقمي إن يخرج لمقابلة هولاكو في اليوم الرابع عشر من شهر محرم عام ٦٥٦هـ/ الحادي والعشرين من كانون الثاني ١٢٥٨م حسبما ورد في روايات نصير الدين الطوسي[٥] وأبن العبري[٦] وصاحب الحوادث الجامعة[٧]. إلا إن رواية رشيد الدين تقول أن الوزير خرج برفقة جاثليق النصارى في اليوم الثاني والعشرين من محرم/ التاسع والعشرين من كانون الثاني[٨]، لينقل إلى هولاكو رسالة الخليفة التي تقول: **((إن الملك قد أمر بأن أبعث إليه بالوزير، وهاأنذا قد لبيت طلبه، فينبغي أن يكون الملك عند كلمته))**[٩]. غير أن هولاكو أعاد رسول الخليفة الى المدينة المحاصرة بعد أربعة أيام[١٠]، مع رد للخليفة لا يخلو من السخرية يقول فيه: **((إن هذا الشرط طلبته وأنا على باب همدان. أما الآن فنحن على باب بغداد، وقد ثار بحر الاضطراب والفتنة، فكيف أقنع بواحد؟ ينبغي أن ترسل هؤلاء الثلاثة يعني الدويدار وسليمانشاه والوزير))**[١١].

وفيما يظهر أن هذه البعثة لم تحقق للخليفة مبتغاه منها من جانب. فأنها من جانب أخر، وفي إطار سعي هولاكو بالبحث عن متعاونين معه بين إدارات الأعداء، لا يستبعد أن تكون مباحثاته مع الوزير قد أفضت إلى تنسيق معين

---

(٣) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧١٢.

(٤) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧١٢.

(٥) رسالة في فتح بغداد، جـ٣، ص٢٨٦.

(٦) تاريخ مختصر الدول، ص٢٧١.

(٧) ص٣٢٥.

(٨) جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١٠. ولو صحت هذه الرواية فيبدو ان الخليفة المستعصم بالله، أراد من خروج الجاثليق برفقة الوزير، أن يتودد لزوجة هولاكو المسيحية دوقز خاتون.

(٩) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧١٠.

(١٠) مجهول، الحوادث الجامعة، ص٣٢٥.

(١١) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١٠؛ الغامدي، سقوط الدولةالعباسية، ص٢٨٠.

يستهدف مصلحة دولة الخلافة بشكل عام، والخليفة المستعصم بالله بشكل خاص، كما أشارت إلى ذلك بعض المصادر[١].

وفي اليوم التالي لعودة الوفد[٢]، أرسل الخليفة إلى هولاكو فريقاً أخر من كبار موظفيه، كان على رأسهم الوزير مؤيد الدين العلقمي وحاجب الباب ابن الدرنوس[٣]، وجمع كبير من الأعيان[٤]. ولكن هذه البعثة لم يثمر عن إرسالها أي شيء يمكن أن ينقذ الخليفة ودولة الخلافة من مصيرهما المحتوم، فقد أعاد هولاكو أعضاءها إلى المدينة، دون أن يسمح لهم حتى بمقابلته[٥]، لأنه كان مصراً على خروج الدويدار الصغير وسليمانشاه قائدي جيش الخلافة، من بغداد، وقدومهما إلى معسكره[٦]. وفي هذه الأثناء ظلت الحرب مستعرة لستة أيام، أظهر سكان بغداد خلالها مقاومة بطولية، وتمكنوا من شدة رميهم أن يجرحوا، أحد كبار أمراء المغول المسمى هندو البيتكجي، مما أغضب هولاكو بشدة[١]. وللحد من تلك المقاومة الشديدة، لجأ هولاكو إلي محاولة

---

(١) تبدو الروايات التي تشير إلى تعاون الوزير ابن العلقمي مع المغول عند هذه المرحلة من الحرب، أكثر احتمالاً من تلك الروايات التي ثبت عدم صحتها عن دوره المزعوم في التعاون مع المغول قبل هذا الوقت بأمد طويل من خلال دخوله بمراسلات سرية معهم كانت تستهدف حثهم بالقدوم إلى دولة الخلافة واحتلال بغداد. اما في هذا اللقاء بين ابن العلقمي وهولاكو، فأن الروايات تؤكد إن الوزير توثق لنفسه فقط، ثم عاد وأشار على الخليفة المستعصم بالله بالخروج الى هولاكو، والمثول بين يديه لتقرير الصلح على إن يكون نصف خراج العراق له ونصفه الثاني لهم. (ابن كثير البداية والنهاية، جـ١٣، ص٢٠١)

وفي رواية أخرى مفادها، إن الوزير اقنع الخليفة المستعصم بالله، إن هولاكو يرغب ببقائه في الخلافة، كما فعل مع سلطان الروم، وانه يريد إن يزوج ابنته من ابن الخليفة الاكبر أبي بكر. انظر: الجوزجاني، طبقات ناصري، جـ٢، ص١٩٢؛ أبو الفداء، المختصر، جـ٣، ص٢٠٣؛ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ٧، ص٤٩؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٤٧٢؛ ابن العماد، شذرات الذهب، جـ٥، ص٢٧١.

(٢) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١٠.

(٣) هو عبد الغني بن الدرنوس، احد اصدقاء الخليفة المستعصم بالله، كان في بدية أمره حمالاً ثم صار براجاً، حتى مكنه الخليفة من دولته، ولقبه نجم الدين الخاص، فأصبح صاحب اليد الطولى في البلاط، يولي ويعزل من يشاء. انظر: ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص٣٨–ص٣٩؛ محمد مفيد آل ياسين، الحياة الفكرية، ص٦٩؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٢٨٣.

(٤) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١١.

(٥) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧١١.

(٦) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧١١.

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١١.

تحطيم الروح المعنوية لدى المحاصرين الذين يتولون الدفاع عن المدينة، من خلال إشاعة الفرقة والبلبلة بينهم عن طريق كتابة منشورات تقذف إلى داخل بغداد بواسطة السهام، ومحتواها كما وردت عند نصير الدين الطوسي: ((... إن القضاة والعلماء والشيوخ والسادة والتجار، والأشخاص الذين لا يقاتلوننا، كل أولئك لهم الأمان من عندنا))[٢].

وفي اليوم الخامس والعشرين من محرم/ الأول من شباط تمكنت قوات هولاكو بفعل ضربات المجانيق المتواصلة من فتح ثغرة في برج العجمي، الذي بتصدعه أعطاهم مدخلاً إلى التحصينات الواقعة على الأسوار، فتسلقوها عنوة وطهروا أعاليها من أفراد جيش الخلافة[٣]. وما أن حل مساء يوم الثامن والعشرين من محرم سنة ٦٥٦هـ/ الرابع من شباط ١٢٥٨م حتى سيطر المغول على جميع الأسوار الشرقية، فقاموا بتدميرها، وتم سحق كل القوات العباسية التي أخذت على عاتقها مهمة الدفاع عن هذا الجانب من المدينة[٤]. لكن المغول لم يحققوا نجاحاً عند أسوار سوق السلطان، فقد فشلوا في تسلقها أو أحداث ثغرة فيها بسبب المقاومة المستميتة التي أبداها المدافعون عنها، الأمر الذي تطلب من هولاكو أن يلوم قادته ويعنفهم بشدة[٥].

وفي خطوة مضافة أكدت على قدرة هولاكو في مجال التخطيط السليم لادارة المعركة، فقد أمر ببناء جسرين، أحدهما شمال المدينة، والثاني جنوبها، وكان يستهدف من وراء بنائهما، تفويت فرصة الهرب على الخليفة وأتباعه عبر النهر[٦].

والى جانب الضغط العسكري، أستمر هولاكو على عدم مساومة الخليفة المستعصم بالله من خلال إصراره على عدم القبول بأنصاف الحلول التي كان يقترحها الخليفة عليه لارضائه، الأمر الذي دفع بهذا الأخير، عندما وجد الموقف في غاية الحرج، ويئس من الاحتفاظ ببغداد، ولم ير امامه مفراً أو مهرباً

---

(٢) رسالة في فتح بغداد، جـ٣، ص٢٨٨.

(٣) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١٠؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص٣١١.

(٤) مجهول، الحوادث الجامعة، ص٣٣٢.

(٥) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١٠.

(٦) المصدر نفسه، جـ٢،ص٧١١.

الى القول لرجال أدارته ((سأسلم وسأطيع))[1] وتنفيذاً لقوله أرسل صاحب الديوان فخر الدين الدامغاني، وحاجب الباب إبن الدرنوس، مع قليل من التحف والهدايا الى هولاكو، إلا أن هولاكو هذه المرة أيضاً تجاهل هذين الرسولين، وأعادهما الى بغداد[2].

وفي اليوم التاسع والعشرين من محرم/ الخامس من شباط أرسل الخليفة أبنه الثاني، أبو الفضل عبد الرحمن مصحوباً بصاحب الديوان إبن الدامغاني، وكثير من اعيان بغداد، وهم يحملون الهدايا الثمينة، دون التمكن من مقابلة هولاكو، لأنه رفض إستقبالهم وقبول هداياهم على نحو ما فعله سابقاً[3].

وفي اليوم التالي، الثلاثين من محرم/ السادس من شباط أرسل الخليفة ابنه الأكبر أبو العباس ومعه الوزير مؤيد الدين بن العلقمي وجماعة من الأعيان لمقابلة هولاكو، ومع إن المقابلة تمت في هذه المرة، إلا أن البعثة كانت فاشلة، وفي أثناء عودتها في أول صفر/ السابع من شباط خرج معها رسولين من قبل هولاكو، هما نصير الدين الطوسي[4]،وأحد المغول بشخص تيمورناصي وهما يحملان رسالة الى الخليفة يكرر فيها إعادة لمطاليبه بخروج الدويدار الصغير وسليمانشاه كشرط للدخول في مفاوضات معه[5]. وفي هذا المحتوى يروي رشيد الدين بأن الدويدار الصغير وسليمانشاه قد أخذا من بغداد الى مخيم هولاكو، خارج المدينة بالقوة، حيث قام بعملية إحضارهما مجموعة من زملائهما المسؤولين في البلاط العباسي، وعلى رأسهم ابن الجوزي، وابن الدرنوس، وابن الدامغاني[6]، ولا يعرف فيما إذا كان هذا التدبير قد تم باتفاق مع الوزير إبن العلقمي أم دونه. غير أن هولاكو أعادهما طالباً منهما اخراج أتباعهما من الجند بذريعة إنضمامهم للقوة المغولية التي تنوي مهاجمة بلاد الشام ومصر. ومع حلول وقت التنفيذ، خرجت

---

(1) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١١.

(2) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧١١؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية،ص٣١١.

(3) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٧٣؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١١.

(4) لم يذكر الطوسي شيئاً عن سفارته الى الخليفة المستعصم بالله في الرسالة المنسوبة له عن فتح بغداد.

(5) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٧١.

(6) جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١٣.

منهم أعداد كبيرة من الناس كان هولاكو قد أعطاهم ضمانات تكفل حياتهم، لكن ثبت أنها وعود كاذبة كالعادة، فقتلوا جميعاً[١].

ومن أجل إفراغ المدينة من المدافعين عنها، أمر هولاكو مستشاره نصير الدين الطوسي بأن يقيم على بوابة الحلبة[٢] أماناً يلتجأ إليه أهل بغداد، الذين شرعوا بالخروج من المدينة طائفة بعد أخرى، فلما تكاملوا أمر هولاكو بقتلهم عن أخرهم[٣]. وهذا دليل واضح على عدم براءة الطوسي من المجزرة التي إرتكبها هولاكو بحق البغداديين، مثلما تقع الإدانة على الجهاز الإداري للبلاط العباسي بحق الدويدار وسليمانشاه وأتباعهم، ففي الثاني من صفر/ الثامن من شباط أمر هولاكو بقتل الدويدار الصغير، فيما جيء بسليمانشاه مع سبعمائة من أقاربه وأتباعه، مكبل اليدين، وقد أستجوبه هولاكو بنفسه. ثم أمر بقتله مع كافة أتباعه، أتبعهما بقتل تاج الدين بن الدويدار الكبير، وأمر أن تحمل رؤوس هؤلاء الثلاثة بيد الملك الصالح بن بدر الدين لؤلؤ الى الموصل ليعلقوا هناك[٤].

وبعد ثلاثة أيام من سقوط برج العجمي، إستطاع جند هولاكو أن يشقوا طريقهم عنوة الى داخل المدينة، في الثاني من صفر/ الثامن من شباط[٥]. وبالرغم من القتال إستمر بعد ذلك بشكل متقطع، إلا أنه في اليوم الرابع من صفر/ العاشر من شباط، رأى الخليفة المستعصم بالله بأن الأمر قد خرج من يده لا محالة، ومن أجل عمل شيء ينقذ به نفسه وافراد عائلته فقد إستصحب أبنائه الثلاثة على التوالي أبو الفضل عبد الرحمن وأبو العباس أحمد وأبو المناقب مبارك، وتوجه الى معسكر هولاكو بصحبة ثلاثة ألاف من أعيان بغداد[١]. ويبدو

---

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١٣.

(٢) المصدر نفسه، جـ٢،ص٧١٣. وباب الحلبة منسوب الى حلبة السباق التي كانت في هذا الموضع قبل انشاء سور بغداد الشرقية، وبعد انشائه سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م عرف الباب القريب منها بباب الحلبة. انظر: بشار عواد معروف وعماد عبد السلام رؤوف (المحققان)، الحوادث الجامعة، ص٣٣٥ (الحاشية).

(٣) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١٣.

(٤) مجهول، الحوادث الجامعة، ص٣٢٧. وكان بدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل صديقاً لسليمانشاه، ولكنه علق رؤوسهم خوفاً على حياته (رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢،ص٧١٢).

(٥) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١٢؛ عبد الله الغياثي (كان حياً سنة ٨٩١هـ/١٤٨٦م)، التاريخ الغياثي، تحقيق طارق نافع الحمداني (بغداد: مطبعة اسعد، ١٩٧٥)، ص٤٢-ص٤٣.

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١٢.

أنه لم يحصل لقاء بين هولاكو والمستعصم بالله عند استسلامه لاول وهلة، فالاوامر التي صدرت نصت على تخصيص خيمة خاصة للخليفة حيث يقيم القائد المغولي كتبغانوين، والسماح لأفراد قلائل من أتباعه بالإقامة معه، فيما فرق الأعيان على الكتائب المغولية المختلفة، ومن ثم قاموا بقتلهم جميعاً بأمر هولاكو دون أدنى رحمة أو شفقة[٢]. ولا يعرف فيما إذا كان الوزير إبن العلقمي قد إلتحق بخيمة أسر الخليفة أم أنه ظل داخل المدينة.

ولما مثل الخليفة المستعصم بالله أمام هولاكو، وأعلن استسلامه له أصبحت جميع أراضي لدولة العباسية جزءاً من الإمبراطورية المغولية بصورة رسمية، وتحولت الى أملاك خاصة بخانية هولاكو. ويقال أنه لم يظهر على هولاكو الغضب عندما استقبل الخليفة المستعصم بالله، لا بل كلمه بلطف وقال له: ((مر حتى يضع سكان المدينة أسلحتهم، ويخرجوا لكي نحصيهم))[٣]. ونفذ الخليفة ما أمره به هولاكو بقراءة نداء شخصي له في المدينة يدعو الناس فيه بوضع أسلحتهم والخروج صوب المعسكر المغولي، فكان المغول يسوقونهم للقتل جميعاً[٤]. ولما لم يبق في المدينة من يدافع عنها، اندفع المغول الى كافة أنحاءها، وإستباحوها لمدة لا تقل عن سبعة أيام إبتداءاً من يوم السابع من صفر/ الثالث عشر من شباط حسب روايات إبن العبري ورشيد الدين[٥]، وبذلوا السيف في أهلها دون أدنى رأفة أو شفقة، فقتلوا الرجال والنساء والأطفال[٦]، وقاموا بما يعرف عن المغول من مهارة بكل أعمال التدمير و التخريب أينما تقدموا،وعلى حد قول رشيد الدين ((اخذوا يحرقون الاخضر واليابس، ما عدا قليل من منازل الرعاة وبعض الغرباء))[١] ولم يترددوا في إحراق الأماكن المقدسة، مثل جامع الخليفة،

---

(٢) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧١٣.

(٣) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧١٣.

(٤) مجهول، الحوادث الجامعة، ص٣٣٠.

(٥) تاريخ مختصر الدول، ص٢٧٥؛ جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١٣. أما رواية صاحب الحوادث الجامعة، ص٣٢٩، ومصادر أخرى متاخرة التي تذكر ان هولاكو استباح المدينة لمدة اربعين يوماً هي روايات ضعيفة، لان هولاكو لم يبق في المدينة طوال المدة المذكورة، فقد غادرها في اليوم الخامس عشر من صفر/ الحادي والعشرين من شباط، وقبل مغادرته كان قد منح ما تبقى من سكانها الآمان.

(٦) مجهول، الحوادث الجامعة، ص٣٣٠؛ الكتبي، عيون التاريخ، جـ٢، ص١٣٥.

(١) جامع التواريخ، جـ٢،ص٧١٣.

ومشـهد الإمـام موسـى الكـاظم، وقبـور الخلفـاء[٢].حتـى أن مـؤرخ المغـول الرسـمي وصـاف يـوجز بشـاعة المجـازر بقولـه: ((سـالت الـدماء كالميـاه الجاريـة فـي شـوارع بغداد، وانحسر المـاء فـي دجلـة لكثـرة مـا فيـه مـن القتلـى والـداوب وغيرهـا))[٣]. ويـذكر صـاحب الحـوادث الجامعـة أن القتلـى فـي الطرقـات والـدروب كـانوا كـالتلول[٤]. ولـم يبـق مـن أهـل المدينـة سـوى أصـحاب الفـرامين كالتجـار، أو مـن الـذين كـانوا علـى إتصـال بـالمغول، ومـن بينـهم كثيـر مـن مـوظفي الـبلاط العباسـي، مـن امثـال الـوزير إبـن العلقمـي وفخـر الـدين الـدامغاني صـاحب الـديوان، وابـن الـدرنوس حاجـب البـاب وغيرهم[٥]. وبعضاً من عامة الناس الذين إلتجأوا في الآبار والسراديب[٦].

غيـر أن النصـارى مـن سـكان بغـداد حضـوا برعايـة هولاكـو وزوجتـه دوقـز خـاتون، حيـث عـين لهـم شـحنة يحـرس بيـوتهم وكنائسـهم، فيمـا لـم تحصـل بقيـة الطوائـف مثـل اليهـود علـى هـذه المعاملـة الخاصـة. وبالنسـبة للعـرب المسـلمين تسـاوى أهل السنة مع بقية المذاهب في المعاملة والقتل.

ولـم تتوقـف المذبحـة إلا بعـد أن أوفـد سـكان المدينـة الـى هولاكـو ثلاثـة مـن المتصـلين بـه وهـم شـرف الـدين المراغـي وشـهاب الـدين الزنجـاني والملـك دل راست وألتقوا بـه فـي الرابـع عشـر مـن صـفر/ العشـرين مـن شـباط وطلبـوا منـه الأمـان، عنـدها أصـدر هولاكـو الأوامـر بـالتوقف عـن القتـل والنهـب بعـد أن سـفك مـا سـفك مـن

---

[٢] المصدر نفسه، جـ٢، ص٧١٣. وترد اشارات الى تدمير المغول للمكتبات وأتلاف الكتب بشكل متعمد، ولاسيما في المصادر المتاخرة. انظر: ابن الساعي (منسوب)، مختصر اخبار الخلفاء، ص١٢٧؛ عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٩٧١)، جـ٥، ص٥٤٣؛ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ٧، ص٥١؛ قطب الدين النهروالي (توفي بعد سنة ٩٨٨هـ/١٥٨٠م)، الاعلام باعلام بيت الله الحرام (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٧٠هـ)، ص١٦٣. غير ان محمد مفيد آل ياسين (الحياة الفكرية، ص٨٦-ص٩٣) بحث هذه المسألة بشكل مستفيض، مبرهناً على عدم صحتها، وان ما حدث للكتب من خرق وتدمير حسب رأيه كان بشكل عرضي، وهو امر لا يستبعد حدوثه في الغزوات والحروب.

[٣] تاريخ وصاف، ص٣٥-ص٣٧.

[٤] ص٣٣٠.

[٥] مجهول، الحوادث الجامعة، ص٣٣٠.

[٦] المصدر نفسه، ص٣٣٠.

الدماء: ((لأن بغداد أصبحت ملكاً لنا. فليستقر الأهالي، وينصرف كل شخص الى عمله))[1].

وقد إختلفت الروايات في تقدير عدد من قتل في بغداد على يد هولاكو، فالفظائع التي إرتكبت، والدماء التي سفكت دفعت بعض المؤرخين المتأخرين الى المبالغة في عدد أرقام الضحايا فبينما يذكر المقريزي أن عدد القتلى بلغ ألفي ألف[2]، والذهبي ألف ألف وثمانمائة ألف[3]، إلا أنه يبدو من غير المعقول أن يكون سكان بغداد يقدرون بهذا الحجم آنذاك[4]. ونجد أن رواية صاحب الحوادث الجامعة، وهو عراقي معاصر للأحداث، والتي تقول بأن عدد القتلى بلغ ثمانمائة ألف شخص هي أرجح الروايات[5].

وعلى غرار ما حدث بعد إحتلاله لقلعة الموت مقر الإسماعيلية، فأن هولاكو هذه المرة أيضاً لم يدخل مدينة بغداد، إلا بعد أن توقفت جميع أعمال المقاومة للمغول فيها، وكان ذلك في اليوم التاسع من صفر سنة ٦٥٦هـ/ الخامس عشر من شباط ١٢٥٨م، مما يؤكد أن دوره في المعارك التي كان يخوضها في أغلب الأحيان، كان دوراً قيادياً فحسب، ولم تكن له صفة الجرأة والإقتحام على المستوى الفردي، على نحو ما إشتهر به معظم قادة المغول الآخرين. ومما يدل على حرصه الدائم في الإبتعاد عن مكامن الخطر، وتواريه عن عيون الأعداء، إن فرقة لفرسان التي كانت ترافقه، لم يزج بها في معارك هجومية، مما يعني أن دورها كان لا يتعدى توفير حماية وقائية من أي هجوم مباغت قد يتعرض له شخصياً. وهذا يفسر لنا عدم ورود روايات في المصادر تشير الى تعرض هولاكو لمخاطر القتل أو الإصابة، رغم المعارك العديدة التي قادها.

---

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١٣.

(٢) السلوك، جـ١، ص٤٨٠.

(٣) (دول الاسلام، جـ٢، ص١٢١.

(٤) خصباك، العراق في عهد المغول الايلخانيين، ص٥٦؛ عجمي الجنابي، المقاومة العربية، ص١٢٨. غير ان الباحث غروسيه (Grousset) يرىان عدد القتلى ربما لا يتجاوز التسعين الفاً. انظر: L'empire des Steppes, p241.

(٥) ص٣٢٩.

وعلى أية حال، فأن هولاكو عند دخوله المدينة قام بجولة لمشاهدة قصر الخليفة، ومقر إدارته وسكانه، وأمضى الوقت في الجلوس في الميمنية، محتفلاً بالنصر[١]، ثم أشار الى إحضار الخليفة المستعصم بالله لمسائلته والتلاعب بأعصابه، ولما أحضر أمامه، قال له بسخريته المعهودة:((إنك مضيف ونحن الضيوف! ... فهيا أحضر ما يليق بنا))[٢]. ويروي رشيد الدين أن الخليفة كانت ترتعد فرائضه من الخوف، بحيث بلغ من شدة خوفه، أنه لم يعد يعرف مكان مفاتيح الخزائن الخاصة به. وأخيراً أحضر له هدايا وتحف، غير أن هولاكو لم يلتفت إليها، ووزعها على امرائه وقادته، لشعوره بتفاهة ما كان يقدم لمقامه من تلك الهدايا[٣]. ثم طلب منه أن يكشف عن المكان الذي يحتفظ فيه بكنوزه قائلاً له: ((أن الأموال التي تملكها على وجه الأرض ظاهرة، وهي ملك عبيدنا. لكن أذكر ما تملكه من الدفائن ما هي وأين توجد))[٤]. فأعترف الخليفة بوجود حوض مملوء بالذهب في ساحة القصر، فحفروا الأرض حتى وجدوه مليئاً بسبائك تزن الواحدة مائة مثقال[٥]، ثم أمر هولاكو قائده سونجاق، أن يجرد أموال الخليفة ويخرجها كغنائم حرب[٦]. وبلا شك إن هذه المعلومات تمثل وجهة نظر المغول في أموال المستعصم بالله وكنوزه. لأن رشيد الدين لا يكتب إلا وجهة نظر المغول بشأن الخلافة والبيت العباسي، ولا نملك ما يقابلها من روايات في المصادر العربية، ومع ذلك فأن مسائلة هولاكو للخليفة عن كنوزه أصبحت نموذجاً من نماذج الأدب الأوربي الخاص بالعباسيين.

هولاكو يضع نهاية لحياة الخليفة المستعصم بالله

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١٤.

(٢) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧١٤.

(٣) المصدر نفسه،جـ٢،ص٧١٥.

(٤) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧١٥؛

Breschnieder, op.cit. vol.1, p.141.

(٥) يروي رشيد الدين ان هولاكو اصدر ايضاً الاوامر باحصاء نساء الخليفة، فعدوا سبعمائة زوجة وسرية والف خادمة، واجاب على طلب الخليفة بان يمن عليه بنسائه، بالقول: ((اختر مائة من هذه النساء السبعمائة، واترك الباقي)). (جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١٥).

(٦) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧١٦.



إشتهر هولاكو في التأريخ ليس بنجاحه في القضاء على الخلافة العباسية، والبيت العباسي الحاكم فحسب، بل في إلغائه لخط الخلافة الشرعي القائم منذ عهد الخلفاء الراشدين[1]. وما تظاهر به من تقديم الرعاية و الإحترام للخليفة أول الأمر، إلا لانه كان يعرف أهمية الخليفة والبيت العباسي ومكانتهما بين المسلمين. غير أنه لما خشى أن تأخذ تلك المكانة وضعاً جديداً، تراجع عن تلك المعاملة وقرر قتل الخليفة. وفي هذا الصدد ينقل لنا مؤرخو المغول روايات لانجد لها صدى في المصادر الأخرى، وتبدو من باب الدعاية للزعيم المغولي، لكونها تحاول إظهاره بمظهر من يمجد الشجاعة والبطولة، حتى ولو كانت من سجايا أعدائه، واحتقاره للضعفاء والمتخاذلين منهم، كما ورد عند نصير الدين ووصاف[2]. وعلى عكس الحال فأن ما يرد في المصادر الجورجية يظهر الخليفة بمظهر المتحدي لهولاكو والرافض لمسائلته، فعندما أمره هولاكو بأن يجثو على ركبتيه، رفض الانصياع لأوامره قائلاً: عندي سلطة مقدسة لا يملكها أحد، إذا أخترت أن تتركني حراً سأعلن طاعتي لك، وإذا لم تفعل سوف أموت ولا أكونن

---

(1) قام الحكام المماليك الذين انتزعوا السلطة من الايوبيين في مصر وبلاد الشام، باحياء الخلافة العباسية في القاهرة بعد اكثر من ثلاثة اعوام على زوالها، ونصبوا احد افراد الاسرة العباسية المسمى ابو القاسم احمد بن الظاهر بأمر الله، الذي نجا من القتل، ووصل الى مصر بمساعدة قبيلة خفاجة العربية، خليفة وتلقب بـ (المستنصر بالله) وذلك في سنة ٦٥٩هـ/١٢٦١م، والذي قام بمحاولة لم يكتب لها النجاح لاستعادة العراق من السيطرة المغولية، انتهت باختفاءه في ظروف غامضة. ثم عين شخص آخر من الاسرة العباسية عوضاً عنه، ويدعي ابا العباس احمد بن علي، الذي تلقب بـ (الحاكم بأمر الله). وقد استمرت الخلافة العباسية في مصر زهاء قرنين ونصف، الا انها لم تكن لها السلطة السياسية والروحية التي كانت عليها في بغداد. انظر: الذهبي، جـ٥، ص٢٨٩؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٣١٦.

(2) وخلاصتها ان هولاكو منع الطعام عن الخليفة، فلما احس بالجوع، طلب طعاماً، فأمر هولاكو ان يقدم له طبقاً مملوءاً بالذهب، وامره ان ياكل، فقال الخليفة: كيف يمكن اكل الذهب؟ فرد عليه هولاكو: اذا كنت تعرف ان الذهب لا يؤكل فلماذا احتفظت به، ولماذا لم تحول تلك الابواب الحديدية الى سهام، وتسرع الى شاطئ نهر جيحون لتحول دون عبوري؟. فأجاب الخليفة: هكذا كان تقدير الله، فرد عليه هولاكو: وما سوف يجري عليك انما هو كذلك من تقدير الله. انظر: رسالة في فتح بغداد، جـ٣، ص٢٨٤؛ تاريخ وصاف، ص٧٩.

عبداً، فما كان من هولاكو إلا أن أبلغ قائد أيلكانوين أن يأخذه لخارج الأردو وبقتله مع أبنائه[١].

أما الطريقة التي أمر هولاكو أن يقتل بها الخليفة، فقد شابها الغموض، وتضاربت روايات المصادر حولها، ولا سيما في غياب رأي نصير الدين الطوسي، الذي كان شاهد عيان على الأحداث، وسكوت رشيد الدين عنها الذي يعد مصنفه أكثر المؤلفات المغولية شمولية واكتفاؤه بالقول: ((في مساء الأربعاء الرابع عشر من صفر سنة ٦٥٦هـ قضوا على الخليفة، وعلى أبنه الأكبر، وخمسة من الخدم كانوا في خدمته في قرية وقف. وفي اليوم التالي قتلوا كل الذين كانوا قد نزلوا معه في بوابة كلواذا))[٢].

إن المصادر التي تحدثت عن هذه المسألة يمكن أن تقسم الى ثلاثة مجموعات مختلفة، الأولى لا يعول عليها، وتمثلها الرواية الجورجية التي تقول أن الخليفة المستعصم بالله مات جوعاً، بعد أن، أخذ وسجن في قلعة خاصة وأحيط بأمواله وكنوزه وما ورثه عن آبائه وأجداده وأقفل عليه داخلها[٣]. والرواية الثانية هي التي تقول بأن هولاكو أمر شخصياً بقتل الخليفة المستعصم بالله بالسيف، ونفذه بيده، أو بيد أحد قادته[٤]. والروايتين المذكورتين مشكوك في صحتهما تماماً، لأنهما من خيال مصادر لم تكن قريبة من موقع الحادثة.

أما الرواية الثالثة، وهي أرجح الروايات وتوردها مصادر ذات خلفيات مختلفة وأجمعت على تأكيدها المصادر الإسلامية، وهي في مجملها تتشابه في المضمون وتختلف في التفاصيل، إلا أن جميعها تؤكد أن هولاكو قتل الخليفة بطريقة لم يسفك دمه فيها، ومن هذه الروايات ما ورد عند إبن العبري، الذي لم يذكر في مؤلفه باللغة العربية أكثر من أن الخليفة المستعصم بالله قتل قبل أولاده[١]، لكنه في مؤلفه الاخر باللغة السريانية يذكر ان الخليفة

---

(1) Howorth op.cit.vol.3.p.128.

(٢) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١٤.ولم ينج منهم سوى مباركشاه الابن الاصغر للخليفة، وقد سلم الى اولجاي خاتون، زوجة هولاكو،فارسلته الى مراغه ليكون مع نصير الدين الطوسي، ثم زوجوه من امراة مغولية، فانجب منها ولدين. (المصدر نفسه،جـ٢،ص٧١٤).

(3) Grigor Alakenki, History of the Arches Nation (Boston: Harverd University Press, 1954), pp. 333-335.

(4) Howorth, op.cit. vol.3, p.128.

(١) تاريخ مختصر الدول،ص٢٧٢.

المستعصم بالله أخذ وأحضر أمام هولاكو، الذي أمضى حكمه عليه بالموت، وقد أمر جنوده بأن يضعوه في قطعة من الكساء، ويخيط عليه بداخلها، ثم يرفس بالأقدام حتى الموت[٢]. ويشير الى سبب قتل هولاكو للخليفة بهذه الطريقة يعود الى أن بعضاً من سماهم بالعرب جاءوا الى ملك الملوك (يعني هولاكو) وخوفوه من العواقب الوخيمة التي ستترتب على إراقة دم المستعصم بالله على الأرض، ومنها أن يكف سقوط المطر مرة أخرى، وإن ناراً عظيمة ستنبعث من باطن الأرض التي يهرق دمه عليها[٣].

ويشير إبن العميد (ت ٦٧٢هـ/١٢٧٣م) وهو نصراني، الى ذلك بقوله: ((وأمر أن يرفس حتى الموت، فرفسوه الى أن مات))[٤].

وللمؤرخ الأرمني كريكور الأكنكي رواية مماثلة حيث يقول: ((وحينئذ أمر هولاوون (يعني هولاكو) بأن يلقى الخليفة المستعصم على الأرض ويداس تحت أقدام جنوده، وبتلك الطريقة قتل خليفة العرب))[٥].

أما روايات المؤرخين المسلمين، فجميعها لا تخرج عن هذا الرأي، فالجوزجاني يذكر أن الخليفة المستعصم بالله وضع في غرارة وتم رفسه الى أن مات. وهي طريقة المغول في قتل معارضيهم من الملوك[٦]. ويؤكد وصاف ما أورده الجوزجاني بهذا الصدد[٧]. ويشير صاحب الحوادث الجامعة الى ذلك بقوله: ((أمر السلطان بقتله، فقتل يوم الأربعاء الرابع عشر من صفر، ولم يهرق دمه، بل جعل في غرارة ورفس حتى مات))[٨]. ويذكر النويري: ((أنه جيء بالخليفة الى هولاكو، فأمر بأن يجعل في جولق، ويداس بأرجل الخيل، ففعل به ذلك حتى مات))[١]. ويشير أبو الفداء الى روايات عدة في مقتل الخليفة لم يكن من بينها واحدة تؤكد إراقة دمه بقوله: ((وأما الخليفة فأنه قتلوه، ولم يقع الإطلاع على

---

(٢) تاريخ الدول السرياني، ص٤٣١.

(٣) المصدر نفسه، ص٤٣١.

(٤) أخبار الايوبيين، نشر كلود كاهن (دمشق: المعهد الفرنسي، ١٩٩٠).

(5) History of the Arches Nation, p.335.

(٦) طبقات ناصري، جـ٢، ص١٩٧.

(٧) تاريخ وصاف، ص٤٠.

(٨) ص٣٢٧.

(١) نهاية الارب، جـ٢٧، ص١١٢.

كيفية قتله، فقيل خنق، وقيل وضع في عدل ورفسوه حتى مات، وقيل غرق في دجلة، والله أعلم بحقيقة ذلك))[٢].

والواضح من خلاصة الروايات إنها تؤكد بشكل جازم على أن هولاكو قتل الخليفة المستعصم بالله بطريقة لم يسفك دمه فيها، على خلاف ضحاياه من الزعماء الأخرين، والباعث على ذلك، فيما لو إستبعدنا أن تكون إحدى طرق التنكيل بأعدائه التي تفنن بها هولاكو كثيراً، فأن تفسير ذلك على الأرجح يعود الى ما ذكرته بعض المصادر الأولية[٣]، ومعظم الباحثين المحدثين[٤]، بأن هولاكو كان يحرص على تطبيق تعاليم الياسا الجنكيزخانية التي تمنع أراقة دماء العائلات من ذوي السلالات النبيلة، لأنها تجلب سوء الطالع لمن يقوم بهذا العمل.

إستكمال إحتلال بقية مدن العراق

بعد الإنتهاء من إحتلال بغداد، ووضع نهاية لحياة الخليفة المستعصم بالله، لم يبق أمام هولاكو سوى تصفية ما تبقى من أملاك العباسيين، فبعد إنقضاء أيام قلائل، حتى كلف أحد قادته بأخضاع مدن جنوب العراق، حيث عهد الى بوقاتيمور بمهمة المسير الى الحلة والكوفة لامتحان ولاء أهلها، الذي سبق وأن أعلنوه لهولاكو قبل ان يتم له احتلال بغداد خشية البطش بهم، لما كان لهولاكو من سمعة مخيفة[١]. ولما وصل بوقاتيمور الى الحلة أثبت له سكانها إخلاصهم،

---

(٢) المختصر في اخبار البشر، جـ٣، ص١٩٤.

(٣) الوصاف، تاريخ وصاف، ص٨٠.

(٤) خصباك، العراق في عهد المغول الايلخانيين، ص١٢١؛ القزاز، الحياة السياسية، ص٩٨؛ J.A.Boyle, The Death of the Last Abbasid Caliph, Journal of Semitic Studies (London, 1961), vol.VI, P.150.

(١) كان اهل الحلة قد نزحوا باولادهم واموالهم خلال حصار بغداد الى البطائح، وحضر اكابرهم الى هولاكو وسألوه حقن دمائهم،فأجابهم الى ذلك وعين لهم شحنة باسم بوكله، ويعاونه شخصاً آخر باسم بجلي النخجواني، وعادوا الى بلادهم قبل توجه بوقاتيمور اليهم. انظر: مجهول، الحوادث الجامعة، ص٣٣٠؛

فرحل عنها في العاشر من صفر سنة ٦٥٦هـ/ السادس عشر من شباط ١٢٥٨م[٢]. ثم سار بأتجاه واسط، وقد وصلها في السابع عشر من صفر/ الثالث والعشرين من شباط، ولكن أهلها لم يدخلوا في طاعة المغول، وقاوموا القوات الغازية ببسالة منقطعة النظير، إلاأن إنعدام التكافؤ بين الطرفين، مكّن بوقاتيمور من قهرهم بعد أن قتل منهم ما يقرب من أربعين ألف نفس[٣]. ولما توجه بوقاتيمور الى البصرة وما حولها أعلن السكان خضوعهم طوعاً[٤].

إخضاع اربل

في أثناء مسيرته لأحتلال بغداد، كلف هولاكو قائده أرقيونوين بحصار أربل وإحتلالها[٥]، الذي ما ان وصل الى المدينة حتى قدم حاكمها الصاحب تاج الدين بن الصلايا[٦] فروض الطاعة، ولكن أرقيونوين طلب منه تسليم قلعة المدينة دليلاً على صحة طاعته[٧]. ولما عاد تاج الدين الى إتباعه، ليبلغهم الأمر، رفضوا الإنصياع لأوامر سيدهم، لا بل حتى رفضوا دخوله الى القلعة، وصمموا على الصمود في وجه الجيش الغازي. ولما إضطر تاج الدين الى العودة الى أرقيونوين، أرسله هذا الأخير بدوره الى هولاكوخان الذي أصدر الأوامر بأعدامه[١].

الحسن بن يوسف المطهر الحلي (ت٧٢٦هـ/١٣٢٥م)، كشف اليقين في فضائل امير المؤمنين، تحقيق حسين الدركاهي، ط١(طهران،١٤١١هـ/١٩٩١م)،ص٨٠.

(٢) يروي رشيدالدين ان اهل المدينة استقبلوا الجند، واقاموا جسراً على الفرات، واقاموا الافراح ابتهاجاً بقدومهم. (جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١٥).

(٣) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧١٥.

(٤) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧١٥.

(٥) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧١٦.

(٦) وهو تاج الدين ابو المكارم محمد بن نصر بن يحيى الهاشمي العلوي، وصف بانه ذو عقل وراي وهيبة وعزم وجود. (ابن العماد، شذرات الذهب، جـ٥، ص٢٨٥).

(٧) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١٦.

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١٦. ويروي الذهبي ان تاج الدين بن الصلايا كانت بينه وبين صاحب الموصل منافسة، ولما استولى هولاكو على العراق، يقال: ان بدر الدين لؤلؤ قال له: هذا شريف

وظل أرقيونوين يحاصر القلعة مدة دون أن يتمكن من الإستيلاء عليها وذلك لبسالة المدافعين عنها، مما إضطر القائد المغولي الى طلب المعونة من بدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل، أحد المتعاونين الكبار مع هولاكو في تقديم التسهيلات للحملة، فأرسل له في البداية عدداً من جنوده[٢]. ومع ذلك فشل أرقيونوين في اقتحام قلعة المدينة ولم يجد هولاكو بداً من الأخذ بمشورة بدر الدين لؤلؤ الذي أشار بها على قائده أرقيونوين، ونصحه فيها بوجوب أن يدع هولاكو المباشرة بهذا العمل حتى الصيف، لأن الأكراد في هذا الفصل من السنة يفرون من الحر، ويلجأون للجبال، فيما لا يسمح الوقت حينئذ بالهجوم لأن الجو معتدل، والمدافعين عن القلعة يمتلكون ذخائر وافرة، والقلعة غاية في الإحكام فلا يتيسر فتحها إلا بالحيلة والتدبير[٣]. وهو ما عمل به هولاكو عندما عهد بمهمة فتح القلعة الى بدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل نفسه، الذي تمكن من هدم أسوارها والإستيلاء عليها[٤]. وفي المقابل كافأ هولاكو للؤلؤ عمله هذا، بأن فوض إليه حكم المدينة مقابل سبعين ألف دينار يدفعها سنوياً للديوان[٥].

إن النجاح الذي حققه هولاكو بأحتلال عاصمة العباسيين، والقضاء على الخلافة نفسها بعد أن دامت أكثر من خمسة قرون، يعد من الوقائع المهمة ليس في تاريخ الإسلام فحسب، بل في عموم التأريخ الإنساني، وأهم إنجازات هولاكو العسكرية على الإطلاق، فقد قاد قوة وثنية قادمة من دار الحرب، على وفق المفهوم الفقهي الإسلامي، تمكنت أن تبسط سيطرتها على عاصمة الإسلام لأول مرة، مع ما رافق ذلك من فضائع وأهوال يصعب وصفها، حتى أصبح مجرد إسم هذا القائد المغولي يثير حالة من الرعب والفزع في النفوس.

علوي ونفسه تحدثه بالخلافة، ولو قام لتبعه الناس، واستفحل امره، فقتله هولاكو بالقرب من تبريز. (دول الاسلام، جـ١، ص١٨١).

(٢) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١٦.

(٣) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧١٦.

(٤) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧١٦.

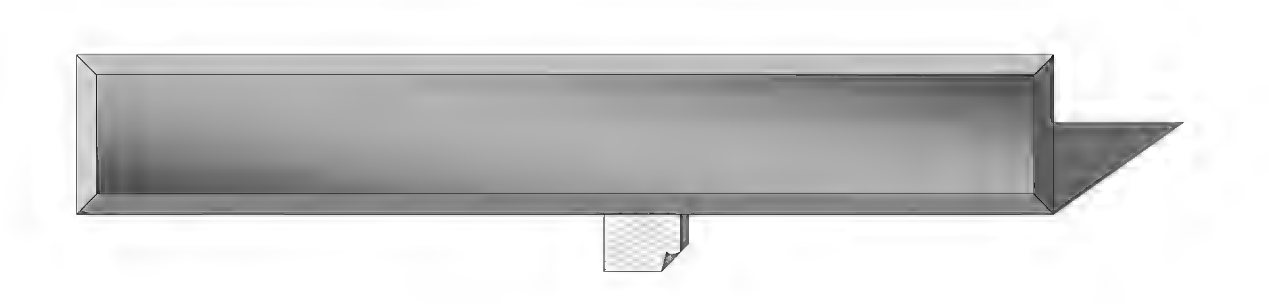
(٥) ابن العبري، تاريخ الدول السرياني، ص١٣٤.

غير إننا عند قياسنا لمدى كفاءة النجاح الذي حققه هولاكو على الدولة العباسية من الناحية العسكرية البحتة، نجد جملة من العوامل سهلت له كثيراً تحقيق هذا الإنجاز، وذلك طبقاً للحقائق الثابتة التالية:

(١) لو أمعنا النظر في الإستعدادات الهائلة، في العدة والعتاد التي هيأها قاآن المغول الأعظم لتجهيز حملة هولاكو، نجد من الصعوبة على الخلافة العباسية حينئذ بجيشها المتواضع الهزيل أن تقوى على الوقوف في وجه هذا القائد لمدة طويلة. لذلك بدت مسألة سقوط الأسرة العباسية الحاكمة في بغداد أمراً طبيعياً، سواء كان قائد الحملة هولاكو، أم غيره من قادة المغول.

(٢) ولو ألقينا نظرة على جيش الخلافة و الجيش المغولي الغازي، لوجدنا أن العدد الذي إنبرى للدفاع عن الخلافة العباسية من الحكام المسلمين يكاد يكون معدوماً، في حين إنضوى كثير من هولاء الحكام في صفوف المغول، من أمثال حكام كرمان وفارس ويزد ولورستان والموصل وسلاجقة الروم.

(٣) كانت الخلافة العباسية نفسها متداعية، وتعاني مصاعب شتى، ومشاكل عديدة، أهمها ضعف شخصية الخليفة المستعصم بالله، الذي لم يكن بمستوى الأحداث، والشلل الذي كان قد أصاب جهازها الإداري، بسبب النزاع والخصام الدائمين بين كبار أعضاء هذا الجهاز. في حين لعبت الخيانات دورها في خدمة هولاكو، بما فيها إنضمام قادة كبار من جيش الخلافة العباسية الى القوات الغازية من أمثال أيبك الحلبي وسيف الدين قليج وغيرهما.



حملة هولاكو العسكرية على الجزيرة[1] وبلاد الشام ومصر

كانت هذه الحملة في أهدافها مكملة للعمل الذي أتمه هولاكو خان في كل من إيران والعراق، لأنها واحدة من ثلاث حملات أمر القا آن الأعظم القيام بها، وأقرها مجلس القوريلتاي المغولي[2]. وقد تم تنفيذ القسم الخاص بأسماعيلية إيران وعباسيي العراق بنجاح، وما بقي منها هو تنفيذ الجزء الخاص ببلاد الشام ومصر، حيث كان في دست الحكم كل من الأيوبيين[3]، ممثلين بشخص السلطان الناصر يوسف (٦٤٠-٦٥٩هـ/١٢٤٢-١٢٦١م)، أبرز أمراء الأسرة الأيوبية في بلاد الشام[4]، والمماليك البحرية يمثلهم الملك المظفر قطز[5]. بينما كانت الجزيرة تضم عدداً من القلاع والمدن بيد ملوك من الأراتقة وفروع من البيت الأيوبي.

---

(١) الجزيرة: بلاد تشتمل على ديار بكر ومضر وربيعة، وقد سميت جزيرة لانها كانت تقع بين دجلة والفرات، ومن مدنها حران والرها والرقة وسنجار وماردين وآمد وميافارقين. (ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، جـ١، ص٣٣١-ص٣٣٢).

(٢) الجويني، تاريخ جهانكشاي،جـ٣، ص٩٠؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا،جـ٥،ص٢٢٩.

(٣) اكتسب حكم هذه الاسرة شرعيته، عندما وصل تقليد الخلافة لصلاح الدين الايوبي بالسلطنة ببلاد مصر والشام وذلك في سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م. وقد حقق صلاح الدين كثيراً من الانتصارات العسكرية على الصليبيين، كان اهمها انتصاره في معركة حطين عام ٥٨٣هت/١١٨٧م، حيث استطاع تحرير بيت المقدس ومعظم البلاد الداخلية والساحلية لبلاد الشام. وعند وفاته في سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م توارث ابناؤه واخوه حكم البلاد. انظر: ابن الاثير، الكامل، جـ٩، ص١٣٣؛ ابو شامة، ذيل الروضتين، ص٦٠؛ القزاز، الحياة السياسية، ص٨٦-ص٨٧.

(٤) هو السلطان الناصر يوسف بن محمد بن غازي بن صلاح الدين بن أيوب بن شادي تولى حكم بلاد الشام (دمشق وحلب) سنة٦٤٠هـ/١٢٤٢م، وقتل على يد هولاكو في سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م. (ابو شامة، ذيل الروضتين، ص٢١١). وعن سيرته انظر: مرتضى حسن النقيب، السلطان الناصر يوسف الايوبي والغزو المغولي لبلاد الشام، مجلة الاستاذ، ع١٨ (بغداد، ٢٠٠٠) ص٣٩-ص٨٠.

(٥) تولى السلطنة بعد خلع الملك المنصور بن الملك معزايبك في السابع عشر من ذي القعدة سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٩م، بعد ان جمع الامراء والاعيان، واخبرهم ان المنصور هذا صبي لا يحسن التدبير في مثل هذا الوقت الصعب، وانه لابد من رجل يقوم للجهاد ضد التتار، فنصبوه هو سلطاناً بدلاً عنه. وقد وصف بانهكان شجاعاً، حازماً، له اليد البيضاء في جهاد التتار، معروفاً بالصرامة والاقدام. انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١٣، ص٢١٦؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ٧، ص٥٥؛ ابن العماد، شذرات الذهب، جـ٥، ص٢٩٣.

أما السبب المباشر للحملة على بلاد الشام، فهو الخلاف الذي نشب بين الأمراء الأيوبيين في معسكر السلطان الناصر يوسف حول الموقف من المغول، وهجومهم المرتقب على بلاد الشام(١)، وربما كان هناك جانب من التحريض المسيحي لشن الحملة(٢)، نظراً للكراهية التي يكنها ملك الأرمن هيثوم للحكم الأيوبي في بلاد الشام. أما مصر فكانت قد إنفصلت عن جسم الأيوبيين، وأقام فيها الأمراء حكماً، بأسم الدولة المملوكية البحرية، ولكنها كانت مستهدفة من قبل هولاكو كذلك، لأن هدفه النهائي كان يتمثل بأجتياح أهم ما تبقى من دار الإسلام.

إحتلال هولاكو لبلاد الجزيرة والشام

بعد عشرين شهراً من إحتلال هولاكوخان لعاصمة العباسيين، كان قد إنشغل خلالها بترتيب الإدارة للدولة الجديدة التي أقامها بنفسه، تحرك من أذربيجان على رأس جيش كبير في الثاني والعشرين من رمضان سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٩م لتقرير مصير بلاد الشام(٣).

كانت بلاد الشام عند إقتراب جيش هولاكوخان منها في حوزة ست فروع من أسرة الأيوبيين، تحكم دمشق وحلب وميافارقين وحصن كيفا والكرك وحماة، وكان الشقاق والتناحر قائماً بين هذه الأسر، إلا أن السلطان الناصر يوسف صاحب حلب ودمشق كان من أقوى هؤلاء الحكام قوة وإقتداراً، ويعد بمثابة سلطان الشام جميعها(٤)، وعلى العكس تماماً من الخلافة العباسية، كانت السلطنة الأيوبية في عهده تمتلك جيشاً قوياً، غير أن السلطان نفسه، كان ضعيف الأرادة، لا يعرف غير اللهو ومجالس الشعر(٥). والأهم أنه لم يكن راغباً في حرب المغول، ويميل الى مهادنتهم، بعكس أمرائه، الذين كانوا يريدون مواجهة المغول في حالة عبورهم نهر الفرات صوب الشام، لكونهم يخشون الإبادة، مثل ما

---

(١) ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص١٦٢.

(٢) الصياد، المغول، ص٢٩١؛

Grousset,L'Empiredes Steppes, p. 434.

(٣) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١٤.

(٤) مرتضى النقيب، السلطان الناصر يوسف الايوبي، مجلة الاستاذ، ص٦٥.

(٥) ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص١٦٢.

حل بالبيوتات الحاكمة الأخرى على يد هولاكوخان. وقد زاد من إهتزاز موقف الأيوبيين أنهم كانوا على خلاف مع المماليك البحرية في مصر، الذين كانوا قد إنفصلوا تواً عن جسم الدولة الأيوبية مكونين حكم المماليك أو الدولة المملوكية الأولى.

من هنا يمكننا الإستنتاج أن الناصر يوسف يحمل صفات مشتركة مع الخليفة العباسي المستعصم بالله، من حيث أن الأثنين يتحملان مسئولية ضياع حكم البيت الذي ينتسبان إليه، المستعصم في زوال حكم العباسيين، وتصفية البيت العباسي، والناصر يوسف في مسئولية ضياع حكم البيت الأيوبي وتصفية السلطنة الأيوبية.

تشير المصادر الى أن السلطان الناصر يوسف كان يحتفظ بعلاقات جيدة مع المغول منذ سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م، فالمعلومات المتوفرة ضمن أحداث السنة المذكورة تؤكد أنه كان يسَّير الرسل الى نائب الإمبراطور المغولي في إيران وبلاد الروم (بايجونوين) بالهدايا والتحف كل سنة[١]، ثم توجت هذه العلاقات بحصوله على اليرليغ والبايزة إقراراً بقبول تبعيته لسيادة المغول[٢]. إلا أنه في أثناء إنتقال نيابة هذا الإقليم من بايجونوين الى هولاكو تراجع الناصر عن إتباع هذا المسلك، فقد نسب الى هولاكوخان قوله: ((إن الملك الناصر يوسف كان يسَّير لبايجو التحف والهدايا، وهو غلامنا، ونحن منذ وصلنا ما سَيَّر لنا رسولاً ولا هدية))[٣]. وهذا الموقف أثار غضب هولاكو عليه[٤]. ولما أحس الناصر بخطر إنتقام هولاكوخان منه سعى لأرضائه، ففي سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م أرسل الهدايا والتحف بصحبة ولده الملك العزيز ضمن سفارة مكونة من ثلاث شخصيات بزعامة الوزير زين الدين الحافظي[٥] أحد كبار رجال الادارة الحلبية[٦]، الذي إحتفظ سراً على ما يقال بتبعيته للايلخان، وألتقت السفارة بهولاكو يوم التاسع عشر من ربيع الاول سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م[١] حيث جرى فيها الإتفاق مع الوزير الحافظي على تهيئة الوضع الداخلي

---

(١) ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص١٦٣.

(٢) المصدر نفسه، ص١٦٣.

(٣) المصدر نفسه، ص١٦٣؛ المقريزي، السلوك، جـ١، ص٥١١.

(٤) ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص١٦٧.

(٥) هو زين الدين سليمان بن المؤيد بن عامر العقرباوي (ت٦٦٢هـ/١٢٦٣م)، يروي الكتبي انه انفرد بهولاكو وحرضه على غزو بلاد الشام، وانه مستعد لتقديم المساعدة له (عيون التواريخ، جـ٢٠، ص٣٠٠).

(٦) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، جـ١، ص٤٥.

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١٥.

لمجيء هولاكو الى الشام حسب زعم بعض المصادر[٢]. ومع ذلك فأن هذه السفارة لم تبدد شكوك هولاكو بأخلاص الناصر له، ففي محاورته مع زين الدين الحافظي، سأله عن سبب تردد الناصر بالقدوم بنفسه، وبأرسال إبنه بدلاً عنه[٣]. وفي الوقت نفسه حّمله رسالة كتبها نصير الدين الطوسي[٤]، يأمره بضرورة المجئ إليه وتقديم الطاعة[٥].

ولما كان السلطان الناصر في موقف شديد الحرج بسبب إستنكار أمراء الشام لخطوته تلك، فقد تراجع عن مهادنة هولاكو، ورد على رسالة هولاكو تلك برسالة شديدة اللهجة لا تخلو من الشتائم، وقد إرتأى المؤرخ إبن العميد أن تلك الرسالة هي الذريعة التي كان هولاكو خان ينتظرها لتسويغ غزوه للبلاد[٦].

لم تكن ستراتيجية هولاكو الحربية لأحتلال بلاد الشام تختلف عن تلك التي إستخدمها من قبل ضد طائفة الإسماعيلية ودولة الخلافة العباسية، فقد قسم جيشه الى أقسام عديدة على النظام التقليدي المألوف لتشكيلات الجيش المغولي، تولى بنفسه قيادة الجزء الأكبر منه، وعهد الى قادته الذين سبق وإن ساهموا في القضاء على طائفة الإسماعيلية وإحتلال بغداد، باستثناء امراء مغول القبجاق الذين توترت علاقة هولاكو ببلادهم، قيادة أقسام الجيش الأخرى، فتولى بايجونوين وسنقر قيادة الجناح الأيمن، وسونجاق قيادة الجناح الأيسر، وعهد الى المخضرم كتبغانوين قيادة القوة الإستطلاعية[٧].

وكلف القوة التي ساهمت بها إمارة الموصل بقيادة الملك الصالح بن بدر الدين لؤلؤ بالتوجه الى فتح آمد[١]، وعززت تلك القوات بأنضمام قوات عسكرية من الأرمن بقيادة الملك هيثوم الى صفوفها[٢].

---

(٢) الكتبي، عيون التواريخ،جـ٢،ص٣٠٠.

(٣) ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص١٦٨.

(٤) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١٥.

(٥) ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص١٦٨.

(٦) المصدر نفسه، ص١٧١.

(٧) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١٩.

(١) كان هولاكو أرسل الى بدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل قائلاً له: ((ان سنك قد جاوزت التسعين ولذلك اعفيناك من السير معنا. ولكن عليك ان تبعث بابنك الملك الصالح مع الرايات الغازية لفتح ديار الشام ومصر)). فسير بدر الدين ابنه حسب الاوامر الصادرة اليه، ولما وصل الملك الصالح الى معسكر هولاكوخان، منحه ابنه السلطان خوارزمشاه ليتزوج منها. (المصدر نفسه، جـ٢، ص٧١٨-ص٧١٩).

كان هدف هولاكو من تقسيم الجيش هذه المرة هو تقطيع أوصال البلاد الشامية، وفصل مدنها عن بعضها البعض ومحاصرتها في آن واحد، والحد من حركة جيوشها وإجبارها على الانكفاء داخل تلك المدن. وعلى نحو ما فعل هولاكو مع ركن الدين خورشاه مقدم الطائفة الإسماعيلية والخليفة العباسي المستعصم بالله، فقد لجأ للمناورة والخداع من خلال سلسلة من المراسلات مع السلطان الناصر يوسف، وأمراء الأسرة الأيوبية الأخرين الذين يحكمون المدن الشامية بهدف ترهيبهم وإجبارهم على الإذعان لمطالبيه، المتمثلة بقبوله سيداً على بلاد الشام، والتعاون معه من أجل إقرار إدارة جديدة للبلاد، وفي تقديم المعونة الى حملته المرتقبة على مصر ضد المماليك. غير أن رسائله لم تجد لها صدى عند حكام الشام هذه المرة، بعد أن رأوا النكبات التي حلت بالبيوتات الحاكمة في معظم بلدان الخلافة الشرقية على يديه.

سار هولاكوخان على رأس جيشه في أواخر شهر رمضان ٦٥٧هـ/١٢٥٩م صوب الأتاغ[٣]، ومنها تحرك بأتجاه خلاط في جبال هكاري، مصدراً أوامره بقتل جميع الأكراد الذين وجدهم فيها[٤].ثم بلغ دياربكر وأحتل الجزيرة أولاً[٥]. وفي الوقت نفسه وجه أبنه يشموت ومساعديه أيلكانوين وسونتاي الى إمارة ميافارقين، التي يحكمها الملك الكامل أحد أمراء البيت الأيوبي الأشداء[٦].

وكان من بين ما أخذه هولاكو عليه أنهقتل قسيساً يعقوبياً يحمل البايزة المغولي[١]، وأنه أوغر صدر الناصر يوسف عليه عندما حثه بضرورة أرسال نجدة من السلطان نفسه الى الخليفة العباسي المستعصم بالله أثناء تقدم جيوش المغول صوب بغداد[٢].

أما القوات المغولية فأنها ما إن إقتربت من مدينة ميافارقين أواخر سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٩م حتى أرسل يشموت ين هولاكو الى الملك الكامل رسالة يدعوه فيها الى التسليم والدخول في الطاعة[٣]. غير أن الملك الكامل رد عليه بأنه لن ينخدع بالوعود

---

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ٧، ص٦٢.

(٣) اعجبته مراعيهاواعطاها اسماً مغولياً فسماها (لبنا ساغوت). (رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١٩).

(٤) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧١٩.

(٥) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧١٩.

(٦) المصدر نفسه،جـ٢،ص٧١٩.

(1) Grousset, L’Empire des Steppes, p. 434.

(٢) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٣، ص٧٢٧.

(٣) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧٢٥.

الكاذبة لهولاكو، على نحو ما ورد عند رشيد الدين: ((ينبغي أن لا يضرب الأمير في حديد بارد، ولا يتوقع الشيء المستحيل، إذ لا يوثق بوعدكم، وأنني لن أنخدع بكلامكم المعسول، ولن أخشى جيش المغول، وسأضرب بالسيف مادامت حياً . إذ كيف أثق بأبن رجل نكث العهد والميثاق مع خورشاه والخليفة وحسام الدين عكه وتاج الدين أربل. وقد جاء الملك ناصر الدين خصيصاً بأمانكم فرأى في نهاية الأمر ما رأى وسوف أرى أنا أيضاً ما سبق أن رأوه))[٤]. ويفسر لنا هذا الرد سبب صمود المدن الشامية لمدة طويلة بوجه جيوش هولاكو، على خلاف مدن إيران والعراق، لان حكام الشام والجزيرة أصبحوا مقتنعين تماماً بأن وعود الأمان التي كان هولاكو يقطعها لأعدائه ليس لها الحد الادنى من المصداقية.

وفي مقابل هذا الرد، قام الجيش المغولي ببناء سور حول ميافارقين، وحفروا خندقاً عميقاً لمنع التسلل أو وصول النجدات إليها، ثم قاموا بنصب المجانيق من حولها[٥]. يروي مؤرخ المغول رشيد الدين، أنه لما بدأ القتال دافع المحاصرون عن مدينتهم ببسالة منقطعة النظير[٦]. وحين ابلغ هولاكوخان بمدى شدة المقاومة، أرسل قوة تعزيزية بقيادة أرقيونوين[١]، ومع ذلك فشل المغول في إحتلال المدينة. ولم يجدوا أمامهم من سبيل سوى وقف القتال، والإكتفاء بالحصار حيث منعوا الناس من الدخول والخروج وقد دام حصار ميافارقين مدة تقارب السنتين[٢]، الأمر الذي أدى الى نفاذ المؤن وإنتشار الوباء، مما نجم عنه هلاك أكثر سكان المدينة، وعندما إستطاع المغول دخولها أخيراً، وجدوا أن معظم سكانها قد ماتوا بأستثناء سبعين شخصاً[٣].

واما فيما يخص الملك الكامل فقد قبض عليه قسراً، وأرسله يشموت الى أبيه هولاكوخان، الذي كان يتوق شوقاً للأنتقام منه، فما أن رآه حتى أخذ يعدد له مواقفه

---

(٤) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧٢٦.

(٥) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧٢٧؛ ابو الفداء، المختصر، جـ٣، ص١٩٦؛ عجمي الجنابي، المقاومة العربية، ص١٧٢.

(٦) جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٢٧.

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٢٧. ويخبرنا الجوزجاني ان هولاكو أرسل الى ابنه يشموت من يعنفه بشدة لعجزه عن نيل الظفر، وطلب منه ان يبقى بعيداً عن نظره، والا فانه سيقتله. انظر:
Tabakat-Nasiri, vol.2, pp.1270-1271.

(٢) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٢٧؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٣٨٣.

(٣) رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ٢، ص٧٢٧.

المعادية للمغول[٤] مختتماً حديثه بالقول: ((ألم يعطف عليك أخي(منكوقاآن) ويشملك برعايته، ومنحك فرماناً أنت وأهلك وأتباعك، فهل يكون جزاءه العصيان)). وعلى نحو ما أشتهر به هولاكو في معاملة أعدائه، أمر بقتله بطريقة بشعة دونتها المصادر لنا[٥]. وفي أثناء محاصرة ميافارقين كان هولاكو خان قد إستكمل إحتلال مدن الجزيرة الباقية، نصيبين[٦] وحران والرها[٧]، وأباد أهالي سروج[٨] عن بكرة أبيهم بسبب مقاومتهم لجيشه[٩] ثم إحتل البيرة[١٠] قبل أن يعبر نهر الفرات على ثلاثة جسور أقامها عليه[١١].

وبعد ذلك إستولى على منبج[١] وسفك دماء أهلها جميعاً[٢]. إن سقوط ميافارقين أثار قضية معالجة وإحتلال قلعة ماردين[٣] المجاورة لها التي كان يحكمها أحد الأراتقة الكبار بأسم الملك السعيد أيلغازي[٤].

وبالأسلوب المتبع من قبل، فعند إقتراب الجيش المغولي من المدينة، بعث القائد أرقيونوين برسالة من هولاكو الى الملك السعيد يطلب منه فيها الحضور الى الاردو وإعلان الطاعة[٥] غير أن الملك السعيد ساورته الشكوك من نية هولاكو، وبدلاً من الخروج بنفسه أجزل الهدايا بصحبة وفد توجه الى هولاكو برئاسة أبنه الملك المظفر قرأ أرسلان، وبمعيته

---

(٤) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧٢٧.

(٥) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧٢٧؛ ابن الوردي، تتمة المختصر في اخبار البشر، جـ٢، ص٢٠٥-ص٢٠٦.وقد سبق الحديث عن تفاصيل ذلك في الفصل الاول، ص٤٨.

(٦) نصيبين: احدى مدن الجزيرة على جادة القوافل من الموصل الى الشام. (ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، جـ٣،ص١٢١٩).

(٧) الرها: مدينة بالجزيرة فوق حران بينهما ست فراسخ. (المصدر نفسه،مراصد الاطلاع،جـ٢،ص٦٤٤).

(٨) سروج: بلدة قريبة من حران من ديار مضر. (المصدر نفسه،جـ٢،ص٧١٠).

(٩) رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ٢،ص٧٢٨.

(١٠) البيرة: من بلدان الجزيرة لها رستاق وقرى.(ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، جـ١،ص٢٤٠-٢٤١).

(١١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،جـ٧،ص٧٥.

(١) منبج: بلد قديم وواسع، بينه وبين الفرات ثلاث فراسخ والى حلب عشرة فراسخ. (ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع،جـ٣،ص١٣١٦).

(٢) المقريزي، السلوك،جـ١،ص٥٠٦.

(٣) ماردين: قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة. (ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع،جـ٣،ص١٢١٩).

(٤) هو الملك السعيد ايلغازي بن المنصور ارتق بن ايلغازي بن البي بن تمر تاش بن ايلغازي بن ارتاق. انظر: المقريزي، السلوك،جـ١،ص٤٩١.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ٧، ص٥٤.

القاضي مهذب الدين بن محمد (بن مجلي) والأمير سابق الدين بلبان، ومع الوفد رسالة تتضمن إعتذار الملك السعيد من الحضور بنفسه لكونه مريضاً [٦]. إلا أن هولاكو رفض أعذار الملك السعيد قائلاً : ((ليس مرضه بصحيح، وإنما هو يتمارض مخافة الملك الناصر صاحب الشام، فأذا إنتصرت عليه أعتذر لي بزيادة المرض، وأن أنتصر علي كانت له اليد البيضاء عنده))[٧]. وعليه لم يسمح هولاكو لأعضاء السفارة بالعودة، بأستثناء شخص واحد منهم كلف بنقل مضمون تلك الرسالة[٨]. ويبدو أن الملك السعيد عرف الشر الذي كان يضمره له هولاكو، فرد عليه برسالة أشد لهجة من رسالته سلمت الى أرقيونوين قائد المغول الذي يحاصر المدينة، نقل رشيد الدين فحواها ((كنت قد عزمت على الطاعة والحضور الى الملك، ولكن حيث أنكم قد عاهدتم الأخرين، ثم قتلتوهم بعد أن إطمأنوا الى عهدكم وأمانكم، فأني الآن لا أثق بكم. وإن القلعة – بحمد الله تعالى مشحونة بالذخائر والأسلحة، ومليئة برجال الترك وشجعان الكرد))[١]. وبموجب هذا الرد أمر هولاكو قائده أرقيونوين بأحكام الحصار على المدينة، ونصب المجانيق من حولها[٢].غير ان ماردين صمدت في وجه الجيش المغولي لمدة ثمانية أشهر، ولم تسقط، إلا بعد أن قتل الملك السعيد بصورة غامضة[٣]، سلم بعدها إبنه مظفرالدين قلعة المدينة للقوات المغولية[٤].

ثم تقدم هولاكوخان بعد عبوره نهر الفرات، على رأس جيش كبير مدعوماً بقوات غير مغولية من الأرمن والجورجيين مستهدفاً مدينة حلب التي وصل مشارفها في الثاني من صفر سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م[٥]. وعلى نحو ما فعل مع الحكام السابقين، فقد أرسل الى الملك المعظم تورانشاه بن صلاح الدين يوسف، الذي كان يحكم المدينة نيابة عن إبن أخيه

---

(٦) المصدر نفسه، النجوم الزاهرة، جـ٧، ص٥٤.

(٧) المصدر نفسه، جـ٧، ص٥٤.

(٨) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٢٨.

(١) جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٢٨.

(٢) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، جـ٣، ق٢، ص٥٦٠–ص٥٦١؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان، جـ١، ص٣٤٣.

(٣) تذكر المصادر الشامية الى انه مات ميتة طبيعية، بينما يذكر رشيد الدين ان احد ابناء الملك السعيد الذي كان يثني اباه عن المقاومة ويحثه على التسليم، ولم يفلح في ذلك قام بالتخلص من ابيه وسلم قلعة المدينة للقوات الغازية ،فعينه هولاكو والياً على المدينة بدلاً عن ابيه. (جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٢٨).

(٤) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧٢٨، ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، جـ٥، ص٢٦١.

(٥) ابو شامة، ذيل الروضتين، ص٢٠٣، الدواداري، كنز الدرر، جـ٨، ص٤٦.

الناصر يوسف[٦]، يطلب منه تسليم المدينة مقابل حفظ حياته وحياة أتباعه[٧]. غير أن تورانشاه لم يجبه الى طلبه وصمم على المقاومة، كما رفض إقتراح المغول بتعيين شحنة لهم في حلب، قائلاً: ((ليس لكم عندنا غير السيف))[٨]. ويفهم من المصادر العربية أن تورانشاه لم يكتف بذلك، بل خرج على رأس الجيش الحلبي لملاقاة جيش المغول خارج المدينة، وإصطدم بالقوات الغازية في موضع شمال المدينة يسمى جبل ناقوسا[٩]. إلا أن الغلبة كانت لجيش هولاكوخان، والذي يبدو أنه قام بمناورة تستهدف جر المتحصنين في المدينة الى خارجها، من خلال التراجع أمام الجيش الحلبي أول الأمر، إلا أنهم نصبوا كميناً للقوات المندفعة خلفهم، وعندما تعقب جيش تورانشاه قوات المغول المتراجعة، خرج عليه الكمين، والحق خسائر فادحة بالجيش الحلبي، الذي أضطر الى الإنسحاب والأنكفاء داخل المدينة والإحتماء خلف أسوارها[١].

وقد وصف النويري تلك المعركة بالقول ((فأكمن التتر كميناً عند الباب المعروف بباب الله قريب من مدينة حلب من شمالها، وألتقوا وأقتتلوا ... فأندفع التتر بين يدي العسكر الحلبي وتبعهم العسكر حتى خرجوا من البلد، ثم عطفوا عليهم))[٢]. ولم يختلف أسلوب هولاكو في مهاجمة المدن الشامية عن الأسلوب الذي إستخدمه في إجتياح مدن الجزيرة، فقد أمر هولاكو قواته بتطويق حلب من جهاتها الأربع، بعد تراجع الجيش الحلبي الى داخلها، اذ اتخذ كل من أرقيونوين مكانه عند بوابة اليهود، وكتبغانوين عند باب الروم وسونجاق عند باب دمشق. أما هولاكو فكان يقود الجيش المغولي من جهة باب أنطاكية[٣].

كذلك أمر هولاكو بتشييد الأسوار حول المدينة من أجل إحكام الحصار حولها، والإيعاز بنصب عشرين منجنيقاً على مشارف المدينة، صبت حممها بشكل متواصل، مما

---

(٦) ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، جـ٣، ص١٩٩؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ٧، ص٧٤.

(٧) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١٩.

(٨) ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، جـ٣، ص٢٠٠-ص٢٠١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١٣، ص٢١٨.

(٩) النويري، نهاية الارب، جـ٢٧، ص٢٨٦؛ المقريزي، السلوك، جـ١، ص٥١١.

(١) النويري، نهاية الارب، جـ٢٧، ص٣٨٦؛ المقريزي، السلوك، جـ١، ص٥١١؛ الذهبي، العبر، جـ٥، ص٢٣٨؛ عجمي االجنابي، المقاومة العربية، ص١٨٠.

(٢) نهاية الارب، جـ٢٧، ص٣٨٦.

(٣) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١٩.

أجبر المدينة على التسليم في التاسع من صفر سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م بعد حصار دام سبعة أيام[٤].

والحقيقة أن حلب لاقت معاملة قاسية لم تشهدها مدن الشام الأخرى، فقد تم إستباحة المدينة لسبعة أيام، بعد أن أعطى هولاكو أهلها الأمان الوهمي الذي يقدمه عادة[٥]، فأمتلئت طرقاتها بالقتلى، وخربت فيها الجوامع والمساجد والبيوت[٦]، حتى أن إبن كثير شبه ما حدث للمدينة تماماً بمثل ما جرى على أهل بغداد[٧]. أما الملك المعظم تورانشاه، فأن هولاكو لم يمسه بسوء لكبر سن، وحدث أن توفي بعد ذلك بأيام قليلة[٨].

اما قلعة المدينة المسماة حارم فقد صمدت[١] في وجه جيوش هولاكوخان لمدة ثلاثين يوماً من تاريخ سقوط حلب، ولم يستطع هولاكو من إخضاعها إلا بالغدر والحيلة، فقد تفاوض مع المدافعين عنها، وأعطاهم الأمان، وقبل بشرطهم بأن يتولى قلعتهم فخر الدين المعروف بالساقي، مقابل تسليم القلعة له. إلا أنه كما هو معروف عنه، فما أن تمكن من القلعة، حتى نكث عهده، وأمر بقتل فخر الدين الساقي أولاً، ثم إستأصل جميع من كان في القلعة، دون أدنى شقة، ولم يستثن من ذلك سوى صائغاً أرمنياً[٢].

وأمام هذه المجازر الرهيبة لم يعد أمام مدن حماة والمعرة وحمص ودمشق سوى التسليم طوعاً بيد هولاكو[٣].

وعلى أثر إحتلال دمشق سمح هولاكو، كما حدث من قبل في بغداد، للنصارى بالأنتقام من المسلمين فنظموا مواكب عامة ينشدون فيها الأناشيد ويحملون الصلبان، ويجبرون المسلمين على أن يقوموا إحتراماً لها. ويروي أبو شامة، الذي شاهد بنفسه أعمال المغول، أن التحدي بلغ بهم الى حد التظاهر بالخمر في نهار رمضان ورشوه على ثياب

---

(٤) ابو شامة، ذيل الروضتين، ص٢٠٣؛ المقريزي، السلوك، جـ١، ص٥١١.

(٥) ابو شامة، ذيل الروضتين، ص٢٠٣.

(٦) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، جـ١، ص٨٩؛ نصر الله فلسفي، هشت مقالة تاريخي وادبي (طهران ١٣٣٠هـ.ش)، ص١١٣.

(٧) البداية والنهاية، جـ١٣، ص٢١٨.

(٨) المقريزي، السلوك، جـ١، ص٥١١.

(١) حارم: حصن حصين وكورة جليلة تجاه انطاكية من اعمال حلب. (ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، جـ١، ص٣٧١).

(٢) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١٩–ص٧٢٠.

(٣) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، جـ١، ص٨٩؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ٧، ص٧٠–٨٢.

المسلمين في الطرقات، ولما شكى المسلمون من تلك الأفعال الى كتبغا، نائب هولاكو في بلاد الشام، لم يحفل بهم، بل أهانهم وضرب بعضهم، ولقيت الأعتداءات عليهم تشجيعاً من قبل شحنته أيل سيان[٤].

شكل هولاكوخان إدارة جديدة لبلاد الشام حلت محل الأيوبيين، مكونة من كتبغانوين حاكم البلاد كنائب عن الايلخان[٥]، والشحنة المغولي أيل سيان[٦]، وعدد من الشخصيات الأيوبية المتعاونة، ومن بين هؤلاء الملك الأشرف موسى، سليل أسرة الملك أسد الدين شيركوه ملك حمص الذي كان وقتئذ يملك فقط قرية تل باشر الصغيرة قرب الرها، فكافأه هولاكو على ولائه للمغول، وذلك بأن رد عليه حمص التي كان الناصر يوسف قد إنتزعها منه في سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٨م وزاد من سلطاته[١]. وفي الوقت نفسه عين كمال الدين عمر بن البندار التفليسي على القضاء[٢]، وكلف مهمة رئاسة دمشق الى زين الدين الحافظي، الذي تعاون مع المغول منذ البدايات الأولى لأهتمام هولاكو في بلاد الشام[٣].

لقد بقي الجيش المغولي في بلاد الشام مدة تزيد عن سبعة أشهر إمتدت من أواخر محرم الى الخامس والعشرين من رمضان سنة٦٥٨هـ/١٢٦٠م، وهو التأريخ الذي حدثت به هزيمة المغول أمام المماليك في معركة عين جالوت[٤].

أما هولاكو شخصياً فكان قد غادر بلاد الشام قبل هذا التأريخ، إذ ورد في المصادر أن وفداً بشخص سنكتورنوين قدم من مقر الإمبراطورية في قراقوم يحمل له خبر وفاة أخيه ألقاأن،فعزم فوراً على العودة لوطنه منغولياً للمشاركة في مناقشات القوريلتاي، بأمل أن يتبوأ منصب ألقاآن بدلاً عن أخيه الراحل، غير أنه ما إن سمع بأن أخاه الثاني قوبيلاي قد تولى العرش المغولي حتى عدل عن مسيره، وعاد الى العاصمة الأيلخانية مراغة[٤].

---

(٤) ذيل الروضتين، ص٢٠٧.

(٥) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٢٢.

(٦) صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، تحفة ذوي الالباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب، ق٢، تحقيق احسان بنت سعيد خلوصي وزهير حمدان الصمصام (دمشق: مطبوعات وزارة الثقافة، ١٩٧٤)، ص١٦٢.

(١) المقريزي، السلوك، جـ١، ص٥٢٠.

(٢) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، جـ١، ص٣٥٠؛ علاء محمود خليل، المغول في الموصل والجزيرة، ص١٤٦.

(٣) ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص١٧٣.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ٧، ص٩٠.

(٤) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٣٠.

واما بشان مصير السلطان الناصر يوسف، أكبر الأمراء الأيوبيين في بلاد الشام، فالذي نعرفه عنه أنه لم يشارك في الحرب، بل فضل أن يتنقل شريداً، ويختبئ من موضع الى أخر حتى وقت وقوعه في أسر جيش هولاكو بفضل أحد المتعاونين مع المغول، الطبردار حسين الكردي زيري[٥]، وذلك في الثالث والعشرين من شوال سنة٦٥٨هـ/١٢٦٠م. نقل بعدها الناصر الى مقر الأيلخان هولاكو في تبريز للمحاكمة. ومع أن هولاكو أحسن في البداية معاملته، إذ تشير بعض الروايات الى أن هولاكو وعده بأن يكون نائباً عنه في بلاد الشام ومصر. غير أنه بعد مضي خمسة أشهر، غير من معاملته هذه، وأمر بوضع حد لحياته مع من كان معه من الأيوبيين[٦]. ويعزو أبو الفداء موقف هولاكو هذا من الناصر الى غضبه من كسرة عسكره في عين جالوت ومقتل أبرز قادة جيشه كتبغانوين فيها، بمساعدة من قوات الناصر التي إنضمت تحت قيادة المماليك[١].

هـزيمة جيش هولاكـو
في معـركـة عين جـالـوت أمـام المـماليـك

كان أخر أهداف حملة هولاكو العسكرية هو إحتلال مصر حسب التفويض الممنوح له من قبل القوريلتاي المغولي. وبعد إستكماله إحتلال معظم مدن بلاد الشام عزم على التقدم صوب مصر، وأمر القائد بايدار أن يكون قائداً لقوة الأستطلاع المغولية[٢]. وفي أثناء ذلكبعث رسولاً مغولياً الى سلطان مصر المظفر قطز برسالة يطلب منه فيها التسليم، ويتوعده بالويل والندامة إن رفض ذلك: ((إن الله تعالى قد رفع شأن جنكيزخان وأسرته، ومنحنا ممالك الأرض برمتها، وكل من يتمرد علينا، ويعصي أمرنا، يقضى عليه مع نسائه وأبنائه وأقاربه والمتصلين به، وبلاده ورعاياه كما بلغ ذلك أسماع الجميع ... فأذا

---

(٥) ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص١٧٦؛ الذهبي، العبر في خبر من عبر، جـ٣، ص٢٩٧.

(٦) المقريزي، السلوك، جـ١، ص٥٣٩.

(١) المختصر في اخبار البشر، جـ٣، ص٢١١؛ وعن مقتله انظر: مرتضى حسن النقيب، السلطان الناصر يوسف الايوبي، مجلة الاستاذ، ع١٨، ص٣٩-ص٨٠.

(٢) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٢٣.

كنت مطيعاً كخدم حضرتنا فأرسل إلينا (الجزية)[٣] وأقدم بنفسك، وأطلب الشحنة، وإلا فكن مستعداً للقتال))[٤].

غير أن دور هولاكو في المعركة المنتظرة ضد الحكام المماليك في مصر لم يتحقق في طريقه المرسوم له، فسرعان ما وصلته الأخبار من قراقورم بوفاة أخيه منكوقاآن الأعظم،فأضطر الى تعيين كتبغانوين نائباً عنه في بلاد الشام، وقائداً للقوات المغولية فيها، وعاد الى وطنه عن طريق خلاط[٥].

أما رد المماليك الذي جاء على لسان السلطان المظفر قطز، فقد أظهر وحدة كلمتهم، والقرار على مواجهة جيش المغول والتصدي له مهما كانت التضحيات[١]، ولاسيما ان الظروف أصبحت ملائمة تماماً لجيش المماليك، بعد أن بقيت مع كتبغا قوة لاتزيد عن عشرة ألاف رجل، بعد رحيل هولاكو بمعظم الجيش المغولي. وللتأكيد على عزمه المضي قدماً بالمواجهة، أمر السلطان قطز بقتل رسل المغول جميعهم[٢]، والدخول بمفاوضات مع صليبي الساحل للسماح لهم بالمرور الى شمال فلسطين[٣].

كانت الخطة التي وضعها قطز لمواجهة جيش المغول، تتلخص في أن يبادر قائد البحرية بيبرس البندقداري[٤] بالزحف بقوته نحو بلاد الشام، ليستطلع أخبار المغول ومعرفة

---

(٣) ربما المقصود بها (التكشميشي) وهي الهدايا التي تقدم من التابع لسيده عند المغول.

(٤) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٢٠.

(٥) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧٢٠.

(١) وينسب لاحد الامراء، وهو ناصر الدين قيمري قوله: ((ان هولاكوخان فضلاً عن انه حفيد جنكيزخان، وابن تولوي، وأخو منكوقاآن، فان شهرته وهيبته في غنى عن الشرح والبيان، وان البلاد الممتدة من تخوم الصين الى باب مصر، كلها في قبضته الان... فلو ذهبنا اليه لطلب الامان، فليس في ذلك عيب او عار. ولكن تناول السم بخداع النفس، واستقبال الموت، أمران بعيدان عن حكم العقل. انه ليس بالانسان الذي يطمئن اليه، فهو لايتورع عن احتراز الرؤوس، وهو لا يفي بعهده وميثاقه، فانه قتل فجأة خورشاه والخليفة وحسام الدين عكة، وصاحب اربل بعد ان اعطاهم العهد والميثاق. فاذا ماسرنا اليه، فسيكون مصيرنا هذا السبيل. (رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٢١–ص٧٢٢).

(٢) المصدر نفسه، جـ١، ص٧٢٢.

(٣) المقريزي، السلوك، جـ١، ص٥٣١.

(٤) وهو ركن الدين بيبرس البند قداري، تولى سلطنة المماليك، بعد ان قام بالتعاون مع عدد من الامراء البحرية بقتل السلطان المظفر قطز في الخامس عشر من ذي القعدة سنة ٦٥٨هـ/الخامس والعشرين من تشرين الاول/١٢٦٠م. انظر: ابو شامة، ذيل الروضتين، ص٢٠٧–ص٢٠٨، ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١٣، ص٢٢١؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ٧، ص٨٣.

خططهم[٥]. وهذا الشيء لم يحدث من قبل، فقد كان جميع أمراء المدن التي إجتاحتها جيوش المغول بقيادة هولاكو، يكتفون بتقوية الحصون، والدفاع من وراء الأسوار، دون أن ينتبهوا الى أنهم قد أوقعوا أنفسهم في فخ أعد لهم من قبل هولاكو[٦].

غير أن بايدار قائد قوة المغول الإستطلاعية تنبه الى ذلك، وأرسل الى قائده الأعلى كتبغانوين يخبره بتحرك جيش المماليك نحوه، فرد عليه كتبغا قائلاً : قف مكانك وأنتظر[١]. وفي هذه الأثناء لم يعط القائد المملوكي بيبرس للمغول فرصة ترتيب أوضاعهم، عندما إقتحم مدينة غزة، وإنتزعها منهم قبل وصول كتبغانوين إليها في رمضان سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م[٢]. وفي الوقت ذاته فأن القوة الرئيسة للمماليك بقيادة السلطان قطز كانت قد تحركت في الخامس عشر من شعبان سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م بأتجاه الصالحية قرب السويس لأكمال تحشدها هناك، ثم سلكت الطريق الساحلي، حتى وصلت الى عكا، التي يحكمها الفرنج المتعاونون مع السلطان قطز[٣]. ثم إتجهت شرقاً عبر الجليل عن طريق الناصرة[٤]. وقد أقدم السلطان المظفر قطز الى خدعة حربية ناجحة، فأخفى معظم جيشه في الأحراش المحيطة بعين جالوت بين بيسان ونابلس[٥]، وترك مقدمة الجيش بقيادة بيبرس تتوجه وحدها بأتجاه قوات كتبغا. ويبدو واضحاً أن السلطان قطز إختار منطقة عين جالوت لتكون المكان المناسب لملاقاة المغول. وفعلاً بدأت المعركة الفاصلة بين الجانبين في اليوم الخامس والعشرين من رمضان سنة٦٥٨ هـ/أيلول ١٢٦٠ [٦]، ومع أن قوات كتبغانوين استطاعت أن تهزم الجناح الأيسر للجيش المملوكي أول الامر، لكن مقدم

---

(٥) المقريزي، السلوك، جـ١، ص٥٢٨؛ عجمي الجنابي، المقاومة العربية، ص١٩٦.

(٦) الصياد، المغول، ص٣٠٦.

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٢٢؛ الصياد، المغول، ص٣٠٦.

(٢) المقريزي، السلوك، جـ١، ص٥٣١؛ عماد عبد السلام رؤوف، معركة عين جالوت (بغداد: مركز البحوث والمعلومات، ١٩٨٦)، ص٣٢-ص٣٣.

(٣) المقريزي، السلوك، جـ١، ص٥٣١.

(٤) المصدر نفسه، جـ١، ص٥٣١. والناصرة مدينة بالشام بالقرب من بحيرة طبرية. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٥، ص٢٧٧).

(٥) ابو الفداء، المختصر، جـ٣، ص٢٠٥.

(٦) المقريزي، السلوك، جـ١، ص٥٣١؛ محمد بن احمد أياس (ت٩٣٠هـ/١٥٢٣م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ط١ (القاهرة، ١٣١١هـ)، جـ١، ص٩٧.

المماليك البحرية ببيبرس البندقداري تمكن من طليعة المغول المندفعة خلف قواته بشكل سريع، من خلال الإنسحاب أمامها، وإستدراجها الى منطقة معدة للقتل، والإحاطة بها من قبل قوات المماليك، وسرعان ما ألحق بها هزيمة نكراء، بما فيها مقتل كتبغا وأحد أبنائه[٧]. ولم ينج سوى القائد بايدار، وقلة من جنوده، وكذلك شحنة دمشق أيل سيان الذي نقل أخبار الهزيمة الى سيده الأيلخان هولاكو شخصياً في مراغة[١].

وليس من الصعوبة الإستنتاج أن غياب هولاكو شخصياً عن قيادة جيشه في هذه المعركة كان له أثر مباشر في إضعاف معنويات جنوده، على الرغم من شهرة نائبه كتبغانوين، وأدى الى تلك الهزيمة المنكرة. فضلاً عن عوامل أخرى تمثلت بصغر حجم القوة المغولية التي شاركت في المعركة، والإنهاك الشديد الذي تعرضت له القوات المغولية في بلاد الشام بسبب المقاومة المستميتة التي لقيتها من بعض المدن والقلاع مثل ميافارقين وماردين وقلعة حارم. وفي حين أن المغول إعتادوا منذ بدء حملتهم على بلاد المسلمين أن يبادروا للهجوم، ويفرضوا على أعدائهم القتال بطريقة الدفاع الثابت في مدنهم وقلاعهم، لم يكن يتوقعوا أن يخرج عدوهم لملاقاتهم في مناطق مكشوفة، على وفق خطة مرسومة، فأدى ذلك الى تلك الهزيمة النكراء.

وبموجب هذا الإنتصار للمماليك أنتفضت المدن الشامية على حامياتها المغولية، التي لم تعد لها قائمة الواحدة بعد الأخرى، ومن ضمنها الإدارة المغولية في دمشق، فيما أصدر قطز أوامره بقتل كل من تعاون مع المغول من الملوك الأيوبيين وفي مقدمتهم مسؤول الإدارة المغولية عن الجانب الأيوبي الملك السعيد بن تورانشاه وغيره من الأمراء[٢].

الحرب ضد مغول القبجاق

---

(٧) يروي رشيد الدين ان كتبغا بعد ان اسر رد على تعنيف السلطان المظفر قطز له بالقول: حين يبلغ هولاكو نبأ مقتلي، سوف يغلي بحر غضبه وستطأ سنابك خيل المغول البلاد من اذربيجان حتى ديار مصر ... ان لهولاكو ثلاثمئة فارس مثل كتبغا. فافرض انه نقص واحد منهم ... اني كنت عبداً للملك ما حييت، ولست مثلك ماكراً وغادراً . ولما قتل وبلغ نبأ ذلك الى هولاكو قال: اين أجد خادماً آخر مثله يبدي مثل هذه النوايا الطيبة، والعبودية في ساعة هلاكه. (جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٢٠).

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٢٢؛ أكرم حسن العلبي، معارك المغول الكبرى في بلاد الشام، ط١، (بغداد: دار المأمون، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ص٧٥.

(٢) ابو شامة، ذيل الروضتين، ص٢٠٨.

لم يكن العمل العسكري الذي قامت به جيوش الأيلخانيين في عهد هولاكو، ضد مغول القبجاق مقرراً ضمن خطة القوريلتاي، لأن الأسرتين كانتا تشكلان منذ وقت طويل تحالفاً تقليدياً في مواجهة بيوتات الأسرة الجنكيزخانية الأخرى، في الصراع على السلطة والنفوذ. وقد ساهم مغول القبجاق في حملة هولاكو العسكرية على المشرق الإسلامي، بوحدة عسكرية قادها ثلاثة من أمراء الأسرة يترأسهم بلغايي[١]. إلا أن النزاع سرعان ما دب بين الطرفين عقب وفاة منكوقاآن إمبراطور المغول الأعظم في سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م[٢]. ويورد المؤرخون أسباباً مختلفة للخلاف بين هولاكو وابن عمه بركة خان[٣] زعيم مغول القبجاق. غير أن ما يرويه رشيد الدين على لسان هولاكو قوله عن بركة خان: ((ولو أنه كبير الأسرة وسيدها، إلا أنه لا يرعى الحياء والخجل، ويخاطبني بتهديد وعنف، وأني لن أحابيه بعد هذا))[٤]، يؤكد نية هولاكو الواضحة في إثارة المشاكل مع أبناء عمومته، ولم يمض وقت طويل حتى أكد هولاكو أقواله بالأفعال، عندما أمربقتل ثلاثة من أمراء أسرة جوجي، وهم بلغايي وتوتار وقولي، اللذين لم يشفع لهم معه سجلهم في خوض معركة إجتياح بغداد[٥].

أما الأسباب الأخرى للنزاع، فقد عزاها بعض المؤرخين للخلاف الديني بينهما، بحيث عد الصراع وكأنه خلاف بين هولاكو الوثني، وبركة خان المسلم الذي أظهر غيرة

---

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٨٦.

(٢) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧٢٠.

(٣) هو بركة بن جوجي بن جنكيزخان، تولى حكم القبيلة الذهبية في القبجاق بعد وفاة كل من اخيه باتو في سنة ٦٥٣هـ/١٢٥٥م، وابن اخيه سرتاق الذي كان في بلاط منكوقاآن عند وفاة ابيه، فاصدر القاآن مرسوماً بتعيينه بعد ابيه باتو، لكنه توفي في السنة نفسها في طريق عودته لبلاده. وكان بركةخان اول أمير مغولي من اسرة جنكيزخان يعتنق الاسلام. انظر: بارتولد، بركةخان، دائرة المعارف الاسلامية، جـ٢، ص٥٦٤- ص٥٦٨؛

Howorth, op.cit., vol.2, p.112-116.

(٤) جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٣١.

(٥) اتهم بلغابي من قبل هولاكو بممارسة السحر، وارسله الى بركةخان زعيم مغول القبجاق، غير ان بركة خان رفض الاعتراف به كمذنب، واعاده الى هولاكو الذي اقام باحالته للمحاكمة، وصدر عليه حكم بالاعدام في سنة ٦٦٠هـ/١٢٦٢م. اما الاميران الاخران فقد ماتا مسمومين في نفس السنة. (المصدر نفسه، جـ٢، ص٧٣١).

على الإسلام، وبالأخص في مسألة قتل هولاكو للخليفة المستعصم بالله[٦]، ومساندته للمماليك في مواجهة أبناء عمومته الأيلخانيين[٧].

ويبدو لنا أن العوامل السياسية هي التي أججت المشاكل بين الطرفين، أكثر من أية دوافع شخصية أو دينية أخرى، وفي مقدمتها أن خلفاء جوجي شعروا بأن بلادهم أصبحت مهددة من تأسيس آل تولوي دولة لهم بقيادة هولاكو في بلاد فارس، وزاد من حدة النزاع امتناع هولاكو عن تقديم خمس الغنائم التي حصل عليها، والتي كان جنكيزخان قد قررها لأسرة جوجي[١].

وينقل لنا رشيد الدين سبباً أخر تمثل في إعتبار هولاكو بلاد أذربيجان وآران جزءاً من أيلخانيته، في الوقت الذي كان أحفاد جوجي يطالبون بها بأعتبارها جزءاً من اليورت الخاص بجدهم، طبقاً لحق الفاتح الذي أقرته ألياسا الجنكيزخانية[٢].

ومن الأسباب المباشرة هو التنافس الذي حدث بين أبناء تولوي على زعامة الإمبراطورية المغولية، فبينما ساند هولاكو أخاه الأكبر قوبيلاي في معركة العرش. نجد أن بركة خان قد أنحاز الى أريق بوقا أخ هولاكو الأصغر، وأعترف بقاآنيته وضرب أسمه على سكة نقوده[٣].

ومهما يكن، فقد بدأت الحرب بين الطرفين في شتاءسنة ٦٦٠هـ/١٢٦٢م عندما عبرت جيوش القبجاق بقيادة نوقاي مضيق دربند، وعسكرت في منطقة شيروان الأيلخانية[٤]، وباغتت قوات الأيلخانيين المتمركزة في منطقة الأتاغ[٥]. ولم يكن أمام هولاكو سوى أن يوعز الى إثنين من كبار قادته، بقيادة وحدتين عسكريتين للتصدي لجيوش بركة

---

(٦) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧٣١؛ ابن ابي الفضائل، النهج السديد، ص٤٤٥.

(٧) وصاف، تاريخ وصاف،ص٣٩٨؛ القزاز، الحياة السياسية، ص٤٥٠؛
Howorth, op.cit.,vol.3, p.115.

(١) وصاف، تاريخ وصاف، ص٣٩٨؛ القزاز، الحياة السياسية، ص٤٥٠.

(٢) جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٣٣.

(٣) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧٣٣؛
Howorth, op.cit., vol.2, pp.112-116.

(٤) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٣٣.

(٥) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧٣٣؛
Howorth, op.cit., vol.2, pp.112-116.



خان على وجه السرعة، القوة الأولى بقيادة شيرامون[٦]، والقوة الثانية كان يقودها آباتاي بمعاونة قائد أخر أسمه سمغاي[٧]، الى حين توليه شخصياً قيادة جيش الايلخانيين. وعلى الرغم من هزيمة قوة شيرامون، فأن القوة الثانية التي يقودها أباتاي إستطاعت أن توقف تقدم مغول القبجاق، ومن ثم ألحقت بها هزيمة ساحقة عند مدينة شماخي[1]. وكان الإندحار السريع لقوات بركة خان، جعل هولاكو يغير من خططه، ويرسل إبنه أباقا نيابة عنه لمطاردة جيوش القبجاق المتراجعة للقضاء عليها[٢].

إستطاع أباقا وبمساعدة تسعة من كبار قادة الإيلخانيين[٣]، من تحقيق أنتصار سريع على قوات بركة خان المنسحبة أمامه، وعبر نهر ترك، وأستولى على خيام أبناء عمومته في العاصمة سراي، وعاث فيها فساداً لمدة ثلاثة أيام[٤]. لكن هذا النصر سرعان ما تحول الى هزيمة شنيعة، حينما وصل بركة خان على رأس جيش كبير في سنة ٦٦٠هـ/ الثالث عشر من كانون الثاني/ ١٢٦٢، وحاصرت قوات الإيلخانيين وقضت عليها، بحيث لم يستطع أباقا من عمل شيء سوى النجاة بنفسه مع قلة من جنوده، بينما سقط الأخرون من بقية أفراد جيشه، أما قتلى بيد أبناء عمومتهم، او غرقى في نهر ترك الذي أنهار جليده تحت أقدامهم من شدة هروبهم[٥].

وكان لهذه الهزيمة وقعاً كبيراً على نفسية هولاكو، ولا سيما أنها أعقبت هزيمة جيشه أمام المماليك، حلفاء القبجاق في معركة عين جالوت بوقت قصير، فلم يجد ما يشفي غليل حقده، سوى إصدار الأوامر بقتل جميع تجار بلاد القبجاق الذين كانوا متواجدين في بلاده[٦].

---

[٦] شيرامون هو ابن القائد المغولي الشهير جرماغون الذي حكم بلاد الروم من الناحية العسكرية قبيل حملة هولاكو. انظر:
Howorth, op.cit., vol.2, p.116.

[7] Ibid,p.116.

[1] Howorth, op.cit.vol.2.p.116.

[٢] رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٣٣.

[٣] وهم شيرامون، اباتاي، توران بهادر، باتو، سالجداي، جاغان، بيلارغو، قدسون، وايلكانوين. انظر:
Howorth, op.cit.vol.2.p.116.

[٤] رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٣٣.

[٥] المصدر نفسه، جـ٢، ص٧٣٤.

[٦] المصدر نفسه، جـ٢، ص٧٣٤؛ بارتولد، بركةخان، دائرة المعارف الاسلامية، جـ٢، ص٥٦٤-ص٥٦٨؛ القزاز، الحياة السياسية، ص٤٥١.

والخلاصة ان هولاكو أستطاع من خلال اندفاعه صوب إيران والعراق وبلاد الشام ان ينجز في مدة اربع سنوات تقويض معظم الكيانات السياسية في المشرق الاسلامي، وان ينهي حكم العباسيين في بغداد، وقد اثمرت عملياته العسكرية تلك عن قيام دولة مغولية واسعة تمتد من نهر جيحون حتى بلاد الشام.

ولكن ما مدى اهمية وقيمة العمل العسكري الذي قام به ونتائجه، ودور هولاكو الشخصي في تحقيقه؟.ان عمل هولاكو يعد إنجازاً كبيراً على وفق الاعتبارات العسكرية والسياسية العامة، فقد تمكن بشكل مدهش من القضاء على طائفة الاسماعيلية في شمال إيران قضاءاً نهائياً ، ومن هذه الوجهة يعد هذا عملاً كبيراً ، اذا عرفنا ان جميع من سبقه من سلاطين وملوك وأتابكة القوى المجاورة لهذه الطائفة اخفقوا في تحقيق هذه المهمة المبتغاة، لمناعة قلاع الاسماعيلية وشراسة المدافعين عنها، الذين كانوا شوكة قوية في جنب تلك القوى، ولم يحدث لمدة تزيد عن قرن ونصف ان استطاع أحد من هؤلاء ان يقوم بعمل عسكري ناجح ضد زعماء الاسماعيلية مثلما تحقق لهولاكو شخصياً .

أما الاهمية الاكثر وضوحاً لعمل هولاكو العسكري، التي تجعل منه ظاهرة حقيقية في التأريخ، فيتمثل بأحتلال عاصمة العباسيين، والقضاء على البيت العباسي الحاكم، الذي كان ينظر له على انه قائم في الأمر الى يوم الدين، فلم يحدث من قبل ان حاول أحد من الحكام القضاء على نظام الخلافة الذي استمر منذ عهد الخلفاء الراشدين، فبالرغم من التدخلات الكبيرة في حكومات الخلافة التي تعاقبت من قبل، وفي عزل وقتل الخلفاء وتعيين آخرين عوضاً عنهم، الا ان عمل هولاكو تميز بأنه أول من قام بالغاء الخلافة الغاءًتاماً ، لأنه لم يكن



كسابقيه يعترف بمجرد السيطرة عليها والتلاعب بخلفائها. وهذا في حقيقة الامر الواقع، يعد ذروة التدخل المغولي في العالم الاسلامي معنوياً، ولايرقى اليه حتى عمل جده جنكيزخان المتمثل بالقضاء على الدولة الخوارزمية، ولو كان هولاكو كمن سبقه من الحكام كالبويهيين والسلاجقة ابقى الخلافة على وضعها، ولما حصل على كل هذا التهويل والشهرة.

أما اجتياحه لبلاد الشام، فقد مكّنه من القضاء على الايوبيين الذين حكموا البلاد لأكثر من ثمانية عقود، والوصول بالمد المغولي التوسعي الى اقصى حد له في غرب آسيا، ولكن دون أتمام هذه المهمة بنجاح بشكل حاسم.

والى جانب ذلك، فأن ما نتج عن هذه الحملة من قتل وإبادة وتخريب، واحتزاز رؤوس معظم حكام البيوتات المناوئة، وضع أسم هولاكو من بين أسماء أشهر العتاة في التاريخ.

غير أن أي تقويم لأسباب هذا النجاح العسكري ومدى علاقته بشخصية هولاكو ينبغي ان يضع في إطار موازين القوى التي كانت سائدة حينئذٍ، والمتمثلة بالقوة الجبارة التي كان يتمتع بها المغول، وعلى خلاف ذلك، الضعف والانحلال الذي كانت تعاني منه الحكومات الاسلامية.

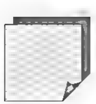
وفي ضوء ذلك، فأن أي دراسة تحليلية لما أنجزه هولاكو من الوجهة العسكرية البحتة، لا تفصح ان كان يتمتع بقدرات قتالية حقيقية أم لا، لأن ما تحقق له من انتصارات كان ضد أعداء ليسوا بانداد له، الا ان الجانب المعنوي اعطاها هذا الصدى الهائل، فعند النظر للمقارنة المعقودة بين القدرات العسكرية للجيش الذي قاده هولاكو، وبين ما توفر لاعدائه يظهر لنا بوضوح ان الدول والامارات التي اجتاحها هولاكو لم تكن جميعها مؤهلة لمواجهة تحديات مثل تلك التي جاء بها الغزو المغولي، فالاستعدادات والتجهيزات الهائلة التي قامت بها السلطات المغولية لتجهيز حملة هولاكو من الرجال والعدة والعتاد، الى جانب الطاعة التامة التي شلعت في الجيش جنداً وقادةً، والسمعة المخيفة لمنظومة العمل العسكري المغولية القائمة على القتل والابادة، يجعل من المستحيل على اقوى تلك القوى الاسلامية آنذاك، بما فيها دولة الخلافة بامكانياتها المتواضعة أن

تفلح في الوقوف بوجه الغزو المغولي وتصده الى اعقابه، سواء كان هولاكو في قيادة الحملة أم دونه من قادة المغول الآخرين، والأستثناء من ذلك النظام السياسي الجديد للمماليك، الذي كان يشابه في نظمه العسكرية اسلوب وطريقة المغول أنفسهم. غير أن قدرات هولاكو القتالية لم تجرب في مواجهتهم، بسبب عدم توليه قيادة الحرب عليهم بنفسه.

وللتدليل على صحة ذلك نشير الى ان الطائفة الاسماعلية في شمال إيران استسلمت لهولاكو دون قتال حقيقي. وفيما يخص دولة الخلافة العباسية، فهي لم تعد كما كانت في عصورها الاولى، ولاتزيد عن دولة صغيرة تمتد من حدود تكريت شمالاً الى الأحواز جنوباً، فضلاً عن مشاكلها المتفاقمة، مثل إفتقارها الى جيش نظامي يقوده الخليفة شخصياً، الى ضعف آخر الخلفاء العباسيين المستعصم بالله، والشلل الذي كان قد أصاب الجهاز الاداري للدولة بسبب التنازع الدائم بين رجال البلاط. فيما كانت دولة الايوبيين وأسرها المتناحرة في بلاد الشام تلفظ أنفاسها الأخيرة لصالح المماليك الذين يحكمون مصر. هذه من جملة العوامل التي مكّنت هولاكو من تحقيق هذا النجاح الباهر.

ولكن على الرغم من هذا التحليل الاولي للحقائق، الا ان هذا لا يقلل من شأن هولاكو كقائد مغولي يتمتع بكل قابليات التخطيط والستراتيجية في شؤون الحرب والمناورة وفرض الحصار على المدن، ولاشك ان عمق بصيرته وموهبته السياسية أدت دوراً بارزاً في الاعمال الكبيرة التي انجزت تحت قيادته، فقد كان قبل ان يبدأ مباشرة عمله العسكري، يخضع أعدائه لعامل التاثير النفسي، وأحباط عزيمتهم، وثنيهم عن المقاومة من خلال رسائل الترغيب والترهيب التي يرسلها لهم، والتي تقودهم في النهاية الى التبعية واقرار سيادة المغول عليهم، هذا من جانب. ومن جانب آخر، فأنه بالرغم من ان الاسلوبه العسكري الذي اتبعه لم يكن مبتكراً، وانما كان استمراراً لمنظومة العمل العسكري المغولية المعتمدة منذ ايام جنكيزخان. الا ان التنظيم الدقيق القائم على اصول فن الحرب، يدل على معرفته التامة بآلة الحرب المغولية، وأدراك واسع لأسرار القتال.

كانـت السـمة البـارزة فـي كـل خططـه العسـكرية التـي تميـز بهـا فـي جميـع المعـارك التـي خاضـها، سـواء ضـد الاسـماعيلية ام الخلافـة العباسـية او فـي بـلاد الشـام، علـى الـرغم مـن اختـلاف تلـك القـوى مـن حيـث القـوة والظـروف، هـو تجنبـه عـن عمـد خـوض معركـة حاسـمة فـي مواجهـة أعدائـه، واللجـوء بـدلاً مـن ذلـك الـى أسـلوب تقسـيم الجـيش المغـولي الـى أقسـام عديـدة، يتـولى بنفسـه قيـادة القـوة الرئيسـية(الـغ قـول)، فـي مواجهـة النقطـة المـراد أخضـاعها، فيمـا تتـولى بقيـة الاقسـام القيـام بـالتطويق وفـرض الحصـار وقطـع أوصـال الـبلاد المـراد أحتلالهـا. وبهـذا الأسـلوب أسـتطاع هولاكـو مـن فـرض أسـلوب الحـرب الخـاص بـه علـى أعدائـه، مـن خـلال أجبـارهم علـى الأنكفـاء داخـل مـدنهم وجـرهم الـى فـخ الـدفاع الثابـت، بينمـا يـوفر لجيشـه حريـة المنـاورة والحركـة. وفيمـا عـدا ذلـك فقـد تبـين ان هولاكـو لـم يكـن يتمتـع بقـدرة القتـال والمواجهـة الفرديـة، فهـو علـى المسـتوى الشخصـي لـم يكـن محاربـاً صـوالاً جـوالاً فـي سـاحة الـوغى، كمـا عـرف عـن قـادة المغـول الكبـار مـن أمثـال جـده جنكيزخان، وأبوه تولوي.





الفصل الرابع

دور هولاكو في تأسيس النظام السياسي والإداري للدولة الايلخانية



ان القاعدة التي تحكم النظم السياسية والادارية بصفة عامة، هي ان المؤسسات السيلسية والادارية تظهر وتنمو عادةً في مراكز الدول ومقر حكوماتها، ثم تنقل بعد ذلك توجيهاتها نحو ولاياتها، ولم يكن النظام السياسي والاداري الذي انشأه هولاكو بمراغة في تبريز استثناء من ذلك. فبعد ان استقر الوضع لصالحه بعد القضاء على الخلافة العباسية، حتى شرع في شعبان سنة/٦٥٦هـ آب/١٢٥٨م يوجه عنايته لادارة البلاد الخاضعة لسلطانه، سواء في العاصمة أو ولايات الاطراف، مستفيداً من ارباب الخبرة من اهل البلاد المحتلة، فوجد في طبقة الوزراء والكتاب ممن يسمون (الصدور) او (البيتكجية) من بقايا أولئك الذين كانوا يشكلون الجهاز الاداري للدولة الخوارزمية، او من اعقاب الوزراء والكتاب للدويلات الاخرى التي قامت في ايران عوناً له. وقد قام هؤلاء بنقل الرسوم الادارية الاسلامية، والنظم التي كانت سائدة في ايران الى ادارة الدولة الجديدة.

ان هذا الفصل يتابع من خلال الاحداث التاريخية الخاصة بعهد هولاكو سمات وخصوصيات النظام السياسي- الاداري الذي استقرت عليه قواعد الحكم والادارة في البلاد، ويحلل المستلزمات السياسية والادارية التي تقوم عليها من مسؤولية الايلخان الممثلة بشخص هولاكو ومراتب المساعدين العسكريين والاداريين، الى متولو المكنة الادارية التي تقوم عليها مراتب الديوان، فضلاً عن الخصوصيات السياسية والادارية للولايات الايلخانية المترامية الاطراف على رأسها ولاية العراق وادارته العسكرية والوحدات الادارية التي يتكون منها، يتبعها بالوصف والتحليل خصوصيات الولايات الاخرى.

وبموجب هذا التحليل فقط يصبح بامكاننا التعميم على قدرات هولاكو السياسية والادارية للمدة التي حكم بها، ومقارنتها بتلك القدرات العسكرية التي اظهرها خلال مدة الغزو المغولي.

واهم ما يمكن ملاحظته في هذا الفصل ان ما قام به هولاكو في السياسة والادارة، لايقل شاناً عما انجزه في حروبه، فقد نجح في اقامة نظام سياسي واداري متكامل في البلا المترامية الاطراف التي اخضعها لسلطته حرباً وسلماً، واضعاً بذلك الاسس لقيام حكم اسرة جديدة، تضاف الى الاسر الجنكيزخانية التي حكمت

الامبراطورية المغولية الواسعة[1]. وقد اثبت النظام الذي اقام عليه صروح دولته كفاءته واستمراريته لما يقرب من سبعين عاماً من وفاته، واستقت معظم الدويلات التي تلت حكم الايلخانيين كثيراً من الاسس التي استند عليها.

إرساء قواعد الدولة الايلخانية وتولي هولاكو مسؤولية الحكم فيها

بعد ان استتب الوضع لصالح هولاكو في كل من ايران والعراق، قام بوضع الاسس لادارة الدولة الناشئة، التي اصبح فيها على رأس السلطة.غير ان المصادر تختلف في تحديد تاريخ دقيق لبداية ممارسة هولاكو لسلطته السياسية باعتباره حاكماً يحمل لقب (الخان)، على البلاد التي خضعت له. ومبعث هذا الاختلاف يعود الى عدم وجود نص محدد يشير الى حدوث اجتماع للقوريلتاي (مجلس الامراء المغول) اقر فيه عملية التنصيب، او وصول اقرار بذلك بتاريخ محدد من قاآن المغول الاعظم. فبينما يرى رشيد الدين ان ذلك حصل في سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م بعد عبوره نهر جيحون، مستنداً في رأيه على نص التفويض الرسمي الذي حصل عليه هولاكو من اخيه منكوقاآن، والذي اعطاه حق حكم البلاد التي يقوم باخضاعها[1]. تؤكد الوقائع التي وردت في مصادر اخرى على ان مباشرة هولاكو لسلطته السياسية الفعلية لم تتم الا بعد عودته من احتلال

---

(1) كانت الامبراطورية المغولية في حدود منتصف القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي تتكون من اربع دول حكم كل واحدة منها فرع من فروع الاسرة الجنكيزخانية، وهي مملكة آل تولوي، ومثلتها حكومة المغول الاصلية في بلاد منغوليا والصين، وكانت اتخذت من قراقورم عاصمة لها ثم انتقلت الى بكين حيث عرفوا هناك باسم أسرة (اليوان) التي استمرت في الحكم حتى سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٢م. ومملكة آل اوكتاي، وقد حكموا منطقة هنغاريا، واجزاء واسعة من اسيا الوسطى، بضمنها تركستان الصينية، وحتى حدود سيبيريا. ومملكة آل جوجي، وقد عرفوا بالقبيلة الذهبية، اومغول القبجاق، وحكمت في مناطق بلغاريا وقازان وبلاد الاوزبك. ومملكة آل جغتاي، وحكمت بلاد ما وراء النهر. انظر: القلقشندي، صبح الاعشى، جـ٤، ص٣١٤؛ زامباور، معجم الانساب والاسرات الحاكمة، جـ٢،ص٣٦٢؛ بارتولد، ايلخانية، دائرة المعارف الاسلامية، جـ٣، ص٢٠٣–ص٢٠٤؛ عماد عبد السلام رؤوف، حكام العراق وموظفوه في العهد الايلخاني، مجلة المؤرخ العربي، العدد ١١ (بغداد، ١٩٧٩)، ص٥٤.

(1) جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٨٨.



بغداد، واتخاذه من مراغة عاصمة لملكه في شعبان سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م[٢].

ان الدولة الايلخانية التي اقامها هولاكو كانت مكونة من ولايات واسعة الارجاء ضمت عناصر سكانية مختلفة، فقد اشتملت على الاقسام التالية: أذربيجان وفيها عاصمة الدولة مراغة بالقرب من تبريز، اقليم خراسان وعاصمته نيسابور، وبلاد الجبل او (العراق العجمي) وعاصمته اصفهان والعراق العربي وعاصمتها بغداد، والجزيرة الفراتية، وعاصمتها الموصل واقاليم اخرى مثل الديلم وطبرستان ومازندران وقومس وقهستان وسجستان[٣]. فضلاً عن الامارات والاتابكيات التي ارتبطت بالدولة الايلخانية بصورة غير مركزية وهي فارس وعاصمتها شيراز، والروم وعاصمته قونيه، وجورجيا وعاصمتها تفليس، وامارات كرمان ويزد ولورستان وشبنكارة[٤]. كما خضعت بلاد الشام لحكم هولاكو لمدة لاتزيد عن سبعة أشهر[٥].

استمد هولاكوخان شرعية حكمه في المناطق التي اقام دولته عليها من تقاليد الياسا المغولية التي تمنح الارض المفتوحة ملكاً لفاتحها[٦]. الا ان تلك الشرعية لا تتطابق مع الواقع الجديد المتمثل بان معظم رعاياه الجدد كانوا من المسلمين، الذين وجدوا انفسهم لاول مرة في تاريخ الاسلام، وجه لوجه امام مشكلة هائلة، فبعد سقوط الخلافة العباسية، ومقتل آخر خلفائها، اصبح المسلمين تحت سلطة حاكم وثني قادم من دار الحرب حسب المفهوم الشرعي الاسلامي. غير ان هولاكو بما تميز به من حس سياسي ممتاز هيأ له معالجة مختلف الظروف التي واجهته بكثير من الحنكة والدهاء، لابد انه ادرك جوهر هذا التناقض، ولكن ليست

---

(٢) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٨٧؛ القزاز، الحياة السياسية، ص١٢٥-ص١٢٦.

(٣) رشيد الدين جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٣٤؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، جـ٥، ص٢٧١؛ خصباك، العراق في عهد المغول الايلخانيين، ص٧٩.

(٤) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٨٨؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، جـ٥، ص٢١٧؛ عباس اقبال، تاريخ المغول، ص٣٨٠-ص٣٩٠؛
Cahen. Claude, Pre-Ottoman Turkey, translated from French by J. J Williams (London, 1968), P. 231.

(٥) المقريزي، السلوك، جـ١، ص٥٠٩-ص٥٣٠.

(٦) بارتولد، تاريخ الترك، ص١٧٢؛ الصياد، المغول، ص١٦٤.

لدينا نصوص نلمس منها بشكل صريح ما يفضي الى محاولته اضفاء الشرعية الاسلامية تسوغ له حكمه لبلاد المسلمين، سوى نص ورد عند ابن الطقطقى، وفحواه:انه لما فتح السلطان هولاكو بغداد في سنة ست وخمسين وستمائة أمر ان يستفتى العلماء ايهما افضل؟ السلطان الكافر العادل ام السلطان المسلم الجائر؟ ثم جمع العلماء بالمستنصرية لذلك، فلما وقفوا على الفتيا أحجموا عن الجواب. وكان رضي الدين علي بن طاووس[1]، حاضراً هذا المجلس، وكان مقدماً محترماً، فلما رأى احجامهم تناول الفتيا ووضع خطه فيها بتفضيل الكافر العادل على المسلم الجائر، فوضع الناس خطوطهم بعده[2]. ومثل هذا النص له دلالته الواضحة في بيان رغبة هولاكو بالحصول على مسوغ يبرر له حكمه لبلاد المسلمين.

وفضلاً عن ذلك يبدو ان هولاكو استعان ببعض المسلمين للعمل على تأكيد شرعية حكمه ووجوب طاعته، فقد ذكر ابن الفوطي ان نصير الدين الطوسي وجه رسالة الى اهل بغداد في سنة ٦٦١هـ/١٢٦٣م والتي بدأت بقوله: ((لقد وقفتم على قوله تعالى: ((وتلك الايام نداولها بين الناس))[3]، ثم بعد ذلك يمجد المغول والتأكيد على رعاية الله لهم في فتوحاتهم[4].

ويبدو ان المعالجة الحقيقية لكيفية تعامل هولاكو مع الدين الاسلامي تتبين بشكل واضح من خلال سياسته إزاء رعاياه المسلمين، فقد اجمعت المصادر التاريخية، حتى المبرأة منها لتهمة الخضوع لتاثير المغول، والتي لا يرقى اليها الشك بحياديتها، انه ترك الناس احراراً يمارسون معتقداتهم وشعائرهم الدينية ما داموا خاضعين لسلطته، هذا من جانب[5]. ومن جانب آخر، يتبين ذلك من خلال الاجراءات التي تبناها فيما يخص المؤسسات التي لها مساس مباشر

---

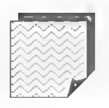
(١) وهو أحد علماء الدين الامامية. عن ترجمته. انظر: مجهول، الحوادث الجامعة، ص٣٥٠، ص٣٥٦.

(٢) الفخري في الاداب السلطانية، ص٢٠.

(٣) سورة ال عمران (الاية ١٤٠).

(٤) تلخيص مجمع الاداب، جـ٤، ق ٣، ص٥٧٦ -٥٧٧ ؛ القزاز، الحياة السياسية، ص٢٨١.

(٥) الحقيقة هذه سياسة مغولية عامة، فقد أكد برصوما أخو ابي الفرج ابن العبري ذلك بقوله: ((ان المغول ... لا فرق عندهم بين العبد والحر والمؤمن والكافر والمسيحي واليهودي، فهم يسوسونهم بصولجان واحد)). انظر: تاريخ الدول السرياني، ص٣٩٨-ص٣٩٩.



بمصالح الرعايا المسلمين، كالادارة المدنية والقضاء والحسبة والوقوف ونقابة الاشراف العلويين ، حيث اصدر اوامره بالمحافظة على استمرارية عمل تلك الوظائف، وابقى رجال الادارة المدنية في مناصبهم، وعين آخرين جلهم من ابناء البلاد الاسلامية[1]. وقد قام هؤلاء بنقل الرسوم الادارية والدينية الى ادارة الدولة الجديدة. ولدينا من النصوص ما يشير الى محاولة هولاكو كسب ود رعاياه المسلمين، فعندما عين العمال وفوض اليهم ادارة البلاد، قبل مغادرته بغداد عائداً الى مراغة سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، طلب منهم الشروع في تعمير ما خرب او احترق من المساجد والربط والمشاهد[2]. ويروي رشيد الدين انه نصب عماد الدين عمر القزويني نائباً للامير (قراتاي) وهو الذي عمر مسجد الخليفة ومشهد الكاظمين[3]. ويؤكد ذلك ابن الفوطي بقوله: ((لما انقذ الله قضاءه وقدره، وقتل الخليفة، وخربت بغداد، واحرق الجامع، وعطلت بيوت العبادات، تداركهم الله بلطفه، فاتاح لهم عناية (عماد الدين) فقدمها وعمر المساجد والمدارس ورمم المشاهد والربط، واجرى الجرايات في وقوفها للعلماء والفقهاء والصوفية، واعاد رونق الاسلام بمدينة السلام، وفض على الائمة الخيرات))[4]. ومن خلال ذلك يتضح ان هولاكو أقام قواعد دولته على تمازج عنصرين؛ الأول هو اعتماد الياسا الجنكيزية كمنهج للنظام السياسي، بما ينسجم مع الاتجاه المغولي العام، وعملاً بنص التفويض الرسمي الذي تلقاه من أخيه القآن، والذي يلزمه باتباع تقاليد جنكيزخان في كل صغيرة وكبيرة من أموره، والعنصر الثاني هو اعتماد التنظيمات الاسلامية السائدة في كل ما يخص رعاياه المسلمين.

وعلى الرغم من ان هولاكو فرض سلطانه على هذه البلاد الواسعة بسلطة غير محدودة على رعاياه (الالوس)، بما فيهم الامراء والقادة المغول الكبار، الا ان الدلائل المتوفرة عن مدة حكمه لا تسمح بالادعاء بانه كان يسعى الى الاستقلال بالبلاد التي كان يحكمها عن جسم الامبراطورية المغولية الام، على العكس من ذلك، يلاحظ انه اعلن تبعيته التامة للقاآنية، وحكم كنائب عنها في البلاد التي

---

(١) خواندمير، تاريخ حبيب السير، جـ٣، ص٦٠–ص٦٢.

(٢) مجهول، الحوادث الجامعة، ص٣٣٣.

(٣) جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١٤.

(٤) تلخيص مجمع الاداب، جـ٤، ق٢، ص٨٠١.

استولى عليها، وهو ما يعنيه مصطلح الخان (نائب الملك)[1]. ونميل للاعتقاد ان موقفه هذا كان رهناً بطموحاته الشخصية بأن يتبوأ عرش القاآنية المغولية نفسها مستقبلاً خلفاً لاخيه منكوقاآن، وعليه كان هولاكوخان يحرص كل الحرص بأن تبقى بلاده جزءاً من اجزاء الامبراطورية المغولية الواسعة، وظلت العلاقات بين هولاكو وبين اخيه القاآن تقوم على الود والطاعة، فقد ارسل الى اخيه جزءاً من الغنائم التي استولى عليها من ممتلكات الاسماعيلية والعباسيين والبلاد الاخرى، واعلامه باستكمال احتلال ايران والعراق، ونيته التوجه الى بلاد الشام ومصر لانتزاعها من حكم الايوبيين والمماليك وضمها الى املاك القاآن[2].

غير ان الظروف الجديدة التي تمثلت بخيبة امله من عدم انتخابه قاآناً، بعد وفاة اخيه منكوقاآن في سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م[3]، والنزاع الذي نشب بين أخويه، قوبيلاي الذي كان على رأس حملة عسكرية كبرى في الصين، والاخ الاصغر اريق بوقا، وارث (يورت) العائلة في قراقورم، اذ تم لاول مرة في تاريخ المغول في عام ٦٥٨هـ/١٢٦٠م انتخاب قاآنين في آن واحد[4]، لا يعترف كل منهما بشرعية الآخر، وتوج هذا الخلاف بصراع عسكري مرير بينهما[5]، ادى ذلك الى ان ينزع هولاكو الى الاستقلال بشكل اكبر بالبلاد التي كان يحكمها، والتطلع لتحقيق أكبر قدر من المكاسب، فاعلن اول الامر عدم انحيازه الى أياً من أخويه، رغم ان أخاه الاصغر اشاع بان هولاكو كان يؤيده في المنافسة، مستفيداً من وجود أحد أبناءه بشخص جومغور بين رجال معسكره[1]،

---

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٢٢؛
Howorth, op. cit., vol.3, p.131.

(٢) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١٧؛
Horoth, op.cit., vol.3, p.131.

(٣) تؤكد المصادر الصينية وفاته في هذه السنة (عام الحية) حسب التقويم الصيني-المغولي. انظر:
Bretschnieder, op.cit., vol.2, p.112.
بينما يجعل رشيد الدين وفاته في سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م بوباء الكوليرا (جامع التواريخ، جـ١، ص٥١٢). الا ان هذا التاريخ غير صحيح على الاطلاق، لانه لايتفق مع الحقائق التاريخية الثابتة.

(٤) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٢٠؛
Howorth, op.cit., vol.3, p.112.

(٥) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٢٠؛
Boyle, C.H. of Iran, vol.5, p.330.

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٧٩-ص٦٨٠.



الا ان واقع الحال يشير الى ان هولاكوخان كان يبحث في تداعيات هذه المنافسة عن مستقبل لنفسه، مبدياً مهارة سياسية تنم عن حسن التصرف والدهاء، فهو لم يظهر تأييده لأي من طرفي النزاع اول الامر، بانتظار ما يسفر عنه، الا ان موقفه تغير لما رجحت كفة اخيه قوبيلاي وبانت ملامح انتصاره،اذ سارع هولاكو الى تاييد مطالبه بأحقيته بالعرش المغولي[٢]. وحقق هولاكو ما كان يأمله من موقفه هذا، فعندما استقرت القاآنية لقوبيلاي سنة ٦٦١هـ/١٢٦٣م، وهزيمة اريق بوقا، فيذكر رشيد الدين ان القاآن المنتصر اصدر يرليغاً يقضي بأقرار هولاكو على البلاد التي يحكمها، واصبح بموجبه اكثر استقلالاً بمملكته، وبشؤون ادارته[٣].

ويمكن ملاحظة تلك الامتيازات الجديدة من خلال التبدل الذي حدث على اشارات النقود الايلخانية التي سكت بعد هذا التاريخ. وحصوله على لقب (الايلخان) التي تعني الخان الكبير أو الرئيس[٤].وقد اصبح هذا اللقب علماً يميز اسرته عن باقي فروع الاسرة الجنكيزخانية طيلة فترة حكمهم اللاحقة.

وبجانب كونه ايلخاناً، فقد ظل هولاكو على رأس السلطة العسكرية، بموجب كونه القائد العام لعسكر المغول الايلخانيين، وان كان يستعين ببعض امرائه وابنائه في قيادة الحملات الفرعية[٥]. ولكن هولاكو على ما يبدو أراد في اوقات السلم، الفصل بين السلطتين السياسية والعسكرية، فنجده يعهد بمنصب (امير الجيوش) لأحد قادته من امراء النوين، وهو كوكاايلكا، الذي استمر في وظيفته الى حين وفاة الايلخان[١].

إختيار مراغة عاصمة للدولة الايلخانية

(٢) المصدر نفسه، جـ١، ص٦٢٠.

(٣) المصدر نفسه، جـ١، ص٦٢٤؛

Howorth, op.cit., vol.3, pp.112-1123.

(٤) مهاب درويش لطفي، الالقاب على المسكوكات الايلخانية، مجلة سومر، ع٢١، ص١٥٨–ص١٥٩، ص١٦١.

(٥) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٢٥، ص٧٢٧، ص٧٣١.

(١) يروي رشيد الدين عند حديثه عن تولية أباقا عرش الدولة الايلخانية، خلفاً لأبيه هولاكو، ان كوكاايلكا بصفته امير الجيوش كان ينفرد بأباقا لكي يطلعه على حقيقة احوال ابيه اثناء مرضه. (جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٣٨).



اتخـذ هولاكـو مـن مدينـة مراغـة عاصـمة لدولتـه، ومقـراً لأدارة الـبلاد المركزيـة[٢]. وكـان اختيـاره لهـا يعـود الـى اعتـدال مناخهـا ووفـرة مراعيهـا[٣]، فضـلاً عـن ان النفـوذ المغـولي قـد ترسـخ فيهـا منـذ ان تـم القضـاء علـى الدولـة الخوارزميـة بشـكل نهـائي[٤]. وقـد امضـى هولاكـو فيهـا معظـم ايـام حكمـه التـي تقـارب السـبع سنوات[٥]. وطـوال مـدة اقامتـه بهـا كـان يتوافـد عليـه امـراء الـبلاد وسـلاطينها ومبعـوثي البلاد المجاورة[٦]. وفيها شيد بعض الابنية والمنشآت

بمعاونـة الصـناع والمهـرة المسـلمين[١]، ومـن بينهـا اصـدار الاوامـر للفلكـي نصـير الـدين الطوسي ببناء مرصد في مكان مناسب من تلك المدينة[٢].

---

(٢) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧٣٤.

(٣) عباس أقبال، تاريخ المغول، ص٢٠٧؛
Spuler, The Muslims World, Part I, P. 125.

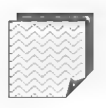
(٤) الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٢، ص١٣٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١٣، ص٩١؛ بارتولد، تركستان، ص٦٢٢.

(٥) بأستثناء بعض الاوقات التي كان يقضيها في مشتى (زرينه رود) الذي يطلق عليه المغول (جغاتو نغاتو). انظر: رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٣٤.

(٦) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧١٤؛ عباس أقبال، تاريخ المغول، ص٢٠٧.

(١) ومن بينها مبنى عالٍ أمر هولاكو ببنائه لحفظ الاموال والنفائس الطائلة التي استولى عليها من خزائن العباسيين. انظر: رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧٩٩؛ عباس أقبال، تاريخ المغول، ص٢٠٦.

(٢) يروي رشيد الدين ان منكوقاآن حين ارسل هولاكو الى ايران، وسمع بشهرة نصير الدين الطوسي طلب منه ان يرسله الى قراقورم لبناء مرصد في منغوليا. ولكن نظراً لأنشغال منكوقاآن في ذلك الوقت بفتح جنوب الصين، فقد رأى هولاكو ان ينفذ هذا الامر في مراغه. ولكن نصير الدين الطوسي ابلغ هولاكو بأن بناء



أما بلاط هولاكو فيبدو انه تميز بكثير من التكلف والفخامة وقيود المراسم[٣]، فيروي أحد مماليك الملك الاشرف صاحب حمص وقد زار بلاط هولاكو في سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م، انه لم يتمكن من مقابلة الخان، الابعد ان مرَّ على اربع من الحجاب[٤].

فضلاً عن ذلك، فان هولاكو كان يحيط نفسه بعدد من الفرسان المغول من رماة السهام وحملة السيوف عملوا كحرس خاص له[٥]. وهناك طائفة كبيرة من الموظفين، من بينهم افراد لأعداد الطعام والشراب (باورجية)، ومشرفين على مراتع الخيل والدواب، وافراد من الايلجية كانت وظيفتهم الاضطلاع بالمهام الشخصية للايلخان[١].وايضاً، فان البلاط الخاص بهولاكو كان يضم عدداً من الاشخاص الآخرين الذين يحضرون مجلسه، كالمنجمين والعلماء واهل الطرب، فيذكر رشيد الدين ان هولاكو كان يزين بلاطه بالعلماء والحكماء[٢]. ويؤكد صاحب الحوادث الجامعة ان هذا السلطان يحب العلماء والفضلاء ويحسن اليهم ويجزي صلاتهم[٣]. وفي هذا الصدد ينقل لنا ابن الفوطي نصوصاً تشير الى عدد من

مرصد وكتابة زيج جديد يحتاج الى قرابة ثلاثين سنة. ولكن نظراً لاصرار هولاكو على تنفيذ هذه المهمة، فقد طلب من الطوسي اتمام المهمة في اثني عشر عاماً . شرع الطوسي في اعداد زيج جديد في سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٩م بالاستعانة بجداول وازياج سابقة. وبالاضافة الى كبار المنجمين والعلماء المسلمين الذين تم استدعاؤهم من كل مكان خصيصاً لهذا الغرض من امثال قطب الدين الشيرازي ومؤيد الدين العرضي الدمشقي وفخر الدين الاخلاطي وغيرهم، فانه تم استدعاء أحد علماء النجوم الصينيين الى مراغة لمساعدتهم في ترتيب التاريخ الصيني والاسلوب الحسابي المعمول به عند الصينيين. ووقع الاختيار على بقعة فوق تل بشمال مراغة لبناء المرصد. وتم وضع كل ادوات الرصد اللازمة التي تم الاستيلاء عليها من بغداد تحت تصرف نصير الدين بأمر من هولاكو، الذي أمر ايضاً بوضع عشر مستغلات الاوقاف لبناء المرصد. استغرق بناء مرصد مراغا اربعة عشر عاماً، ونشر الطوسي نتيجته في كتاب بعنوان (زيج ايلخاني) في عهد اباقاخان . انظر: رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ٢، ص٧١٨؛ المستوفي القزويني، تاريخ كزيده،ص٥٩٠؛ حسن الامين، الاسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي، ص٢٥٠-٢٦٣.

(٣) وكان في اثناء تنقلاته يقيم في خيمة من الطيلسان الاحمر. انظر: السبكي، طبقات الشافعية، جـ٥، ص١١٣.

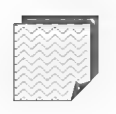
(٤) الدواداري، كنز الدرر، جـ٩، ص٥٣.

(٥) الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٣، ص٩٠.

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٨٦.

(٢) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧٣٤.

(٣) ص٣٥٣.



ندماء الايلخان، حيث ورد ((ان هولاكو قد عين فلك الدين محمد بن ايدمر المستعصمي شحنة على الحكماء الذين يلوذون بحضرته لعمل الكيمياء))[٤]. ونص آخر يفيد ان صفي الدين الارموي كان يغني في مجلس السلطان[٥]. وان فخر الدين ابي سعيد بغدي بن علي بن قشتمر التركي البغدادي صنف كتاباً في البزدرة والبيطرة والصيد والقنص وقدمه لهولاكو عند حضوره بين يديه[٦].

أركان الدولة

فضلاً عن هولاكوخان، رأس السلطة الحاكمة، فقد كان هناك اعلى مراتب دولته وحاشيته، وهم ابنائه وافراد اسرته،وعدد من الامراء المغول ، الذين يسميهم رشيد الدين بـ (أركان الدولة)[٧] والذين اصبح بعضهم نواباً عنه في الولايات المكونة للدولة الايلخانية[٨].

وبجانب شخصية مثل هولاكو يتمتع بسلطة مطلقة، لم يكن بوسع هؤلاء الامراء ان يظهروا، ولو الحد الادنى من المعارضة له. الا انه ترد بعض الاشارات التي تدل على انه كان يشاور هؤلاء الامراء في القضايا والشؤون التي لا يريد البت فيها لوحده[١].

ويأتي بعد الامراء المغول منزلة، كبار قادة الجيش المغولي من طبقة (النوين)[٢]، دون ان نجد في المصادر ما يدل على ان واحداً من بينهم قد حمل لقب (ألغ نوين) أي النوين الاكبر. وكان من امتيازات كلتا هاتين الطبقتين، هو

---

(٤) تلخيص مجمع الآداب، جـ٤، ق٣، ص٥١٣.

(٥) المصدر نفسه، جـ٤، ق٢، ص٤١٢.

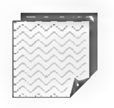
(٦) المصدر نفسه، جـ٤، ق١، ص١٣١–ص١٣٢.

(٧) جامع التواريخ، جـ٢،ص٦٨٩.

(٨) المصدر نفسه، جـ٢،ص٧٣٤.

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢،ص٦٩٦.

(٢) المصدر نفسه، جـ٢،ص٦٩٦.



الاعفاء من الضرائب، واعتبار كل ما يغنموه في الحرب ملكاً لهم، بعد استقطاع حصة الايلخان، وكانوا يدخلون البلاط دون اذن او تصريح، ويتبوأون مكانة رفيعة في الجلسات والاحتفالات التي تقام فيه[٣].

ولم تزودنا المصادر بمعلومات تشير الى ان هولاكو خان قد عين نائباً له، او ولياً للعهد يدير شؤون الحكم في غيابه، ويبدو ان سبب ذلك يعود لتقاليد الياسا التي تعطي القوريلتاي (مجلس الامراء المغولي) حصراً صلاحية اختيار الحاكم الجديد.

صاحب الديوان

وفيما يخص الادارة المدنية، فان اول مظهر من مظاهر التنظيم الاداري الذي رتبه هولاكو لدولته، هو منصب صاحب الديوان الذي اقتبس في تشكيله من الادارة الاسلامية[٤]، ويمثل هذا المنصب نموذجاً على استعانة هولاكو

بابناء البلاد المحتلة لتنظيم شؤون الدولة الناشئة[١]. وقد اطلق المغول على من يتولى هذا المنصب (صاحب ديوان الممالك الايلخاني)، الذي كانت اولى مهامه

(٣) الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ٣،ص١٠٧.

(٤) اتخذت الادارة الاسلامية كلمة ديوان لتدل على سجلات الإيرادات والنفقات، وفيما بعد اطلقت على المكان الذي يعمل فيه ارباب الوظائف المالية، واخيرا اطلقت لتدل على جميع فروع الادارة الاسلامية. انظر:
CI. Huart, Diwan, EI. 1. Vol-2.p.979.

(١) ان التاثير الحضاري الاسلامي الذي تميزت به ادارة هولاكو ليس جديدا، وانما كانت كثير من النظم الادارية الاسلامية معروفة الى حد كبير في بلاد المغول منذ ايام جنكيزخان وخلفائه، حيث كان لنقص الخبرة عند المغول بادارة الممالك، وجهلهم بالنظم والرسوم التي تتعلق بالحساب والسياقة والاستيفاء سبباً في اعتمادهم على ابناء الامم الاخرى ، ومن بينهم المسلمين الذين احتلوا مناصب مهمة في بلاط القاآنات العظام، فقد ذكرت المصادر ان جنكيزخان اعتمد على المسمى محمود يلواج مستشاراً له، وكان قد التحق بخدمته قبل الهجوم على الدولة الخوارزمية، وظل يتمتع بعطف جنكيزخان حتى انه عينه نائباً عنه في منطقة ما وراء

هو تنظيم الموارد المالية للدولة الجديدة. ومع انه ليست لدينا نصوص تشير الى توجيهات محددة من هولاكو الى صاحب الديوان بخصوص الاسس التي يستند عليها في عمله. الا انه ليس بالعسير الاستنتاج ان صاحب الديوان اقام نظاماً ضريبياً يضمن الصرف على الادارة الحكومية وفقاً لاطارات ضريبية مغولية جديدة اتى بها الغزو المغولي للبلاد [٢]، اضافة الى مستحقات الديوان التي كانت سائدة في العهد الاسلامي[٣].

ومع غياب نص واضح يشير الى المكان الذي يمارس فيه صاحب الديوان عمله، الا ان ماذكره ابن فضل الله العمري بقوله: ((يدخل الوزير - وهي اشارة لصاحب الديوان - على القآن في بكرة كل يوم))[١] يدل بوضوح انه كان يزاول عمله اليومي في الاردو الخاص بالايلخان. ويفهم من اشارات رشيد الدين ان السجلات وما يتعلق بامور الديوان كان يحتفظ بها صاحب الديوان بمنزله الخاص[٢]، ومن بينهما الختم الذي يمهر به على الاوامر والمراسيم التي تصدر عن هولاكو[٣].

النهر، ثم نصبه بعد ذلك حاكماً على هذه المنطقة نفسها. انظر: النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص٨٣؛ الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ١، ص١٨٣؛رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ١، ص٤٣٨-٤٣٨؛ عباس اقبال ، تاريخ مفصل ايران، ص٧٧.

(٢) جاء الغزو المغولي بضرائب جديدة على الشعوب الخاضعة كانت تؤخذ باشكال محتلفة،فهي منتجات زراعية ومواشي من الفلاحين، ونقود وذهب من التجار والاعيان، وعمل من الصناع والحرفيين، وخدمات ادارية من ارباب الخبرة. وكانت من بين تلك الضرائب ما يفرض على البيوت والعقارات، وضريبة اخرى تسمى المؤونة تؤخذ على المبيعات (مجهول ، الحوادث الجامعة، ص٤٠٠،ص٤٠٤). وضريبة (التمغا) التي تؤخذ على التجارة، و (القوبجور)، وتؤخذ من مراعي ذوات الاربع، فمن كل من يملك مائة رأس يؤخذ رأس واحد، ومن ليس له مائة لا يؤخذ منه. وقد اشار رشيد الدين للضريبتين المذكورتين بانهما اساس موارد الديوان الايلخاني بقوله : ((ان حقوق الديوان كانت تتكون من القوبجور والتمغا)). (داستان غازان، تحقيق كارل يان (لندن، ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م)،ص٢٤٣.

(٣) حتى الضرائب الشرعية لم تؤخذ على اصولها المعروفة، فقد ذكر رشيد الدين ان اهل الخراج كان يؤخذ منهم مقدار معين من الشراب والطيور باسم (الزوايد) او (النماري) و (اليام) والهدايا ونفقات الماكل والمشرب باسم (علفه او علوفه). (جامع التواريخ،جـ٢، ص١٠٣٣).

(١) كما جاء في صبح الاعشى للقلقشندي،جـ٤، ص٤٢٨.

(٢) داستان غازان، ص٩٦-٩٧.

(٣) المصدر نفسه، ص٩٧.

عهد هولاكو في اثناء حكمه بهذا المنصب لاثنين من مستشاريه المسلمين، كان اولهم سيف الدين البيتكجي[٤]، الذي يوحي لقبه بانه من الذين شغلوا وظيفة كتابية سابقاً، وكان من بين الذين التحقوا بخدمة هولاكو في اثناء رحلته نحو البلاد الغربية (مشرق العالم الاسلامي)، ومع قلة المعلومات التفصيلية التي تدل على طبيعة عمله، فان الاشارات تدل على انه كان مخولاً بالنظر في الامور المالية اكثر من اية صلاحيات اخرى[٥]، على الرغم من ان رشيد الدين اطلق عليه لقب الوزير الخاص[٦].

غير ان سيف لدين البيتكجي لم يستمر في منصبه طويلاً، فقد وشى به بعض خصومه لدى هولاكو بحجة التعدي على الناس، فقرر احالته بالمحاكمة، ولما لم يستطع الدفاع عن نفسه، وقد ثبتت التهم عليه، امر هولاكو باعدامه سنة ٦٦١هـ/١٢٦٢م[٧].

واخيراً استقر منصب صاحب الديوان في شخص الاداري الكبير شمس الدين الجويني[١]، الذي كان قد عمل قبل تسلمه المهمة، مستشاراً لهولاكو عند وصول القوات المغولية الى خراسان. ويعد شمس الدين الجويني احد شخصيات خراسان المعروفة، فهو ينحدر من اسرة عرفت بتولي المناصب الادارية لدى الخوارزميين والمغول، وكان يضم الى جانب اخلاصه للمغول ثقافة واسعة، فهو

---

(٤) هو سيف الدين بهادر بن عبد الله الخوارزمي، وهو الذي طلب من هولاكو بعد ان فرغ من احتلال بغداد ان يرسل مائة نفر من المغول الى النجف ليحافظوا على مشهد الامام علي. (كاترمير، مقدمة كتاب جامع التواريخ،ص٣١٠).

(٥) رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ٢،ص٧٠٢؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير،جـ٣، ص٥٩.

(٦) جامع التواريخ، جـ٢،ص٧٣٤، ويبدو ان رشيد الدين استخدم لقب وزير للدلالة على اهمية المنصب. لكن الحقيقة ان لقب (الوزير) اطلق على صاحب ديوان الممالك الايلخاني لاول مرة في عهد بايدوخان (٦٩٤هـ/١٢٩٥م). انظر: وصاف ، تاريخ وصاف،جـ٣، ص٢٨٤؛ خواندمير، دستور الوزراء، ص٣٠٨؛ القزاز، الحياة السياسية، ص٢٠٨.

(٧) رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ٢، ص٧٣٤؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، جـ٣، ص٦٠.

(١) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا،جـ٥، ص٢٧١؛ خواندمير ، تاريخ حبيب السير،جـ٣،ص٦٠؛ و . بارتولد، جويني، دائرة المعارف الاسلامية، جـ٧، ص١٨٠-١٨٢.

يتعامل باللسانين العربي والعجمي، كما انه ملم الماماً تاماً بكل تفاصيل الحكم وشؤون الادارة[٢].

ولما لمس هولاكو من شمس الدين الجويني كفاية ومقدرة في عمله، واخلاصاً للمغول ، فقد استحق ثقته وترك زمام الامور الادارية كلها بيده ومنحه صلاحيات واسعة، على نحو ما اورده رشيد الدين ان هولاكو: ((اطلق يده وقواها في حل الامور وعقدها، وترتيبها وضبطها))[٣]. غير ان سلطته تلك على ما يبدو كانت ضمن الحدود الادارية الوظيفية، ولا تشمل في صلاحياتها الاشراف على شؤون الامراء المغول او قادة العسكر. وقد وظف شمس الدين الجويني تلك الصلاحيات الاولية الممنوحة له، فشرع في ارساء قواعد الادارة الايلخانية، التي تطورت وتوسعت اجهزتها كثيراً في عهده، حتى ان معظم تنظيماتها ارتبطت باسمه ليس في عهد هولاكو فحسب، وانما في عهد اثنين من خلفائه ايضاً [١]، واستعان بالكثير من اصحاب القدرة الادارية من الكتاب والعمال واغلبهم من الذين خدموا في الدولة الخوارزمية. وتولى اخاه عطا ملك الجويني، مؤرخ المغول الشهير حكومة العراق [٢]، كما احتل ابناء شمس الدين عدة مناصب ادارية هامة[٣].

ونتيجة الاجراءات التي ادخلها شمس الدين على الجهاز الاداري، فقد تطور منصب صاحب الديوان تطوراً كبيراً، فبعد ان كان عمله مقتصراً على

---

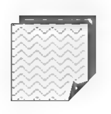
(٢) تنسب اسرة الجويني الى مدينة جوين من نواحي خراسان. وقد استعانت الادارة المغولية في خراسان بافراد هذه الاسرة في ادراة البلاد الاسلامية، ومن هؤلاء بهاء الدين الجويني والد شمس الدين، الذي تولى تصريف الشؤون المالية لادارة ارغون اغا في خراسان، وقد تولى ابنه عطا ملك منصبه بعد وفاة ابيه، واستمر بشغله الى ان توجه هولاكو بحملته الى مشرق العالم الاسلامي، فرافقه في هذه الحملة. وعموماً فان اسرة الجويني ذات الصلة بامام الحرمين الجويني كبير شافعية خراسان في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. وتعود في اصولها الى النسب العربي. انظر: عبد الوهاب القزويني، مقدمة تاريخ جهانكشاي،جـ٣، ص١٣؛ و. بارتولد ، جويني، دائرة المعارف الاسلامية،جـ ٧، ص١٨٠-١٨٢.

(٣) جامع التواريخ،جـ٢،ص٧٣٤.

(١) تولى منصب صاحب الديوان في عهد اباقاخان بن هولاكو (٦٦٣-٦٨١هـ/١٢٦٥-١٢٨٢م) وكذلك في عهد احمد تكودار بن هولاكو خان (٦٨١-٦٨٣هـ/١٢٨٢-١٢٨٤م). وتم قتله في سنة ٦٨٤هـ/١٢٨٥م في بداية حكم ارغون خان. (رشيد الدين، جامع التواريخ ، جـ٢، ص٨٧٢).

(٢) مجهول ، الحوادث الجامعة، ص٣٤١.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٥٢.



الامور المالية، اصبح مسؤولاً عن ادارة دواوين البلاد باكملها، بما فيها الدواوين المحلية في الولايات[٤]، وسلطته تاتي بعد سلطة هولاكو مباشرة، فينقل لنا ابن فضل الله العمري (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م) عن الصلاحيات الجديدة التي يتمتع بها صاحب الديوان بقوله: ((له امر متحصلات البلاد ودخلها وخرجها، واليه يرجع امر كل ذي قلم ومنصب شرعي، وله التصرف المطلق في الولاية والعزل والعطاء والمنع، لا يشاور السلطان الا في جل الامور))[٥]. وترتب على اجراءات شمس الدين الجويني زيادة الموارد النقدية للديوان[٦]. ومن اجل ذلك شبه عمله في رئاسة الادارة المغولية بعمل الوزير السلجوقي نظام الملك (٤٥٥-٤٨٥هـ/١٠٦٣-١٠٩٢م) [٧]. غير انه في المقابل استطاع ان يجمع من عائدات وفوائد منصبه ثروة طائلة عيناً ونقداً ، مما يستدل انه كان لشمس الدين الجويني مرتبات عالية[١]. وفي حين ينقل رشيد الدين عن شمس الدين الجويني قوله في اثناء دفاعه عن نفسه قبيل مقتله في سنة ٦٨٤هـ/١٢٥٥م ((ان دخله لم يكن يتجاوز عشر التومان))[٢]، فان المستوفي القزويني (ت ٧٥٠هـ/١٣٤٩م) يلمح من طرف خفي الى ثروة شمس الدين الجويني بقوله:((انه استطاع بحسن تدبيره ان يحصل

---

(٤) المصدر نفسه، ص٣٥٢،ص٣٥٩.

(٥) مسالك الابصار كما جاء في صبح الاعشى للقلقشندي،جـ٤،ص٤٢٧-٤٢٨.

(٦) بارتولد، جويني، دائرة المعارف الاسلامية،جـ٧،ص١٨٢. بالرغم من ان بعض الباحثين يعتقدون ان النظام النقدي في الدولة الايلخانية التي اقامها هولاكو كان يقوم على قاعدة المعدن الواحد وهو الفضة. الا ان اغلبية الباحثين في هذا المجال، ومن بينهم ولثر هنز (Walther Hinz) احد اشهر المختصين بالنقود في هذا العهد، يرون ان الدولة الايلخانية اعتمدت نظام النقد المزدوج، الدينار الذهبي (الرائج) والدرهم الفضي واجزائه من العملات النحاسية الصغيرة. انظر:
J.M. Smith and others, Gold Money in Mongol of Iran, Journal of the Economic and Social History of the Orient (London, 1968), vol.11, pp.120-142.

(٧) عباس اقبال، تاريخ مفصل ايران، جـ١،ص٣١١.

(١) بارتولد، جويني، دائرة المعارف الاسلامية،جـ٧،ص١٨٣.

(٢) مكاتبات رشيدي، رسائلي كه وزير دانشمند خواجه رشيد الدين فضل الله طبيب سراي ايشان نوشته، محمد ابرقوهي آنهار جمع نموده، بسعي واهتمام وتصحيح محمد شفيع (لاهور: ايجو كيشل بريس، ١٣٦٢هـ/١٩٣٢م)، ص٢١٤. والتومان يساوي عشرة الاف دينار (ستون الف درهم). (القلقشندي، صبح الاعشى،جـ٤، ص٤٢٥). ورغم ان حسابات الديوان تتم بالتومان، الا انه يبدو ان قيمته عددية على الارجح ، ولم يوجد نقد بقيمته، وكان الشائع ان يقيم بالذهب. انظر: عباس العزاوي، تاريخ النقود العراقية لما بعد العهود العباسية، ص٣٩-٤٠.

لنفسه على ضياع شاسعة وثروة عظيمة، ويقال ان دخله اليومي يبلغ تومانا ً))[٣]. ويشير هذا النص الى الصلاحيات الواسعة الممنوحة لصاحب الديوان.

ديوان الإنشاء

الى جانب صاحب الديوان، وجدت مناصب ادارية عديدة تكمل عمل متوليها المباشر من اهمها، كاتب الانشاء ، ووظيفة صاحبها هي ترتيب المكاتبات الرسمية بين السلطان هولاكو والحكام التابعين له، وكتابة رسائل الايلخان وتحريرها الى حكام الدول الاخرى[٤].

ان اهم ما يميز ديوان الانشاء في عهد هولاكو، هو اختلاف اسلوب المكاتبات والرسائل عما كان عليه الحال في عهد الادارات الاسلامية السابقة، فلم تعد الرسائل التي يصدرها الايلخان الى الحكام والملوك تدبج بالبسملة او الايات القرانية، بل تبدأ عادة ً بالاشارة الى القآن الاعظم كونه الحاكم الاعلى للدولة[٥].

ويبدو ان اغلب كتاب الانشاء الذين عملوا بالدركَاه الخاص بهولاكو، كانوا من اهل الخبرة والدراية الادارية، فبجانب عملهم كبيتكجية، فانهم كانوا يقومون ببعض المهام الاخرى التي كان يكلفهم بها هولاكوخان، كالسفارات مثلا ً[١]، ولا تحتفظ لنا المصادر الايلخانية بسجل يتضمن اسماء جميع الذين تولوا هذه الوظيفة خلال عهد هولاكوخان، غير ان اشارات رشيد الدين تشير الى بعض

---

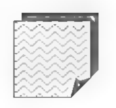
(٣) نزهت القلوب،جـ٣،ص٨٣.

(٤) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢،ص٦٩١.

(٥) ابن عبد الظاهر، تشريف الايام والعصور، ص٥.

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢،ص٦٩٠.

(٢) المصدر نفسه، جـ٢،ص٧١١.



منهم، وهم احمد البيتكجي[٢]، وظهير الدين سبلار البيتكجي[٣]، وسيف الدين البيتكجي[٤].

البـريـد

اهتم هولاكو بوقت مبكر بنظام البريد (اولاغ)، لارتباطه بتحركات جيشه الذي احتل اراضٍ واسعة المساحة، ولما له من علاقة مباشرة بادارة الدولة، وتتبع اخبار الحكام والامراء، ونقل المكاتبات بينهم، لذلك سعى في تنظيمه على غرار نظام البريد المعتمد في الامبراطورية المغولية[٥]، فاوجد محطات بريدية اطلق عليها (اليام)[٦]، وعين لها موظفين يتولون ادارتها يسمون (اليامجية) ويساعدهم عدد من الاعوان[٧]. اما السعاة الذين كانوا ينقلون الاوامر الرسمية فيسمون (بالايلجية). وقد ابقى هولاكو استخدام نظام البريد مقتصراً على مبعوثيه الرسميين واركان دولته من الذين يحملون الختم الذهبي (التون تمغا)[١]، فلم ترد اشارات تبين افادة رعايا الدولة العاديين منه.

ومن المهم ان نذكر ان النظام البريدي الذي اقامه هولاكو لم يكن مبتكراً، وانما هو استمراراً للنظامالبريدي المغولي، لكنه تميز عنه بكونه نظاماً مرتبطاً بالاساس بتحركات هولاكو العسكرية، وعليه فقد كانت له مساوئ كبيرة تمثلت

(٣) المصدر نفسه،جـ٢،ص٦٩٠.

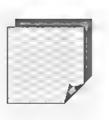
(٤) المصدر نفسه، جـ٢،ص٦٨٦.

(٥) حظي البريد عند المغول باهتمام كبير، لانه كان يؤدي لهم باعتبارهم شعوباً رعوية اغراضاً تختلف عن مثيلاتها الشعوب المتحضرة، فكان من اهم مهامه، تسهيل انتقال مبعوثي القاآن، وحاملي رسائله، وتجنيبهم الاعاقة والتاخير، لذلك بذل جنكيزخان وخلفائه جهوداً كبيرة في تأسيس هذا النظام. انظر: بارتولد، تركستان، ص٦٥٦.

(٦) اليام: محطة استراحة البريد عند المغول. انظر: D.Morgan, Medieval Persia, p.180.

(7) Aknerli Grigor, Mogol Tarihi, Ceviren H.D. Andreasyan (Istanbul, 1954),p.33.

(١) رشيد الدين، داستان غازان،٢٢٧٠-٢٧٧.



بوطأته الشديدة على السكان المحليين الذين فرض عليهم ايواء الايلجية والالتزام بتزويدهم بالخيول والطعام[٢].

الوظائف الدينية – الإدارية

القضاء

لم ينظر هولاكو للقضاء الا من ناحية علاقته برعاياه المسلمين، لان الاحكام الخاصة بالامراء المغول وابناء جلدتهم، والذين يعملون في خدمتهم كان ينظر بها على اساس قوانين الياسا الجنكيزية، اذ يتم الفصل فيها من قبل اليارغو[٣] او (اليارغوجي) الذي كان بمثابة القاضي المغولي[٤].

ولاجل الفصل بين قانون الطبقة الحاكمة وبين شريعة المسلمين، عهد هولاكو الى احد القضاة المسلمين بمنصب قاضي قضاة الممالك، متخذاً من العاصمة مراغة مقراً له و اعطاه صلاحية تعيين القضاة في عموم الولايات الايلخانية. وقد اشار القلقشندي لوظيفة القضاء في عهد الايلخانيين بقوله: ((اما القضاة فعادة هذه المملكة ان يكون في صحبة السلطان قاضي قضاة الممالك، وهو الذي يولي القضاة في جميع المملكة ننائي اقطارها الا العراق، فان لبغداد قاضي قضاة مستقل))[١].

ويبدو ان العراق قد حظي بهذه الميزة لكون هولاكو رتب ادارته قبل تعيين الادارة المركزية في تبريز، اذ سبق تعيين قاضي قضاة بغداد في منصبه قبل ان

---

(٢) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢،ص١١٣٤.

(٣) رشيد الدين، داستان غازان، ص١٠٦،ص١١٦،ص١١٧.

(٤) جرت في عهد هولاكو محاكمات عديدة لليارغو، فقد تمت محاكمة الامير توتاراوغول وتم قتله في السابع عشر من صفر سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م. وقد امر هولاكو ايضاً باحالة صاحب الديوان سيف الدين البيتكجي على اليارغو بدعوى ورود شكاوى ضده، واثبت اليارغو التهم عليه، فامر هولاكو باعدامه. انظر: رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١٨،ص٧٣٤.

(١) صبح الاعشى،جـ٤، ص٤٢٤.



يعهد لقاضي لقضاة الممالك الايلخاني بهذه الوظيفة، حيث حضر اقضى القضاة عبد المنعم البندنيجي[٢]بين يدي هولاكو فامر بان يقر في منصبه[٣].

وحظيت الموصل بالميزة نفسها في بداية حكم هولاكو حيث لم يكن لقاضي قضاة الممالك اية سلطة على قضاتها، وانما كان قضاة الموصل تابعين لشخص القاضي كمال الدين عمر بن بندار التفليسي الذي عينه هولاكو عند استيلاء جيشه على الجزيرة والشام في سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م وقد اتخذ هذا من دمشق مقراً لعمله[٤]. ولكن هذا الاجراء لم يستمر طويلاً، اذ سرعان ما تمكن المماليك من استعادة بلاد الشام من السيطرة المغولية في السنة ذاتها، فاصبح قضاة الموصل والجزيرة تابعين لقاضي قضاة الممالك في العاصمة الايلخانية مراغة[٥].

ناظر الأوقاف

وهي من الوظائف التي حظي متوليها بمنزلة رفيعة عند هولاكوخان، لما لها من علاقة مهمة باوضاع رعاياه المسلمين، فينقل لنا صاحب مسالك الابصار عن الحكيم نظام الدين بن الحكيم الطياري (ت٧٦٠هـ/١٣٥٨م) في حديثه عن حال الاوقاف في دولة الايلخانيين بقوله : ((واوقافها جارية في مجاريها لم تعترضها ايدي العدوان في دولة هولاكو، ... بل كل وقف مستمر بيد متوليه، ومن له الولاية عليه))[١]. ومهام صاحب هذه الوظيفة هو النظر في رزق الجوامع

---

[٢] هو عبد المنعم نظام الدين البندنيجي ولد سنة ٥٩١هـ/١١٩٤م، درس فقه الامام الشافعي في عنفوان شبابه بمدرسة فخر الدولة بن المطلب المعروفة بدار الذهب بشرقي بغداد الموقوفة على الشافعية، فبرع في الفقه وصلح للفتوى ثم رتب معيداً لطائفة الشافعية بالمستنصرية، ثم رتب في ديوان عرض الجيش مسؤولاً عن اطلاق معاشات الجند، ثم جعل قاضياً بالجانب الغربي من بغداد سنة ٦٥٢هـ/١٢٥٤م. ثم نقل الى الجانب الشرقي وعين بمنصب اقضى القضاة، واستمر على ذلك حتى وفاته سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٨م. انظر: مجهول ، الحوادث الجامعة، ص٣٢٣،ص٣٣٢،ص٣٦٢.

[٣] ابن الفوطي، تلخيص مجمع الاداب،جـ١،ق١،ص٢٠.

[٤] اليونيني، ذيل مرآة الزمان، جـ١، ص٣٥٠.

[٥] القلقشندي،صبح الاعشى، جـ٤،ص٤٢٤.

[١] كما جاء في صبح الاعشى،جـ٤،ص٣٣١-ص٣٣٢.

والمساجد والربط والزوايا والمدارس[٢]. وقد وضع هولاكو جميع الاوقاف في الدولة الايلخانية تحت اشراف الفلكي نصير الدين الطوسي[٣]، الذي كان يعين نواباً عنه، وبعضهم من ابنائه، في كل انحاء الدولة ومنها العراق[٤]. ومع ان المصادر تشير الى انه نظم الوقوف حسب شروط واقفيها، الا انه ترد اشارات تدل على انه الزم نوابه بارسال عشر مستغلات الاوقاف اليه لكي يصرفها على دار الرصد في مراغه[٥]. ويبدو ان نصير الدين الطوسي كان احياناً يتفقد احوال الاوقاف بنفسه، ففي حوادث سنة ٦٦٢هـ/١٢٦٤م يرد خبر قدوم نصير الدين الى بغداد لتفقد الاحوال والنظر في الاوقاف[٦].

إدارة الولايات الايلخانية

اظهر هولاكوخان مرونة ادارية واضحة في حكم الولايات التي كانت تتشكل منها الدولة الايلخانية، حتى انه كان يأخذ بنظر الاعتبار ظروف كل ولاية، ولم يكن يعمل بنظام اداري موحد في جميع تلك الولايات، ففي الوقت الذي اقام الادارة المركزية في مراغة، لانها كانت تمثل عاصمة البلاد، فان ادارته للولايات الاخرى كانت تتحكم فيها عوامل عديدة، فاذا كانت الولاية حدودية وذات موقع عسكري هام، فانه يلجأ الى الاستعانة باحد ابنائها المطيعين، او بالامراء المغول المتنفذين لادارتها. فقد منح ممالك العراق العجمي وخراسان ومازندران

---

(٢) مجهول، الحوادث الجامعة، ص٣٣٣.

(٣) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٨٥؛ ابن الفوطي، تلخيص مجمع الاداب، جـ٤، ق٣، ص٥٥٦-ص٥٥٧.

(٤) بعد احتلال بغداد عين لها صدراً للاوقاف اسمه شهاب الدين بن عبد الله بن هبة الله البغدادي الذي نظر الوقف نيابة عن نصير الدين الطوسي، وقد قام بالاشراف على ترميم المدارس والربط وادرار الاخباز والمشاهرات على الفقهاء والصوفية. انظر: ابن الفوطي، تلخيص مجمع الاداب، جـ١، ق١، ص١٨٩٥؛ محمد مفيد ال ياسين، الحياة الفكرية، ص٩٥.

(٥) الصفدي، الوافي بالوفيات، جـ٤،ص١٨٢.

(٦) مجهول، الحوادث الجامعة،ص٣٥٠.

حتى حدود نهر جيحون لابنه الاكبر اباقا، وممالك اران واذربيجان لابنه الاخر يشموت، والجزيرة للامير تودان[١].

اما المدن التي تقع خارج حدود الادارة المركزية، فقد ترك امر ادارتها الى صاحب ديوان المملك الايلخاني، الذي كان يعين نواباً عنه في هذه المدن بصفة اصحاب ديوان محليين، اذورد ان بهاء الدين الجويني كان صاحباً لديوان اصفهان[٢].

وبشأن الامارات او الاتابكيات التي دخلت في طاعة هولاكو سلماً، ودعمت حملته العسكرية، فانه ترك لحكامها امر ادارتها، واكتفى بتمثيله فيها بعض امراء النوين من المغول الذين عملوا بصفة شحان يضطلعون بتولي مهام الادارة العسكرية للاقليم نيابة عن السلطان، وكانت واجباتهم تتلخص بتنفيذ سياسة هولاكوخان، ومراقبة الامير او (الاتابك) في مدى تمسكه بالولاء والطاعة لسلطانهم.

وفيما يلي عرض للاحوال الادارية لولايات الدولة الايلخانية خارج العاصمة مراغه ابان عهد هولاكو.

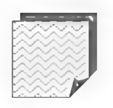
العراق (الإدارة المدنية)

على الرغم من قضاء هولاكو على الخلافة العباسية التي استقرت في هذه البلاد لما يزيد على خمسة قرون، وتحول العراق الى مجرد اقليم من اقاليم الدولة الايلخانية (ايالة)، الا انه كانت له مكانة يتميز بها، لم تكن للاقسام الاخرى من الدولة، من الوجهات السياسية والادارية والتنظيمية، وذلك لاسباب معلومة تتعلق بكون العراق كان يمثل قبل الغزو المغولي المقر السياسي والاداري لدولة الخلافة العباسية، والتي جاءت الى نهايتها سياسياً وروحياً اثر ذلك الغزو، ولم يكن هذا التحول في الوضع السياسي والاداري شيئاً جديداً على حكم البلاد فحسب، كما حدث في الحكومات الغازية السابقة، التي كان مصدر قوتها وانتشارها في مناطق

---

[١] رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ٢،ص٧٣٤؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، جـ٥،ص٢٧١؛خصباك، العراق في عهد المغول الايلخانيين، ص٧٩.

[٢] مجهول، الحوادث الجامعة، ص٤٨٦.



التركستان والمشرق الاسلامي.بل جعل منها ايضاً بلاداً حدودية معادية لما كان يمثل آنذاك حماة بلاد المسلمين (الدولة المملوكية) التي استطاعت ان تحد من التوسع المغولي، وتوقفه عند حدود العراق الغربية والشمالية.

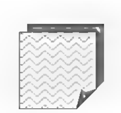
وفي ضوء ذلك، نرى ان هولاكو اقدم بنفسه على ترتيب ادارة البلاد قبل غيرها من ولايات الدولة الاخرى، بما فيها الادارة المركزية في العاصمة الايلخانية مراغه نفسها. وخلافاً لما اتبعه بجمع عدة ولايات تحكم من قبل احد امرائه، فانه استبقى العراق يحكم بمفرده ولم يجمع مع ولايات اخرى.

فوض هولاكو الى شخص الوزير العباسي المتعاون مع السلطة الجديدة مؤيد الدين بن العلقمي منصب الوزارة[١]، وعين فخر الدين الدامغاني بمنصب صاحب ديوان بغداد[٢]. فيما عهد بالادارة العسكرية الى احد الخراسانيين المسمى على بهادر بمنصب شحنة بغداد[٣]. وابقى التقسيمات الادارية القديمة للبلاد، على ما كان عليه الحال زمن العباسيين، فكان العراق يقسم الى خمس مناطق ادارية، فضلاً عن العاصمة بغداد. وقد عين هولاكو بنفسه حكاماً لبعض هذه الاقسام، وترك مسؤولية ما تبقى منها من اختصاص حكومة بغداد[٤].

عملت الادارة الجديدة بتوجيهات هولاكو، فالغت كل التنظيمات والوظائف التي كانت تشكل مظهراً من مظاهر الخلافة العباسية[٥]، مثل دواوين عرض الجيش والرسائل والطراز وغيرها، لانها لم تكن تتوافق والوضع السياسي الجديد[١]. واستبقت ديواناً واحداً هو ديوان الزمام المتخصص بسجلات الدخل والخرج والتوقيع[٢]. غير ان واحداً من اهم اجراءات هولاكو لتغيير الوضع الاداري العباسي، يتمثل بإلغاء نظام الوزارة التقليدي للعباسيين، فلم يمض وقت طويل على استقرار حكم الايلخانيين، واثر وفاة مؤيد الدين بن العلقمي وابنه عز الدين اللذان شغلا هذا المنصب على التوالي في غضون السنة الاولى لحكم هولاكو، حتى

---

[١] مجهول، الحوادث الجامعة، ص٣٣١.
[٢] المصدر نفسه، ص٣٣٢.
[٣] المصدر نفسه، ص٣٣١.
[٤] المصدر نفسه، ص٣٣١.
[٥] خصباك، العراق، ص٦٧.
[١] خصباك، العراق، ص٦٧.
[2] CI. Huart, Diwan,EI.vol.2, p.979.



فـوض هولاكـو صـاحب الـديوان بشـخص فخـر الـدين الـدامغاني مسؤولية حكم العراق من الناحيـة الرسـمية. غيـر ان الوقـائع تشـير الـى ان سـلطته كانـت محـدودة، ومقيـدة بالسـلطة العسـكرية التـي يمارسـها الشـحنة المغـولي، الـذي كـان ينفـذ اوامـر مباشـرة مـن هولاكوخـان لـيس لصـاحب الـديوان اطـلاع عليهـا[٣]. ومـع انـه ليسـت لـدينا وثـائق رسـمية بخصـوص فرمـان تعيـين فخـر الـدين الـدامغاني بمنصـب صـاحب ديـوان بغـداد، الا اننـا نعـرف مـن صـاحب الحـوادث الجامعة ان صلاحياته كان تقتصر على الامور الادارية والمالية[٤].

غيـر انـه مـا أن قضـت مـدة قصـيرة مـن ادارتـه للـديوان، حتـى نكـب بـه ومـات سـجيناً[٥]، ويقـال انـه حـدث فـي اثنـاء زيارتـه لـبلاط هولاكـو خـان فـي سـنة ٦٥٧هـ/١٢٥٩م ان وشـى بـه احـد الصـدور المقـربين للايلخـان، وهـو نجـم الـدين بـن عمـران، متهمـاً ايـاه بانـه وراء اطـلاق احـد انسـاب الخليفـة المستعصـم بـالله مـن السجن، مما اثار حفيظة الايلخان ونقمته عليه[٦].

امـا خلفـه فـي هـذا المنصـب، فهـو الشخصـية الشـهيرة عـلاء الـدين عطـا ملـك الجـويني شـقيق صـاحب الـديوان الكبيـر شـمس الـدين الجـويني[٧]، الـذي يعـد اشـهر مـن مثـل هـذه الوظيفـة فـي عهـد الايلخـانيين، والمؤسـس الحقيقـي لـلادارة الايلخانيـة فـي العـراق، حيـث حظـي بصـلاحيات اداريـة واسـعة مـن لـدن الايلخـان شخصـياً، واهـم مـا يميـز ادارة عـلاء الـدين عطـا ملـك الجـويني (٦٥٧-٦٨٣هـ/١٢٥٩-١٢٨٤م) التحـول الـى الادارة اللامركزيـة، عنـدما اصـبح مسـتقلاً فـي ادارة شـؤونه فـي حكـم العـراق، مقابـل تقديمـه المـال الـلازم لخزينـة الـديوان الايلخـاني فـي العاصـمة مراغـه، ولـم يكـن يخـل بـذلك الاسـتقلال، سـوى ان صـاحب ديـوان الممالـك الايلخـاني كـان يرسـل مـن يمثلـه الـى بغداد ليستطلع اخباره، ويستقصي شؤونه من اجل ايصال خلاصتها للايلخان[١].

---

[٣] مجهول، الحوادث الجامعة، ص٣٣٢-ص٣٤٢.

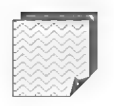
[٤] المصدر نفسه، ص٣٣٨.

[٥] المصدر نفسه، ص٣٣٨.

[٦] المصدر نفسه، ص٣٣٨.

[٧] المصدر نفسه،ص٣٤٧.

[١] رشيد الدين ، جامع التواريخ،جـ٢،ص٧٣٤.



اما المرحلة الذهبية لمتولي هذا المنصب فقد جاءت بعد ارتقاء شقيقه شمس الدين الجويني منصب صاحب ديوان الممالك الايلخاني في سنة ٦٦١هـ/١٢٦٣م، عوضاً عن سيف الدين البيتكجي[٢]، فاصبح لعطا ملك صلاحيات واسعة، اهمها حق تعيين الصدور على اقسام البلاد الاخرى، باستثناء اولئك الذين كانوا قد عينوا مباشرة من قبل هولاكوخان، فلم تكن له سلطة عليهم[٣]. غير ان هذه الصلاحيات الواسعة اثارت، حسد موظفي الادارة الاخرين عليه، فاخذوا يعملون للنيل منه، حيث قام الشحنة علي بهادر بالتعاون مع المشرف القزويني، وعدد من صدور العراق، بالصاق التهم عليه عند هولاكو، الذي اكتفى بحلق لحيته كعقاب له[٤]. غير ان اخاه شمس الدين استطاع بعد سنة من تبرئة اخيه واعادته لمنصبه، والانتقام من خصومه، حيث اصدر هولاكو الاوامر باعدام القزويني والشحنة على بهادر في سنة ٦٦١هـ/١٢٦٣م[٥].

اما الوظائف المرتبطة بصاحب ديوان بغداد، فكان اهمها كاتب السلة[٦]، وهي وظيفة حلت محل كاتب الانشاء التي كانت لها الاهمية الرئيسة في العصر العباسي، بسبب غياب منصب الخلافة ، واصبح من يتولاها يقوم على راس كتاب ولاية العراق، ولذلك كان كاتب السلة يسمى كاتب الديوان[١] واحياناً كاتب العراق[٢]، واول من تولى وظيفة كاتب السلة في ديوان بغداد ابان حكم هولاكو هو عز الدين بن ابي الحديد[٣].

---

(٢) مجهول، الحوادث الجامعة،ص٣٤٩.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٤٩.

(٤) وينسب لعلاء الدين الجويني قوله: ((ان الشعر اذا حلق نبت، والرأس اذا قطع لم ينبت)) وهذا دليل على نيته بالانتقام الشديد من خصومه.انظر: ابن الفوطي، تلخيص مجمع الاداب،جـ١، ق١، ص١٨٥؛ الشبيبي، مؤرخ العراق، جـ٢، ص٢١٨.

(٥) مجهول، الحوادث الجامعة، ص٣٥٠.

(٦) المصدر نفسه،ص٣٣٢،ص٣٣٣.

(١) خصباك ، العراق، ص٦٩.

(٢) مجهول، الحوادث الجامعة،ص٣٦٤.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٣٢. وهو عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني البغدادي المعروف بابن ابي الحديد، كان شاعراً واديباً ومؤرخاً . وقد عمل هو واخوه موفق الدين بالاعمال الديوانية في عهدي المستنصر بالله والمستعصم بالله. وكان عز الدين من خواص الوزير مؤيد الدين بن العلقمي، وباسمه وضع كتابه الشهير شرح نهج البلاغة. وقد وقع عز الدين واخوه موفق الدين في اسر جيش هولاكو، غير انهما نجا من

الإدارة العسكرية للعراق

حظي العراق باهمية خاصة عند هولاكو من الناحية العسكرية، لتماسه المباشر مع بلاد الشام التي يحكمها الأيوبيون، وقربه من مصر التي يحكمها المماليك، لانه كان يعد العدة لقضاء عليهما، ولذلك اصبحت اراضيه ممراً لتحركات الجيش المغولي، وكانت الموصل وسنجار نقاط تجمع رئيسة لقوات هولاكو التي كانت تنطلق من انحاء مختلفة من الدولة الايلخانية، عبوراً لنهر للفرات باتجاه مدن الشام.

هذه الاهمية لموقع العراق عسكرياً ادت الى ان يقوم هولاكو بفرض سيطرة قواته المحكمة عليه، وذلك من خلال تواجد حاميات عسكرية مغولية بشكل دائم في كل من بغداد والموصل[٤].

غير ان هولاكو بعد هزيمته في معركة عين جالوت في سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م قام بتغيير سياسته العسكرية، حيث جعل ادارة الولايات الايلخانية المحاذية للمماليك والقبجاق الى وحدات ادارية تدار من قبل السلطات العسكرية، تولى المسؤولية فيها كبار امراء المغول، وكان العراق من جملة من تأثر بهذا الاجراء حيث اصبحت حماية الجزء الشمالي منه من اختصاص قيادة ديار بكر وبلاد الروم، وفيما عدا ذلك من اراضي العراق فقد اوكلت مهمة الدفاع عنها الى شحنة بغداد الذي اصبح يمثل اعلى سلطة عسكرية في العراق، والذي كان من مهامه ايضاً المحافظة على الامن العام والتصدي لاعمال التمرد[١].

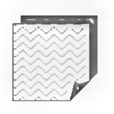
ولاهمية هذا المنصب فقد كان تعيين الشحنة وعزله يتم من قبل هولاكو شخصياً، ولم يكن لصاحب الديوان اية سلطة عليه[٢]. ويبدو ان تضارب مصالح الشحان المغول مع اصحاب ديوان بغداد كان سبباً في عدم استقرار هذا المنصب

القتل بوساطة من ابن العلقمي ونصير الدين الطوسي. وتوفي عز الدين في سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م. انظر: ابن الفوطي، تلخيص مجمع الاداب،جـ٤،ق١، ص١٩٠-١٩١؛عباس اقبال، تاريخ المغول، ص٤٧٦.

(٤) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول،ص١٤١-ص١٤٧.

(١) اليونيني، ذيل مرآة الزمان،جـ١،ص١٢٧.

(٢) مجهول، الحوادث الجامعة، جـ١،ص٣٥٢.



في العراق ،الذي عهد به هولاكو خلال مدة حكمه الى ثلاث شخصيات مختلفة، كان اولهم علي بهادر الخراساني[٣]، الذي نجح في التصدي لمحاولة الخليفة العباسي المستنصر بالله المقيم في مصر[٤]، لتحرير العراق من السيطرة المغولية في سنة ٦٥٩هـ/١٢٦١م[٥]،الا انه لم يستمر في منصبه طويلاً[٦]، بسبب خلافاته مع علاء الدين الجويني، صاحب ديوان بغداد[٧]. وعين خلفاً له احد الامراء المغول المسمى قرابوغا، الذي كان عهده بداية لتعيين سلسلة من الشحان جميعهم من المغول طيلة العهد الايلخاني. ولكن قرابوغا عزل بعد سنة من تعيينه نظراً لاخفاق محاولاته في التآمر على علاء الدين عطا ملك الجويني، وعين هولاكو بدلاً عنه احد المغول باسم توكال بحشي[٨].

وحدات البلاد الإدارية الاخرى

ابقت حكومة بغداد التي عينها هولاكو، التقسيمات الادارية للعراق بشكل عام على ما كانت عليه في عهد الخلافة العباسية، ففضلاً عن بغداد عاصمة البلاد ومقر صاحب الديوان، فقد قسمت البلاد الى خمس وحدات ادارية اخرى، اطلق عليها الاعمال[١]، وهي:

الأعمال الحلية والكوفية

[٣] ابن العبري، تاريخ الدول السرياني، ص١٢٩؛ عماد عبد السلام رؤوف ، حكام العراق وموظفوه ، ص٦٤.

[٤] السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٣١٧.

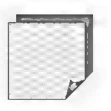
[٥] اليونيني، ذيل مرآة الزمان،جـ١،ص١٢٧.

[٦] مجهول، الحوادث الجامعة، ص٣٥٢.

[٧] المصدر نفسه،ص٣٥٢.

[٨] المصدر نفسه، ص٣٥٣؛ عماد عبد السلام رؤوف، حكام العراق وموظفوه، ص٦٤.

[١] الاعمال تستعمل للمفرد والجمع.



خضعت الحلة لسلطة هولاكو سلماً بعد احتلال بغداد مباشرة[٢]، ثم اضيفت اليها ادارة الكوفة، وجعلت الها ادارة واحدة يراسها صدر يتبع سلطة صاحب الديوان ببغداد، اطلق عليه (صدر الاعمال الحلية والكوفية)[٣].

الأعمال الفراتية

وقد فوض هولاكو الحكم فيها الى تاج الدين علي بن الدوامي، وكان يعمل في السابق حاجباً لباب الخليفة المستعصم بالله، وهو من جملة الذين خرجوا مع الوزير ابن العلقمي الى هولاكو[٤]، وتعاون معه مثلما فعل مرؤوسه ابن العلقمي نفسه. وقد توفي في السنة نفسها، فعين ولده مجد الدين حسين عوضاً عنه[٥].

الأعمال الشرقية

وتضم الخالص وطريق خراسان والبندنيجين، وقد فوض هولاكو حكمها الى نجم الدين احمد بن عمران من اهل باجسرا[١]، احد المتعاونين مع المغول، فكافأه على ذلك، ومنحه لقب ملك، ولقبه بالوزير الصادق والمخلص[٢]. وهذه الاعمال امضى فيها هولاكو بعض من الوقت عند تقدمه في حملته العسكرية صوب بغداد، وكذلك عند تراجعه مع الخليفة المستعصم بالله، قبل اصدار امر قتله في قرية وقف من هذه الاعمال[٣].

---

(٢) مجهول، الحوداث الجامعة، ص٣٣٨.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٣٨.

(٤) رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ٢، ص٧١٢.

(٥) مجهول، الحوداث الجامعة، ص٣٣٦.

(١) مجهول، الحوداث الجامعة، ص٣٣٢.

(٢) عباس العزاوي، تاريخ العراق، جـ١، ص٢٠١.

(٣) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١٢.



الأعمال الواسطية والبصرية

حظيت الاعمال الواسطية والبصرية باهمية خاصة عند هولاكو بسبب موقعها الجغرافي المتميز وسعة مساحتها، ولكونها كانت موطناً لبعض القبائل التي تثير المتاعب للمغول. وبموجب هذه الاسباب قام هولاكو شخصياً بحصر تعيين ومحاسبة صدور هذه الوحدة الادارية بيده، دون تفويض اي جهة اخرى بذلك، حتى ان صاحب ديوان بغداد لم يكن له حق ممارسة اية سلطة ادارية عليه، ولذلك حمل بعض متولي صدور هذه الاعمال لقب ملك، واول من عينه هولاكو منهم على هذه الاعمال هو سراج الدين البجلي(٤)، الذي لم يستمر طويلاً في الحكم بسبب اتهامه بالخيانة، حيث قبض عليه وعذب، وطولب باموال واسط والبصرة وصودرت املاكه(٥). وعين بدلاً عنه الملك مجد الدين صالح بن الهذيل في سنة ٦٦٠هـ/١٢٦٢م(٦)، وبعد عزله عين الملك فخر الدين منوجهر خلفاً له في السنة نفسها(٧).

داقوق وما حولها

خضعت داقوق وما حولها في وقت مبكر لاحتلال المغول على يد الامير بايجونوين، الذي شارك فيما بعد مع جيوش المغول التي حاصرت بغداد(١). ويبدو انه ترك حكم هذه المنطقة لاحد امرائه الذي لم تذكر لنا المصادر عنه شيئاً .

فضلاً عن ذلك، فان الوحدات الادارية الفرعية الصغيرة، فقد خول الحكم فيها الى صدور من فئة النظار(٢)، وصاحب هذه الوظيفة هو موظف مالي بالدرجة الاولى، ولكن بسبب عدم وجود التخصص الدقيق في الادارة، سمح له

(٤) مجهول، الحوداث الجامعة، ص٣٣٨.

(٥) المصدر نفسه، ص٣٣٨.

(٦) المصدر نفسه، ص٣٣٨.

(٧) المصدر نفسه، ص٣٤٩.

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١١.

(٢) مجهول، الحوداث الجامعة، ص٣٣٨.



بالاشراف على امور ادارية ايضاً [٣]. ويرجح ان النظار كانوا يحصلون على مناصبهم بصيغة الضمان مقابل اموال يقدمونها لرؤساء الاعمال الادارية في مناطق عملهم.

الجزيرة الفراتية والموصل

عهد هولاكو حكم اقليم الجزيرة الفراتية وديار بكر الى تودان بن بايجونوين، فيما ظلت الموصل تتمتع بصفة ادارية مستقلة تقديراً من هولاكو لما ابداه حاكمها الشهير بدر الدين لؤلؤ من مساعدة وتعاون في اثناء حملة هولاكو على دولة الخلافة العباسية [٤]، ولم يخل بذلك الاستقلال سوى ما اورده ابن شداد من وجود بيت كان يسكن فيه احد رسل هولاكو يقال له (نوين) بصفة دائمة [٥]. وعلى ما يبدو فانه كان احد الشحان المغول المعينين من قبل هولاكو ومهمته ادارة المدينة من الناحية العسكرية.

الا ان المدينة خسرت هذه الميزة عندما خلف الملك الصالح بن بدر الدين لؤلؤ والده بتفويض من هولاكو، فبعد سنتين من توليه الامارة في طاعة هولاكو بدأ يراجع موقفه من السلطان المغولي والتخلص من سلطة الشحنة، فقام ليس بتحدي سلطة هولاكو ونوابه، تماماً كما فعل بعض الحكام الاراتقة في ديار بكر والجزيرة [١]، والذين التجأ كثيراً منهم للحكام المماليك. وانما العمل على قتال هولاكو والتصدي لاتباعه من المغول، ولكن ذلك التحدي لم يأت بثماره، بل ادى الى ان تخضع الموصل لسلطة هولاكو المباشرة، فقد تمكن احد قادته المسمى سمداغو في سنة ٦٥٩هـ/١٢٦١م من احتلال المدينة بجيش كبير بعد ان احدث

---

(٣) نوري العاني، العراق في العهد الجلائري، ص٩٩.

(٤) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٨٢.

(٥) الاعلاق الخطيرة، ص٤٤.

(١) ابن العبري، تاريخ الدول السرياني، ص١٢٩.



فيها مجازر رهيبة، والغى الاستقلال الذاتي الذي تمتعت به المدينة[٢]، وتحولت الى عاصمة ادارية لاقليم الجزيرة الفراتية[٣].

اربل

تم احتلال اربل من قبل المغول سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٩م بمساعدة من بدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل[٤]، الذي فوض اليه حكم المدينة نيابة عن المغول. ولكن بعد اشهر قليلة من سريان الامر، تمكن احد الاشخاص باسم شرف الدين جلالي من طرد نائب بدر الدين لؤلؤ منها، وتولى حكمها بنفسه، وثأراً من ذلك ارسل بدر الدين لؤلؤ من يتولى قتله[٥].

ثم تولى حكم اربل بعده رجل نصراني يدعى المختص لمدة عام واحد[٦]. اعقبه ابنه تاج الدين بن المختص[٧]. واخيراً فوض هولاكو حكم المدينة الى مجد الدين صالح بن الهذيل[٨]، الذي شهدت المدينة في مدة حكمه عهداً من الاستقرار.

إدارة هولاكو لامارات وسط وجنوب ايران

استغل هولاكو في بادئ الامر انصياع الامارات المحلية في وسط وجنوب ايران (الاتابكيات) لحكمه، فابقى حكامها في اماراتهم، رغبة منه في استمرار طاعتهم له، واغراء لأُسر اخرى بالدخول في معسكره، والتخلي عن المقاومة[١]. ولذلك اكتفى في البداية بان يمثل الادارة المغولية في هذه الامارات والاتابكيات، احد الشحان المغول، مقابل التزامات مالية وعسكرية، فقد كان على تلك الامارات

---

(٢) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، جـ١، ص٣٧٠.

(٣) مجهول ، الحوادث الجامعة، ص٣٤٥.

(٤) رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ٢،ص٧١٦.

(٥) ابن العبري، تاريخ الدول السرياني، ص١٣٤.

(٦) المصدر نفسه، ص١٣٤.

(٧) المصدر نفسه، ص١٣٤.

(٨) مجهول ، الحوادث الجامعة،،ص٤١٨؛ عماد عبد السلام رؤوف، حكام العراق وموظفوه، ص٧٤.

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٦٩١.



تقديم مبلغاً معيناً من المال سنوياً ، وان تكون على استعداد للتعاون معه في حالة الحرب، وذلك بتقديم عدد من الجند يطلق عليهم الكوتة المقررة. ولكن ما ان استقرت الاوضاع لصالح هولاكو، حتى احذ يبدل من سياسته الادارية المرنة ظاهرياً مع حكام تلك الامارات، حيث بدأ يحد كثيراً من استقلالية تلك الولايات، ويتدخل في ادق شؤونها الداخلية، ولم يكن في وسع هؤلاء الحكام عمل شيْ، سوى تنفيذ ارادته المطلقة. ومن هذه التبدل، نجد انه اصبح على الاتابكة الذين يتولون الحكم حديثاً ، ان يحصلوا على تفويض بحكم امارتهم من هولاكو شخصياً ، وتتم مراسم التعيين بحضور المرشح او احد ممثليه الى الاردو الخاص بهولاكو لاستلام يرليغ التعيين بتقليد حكم البلاد من الايلخان نفسه. وقد يتضمن التفويض الحصول على بايزة[٢]، كما كان هولاكو يرسل احياناً الجتر والسنجق لكي يرفع فوق رأس الامير عند جلوسه او تنقلاته في المناسبات. وهناك بعض الاشارات التي تشير الى ان هولاكو كان يرسل سيفاً وبعض الخلع كالثياب ليرتديها المرشحين في حفل الجلوس، الذي يحضره ممثل هولاكو في الامارة[٣]. زد على ذلك ان هولاكو كان يحرص كثيراً على زيارات هؤلاء الامراء الى بلاطه تعبيراً عن الطاعة، وحتى محاسبة من يريد محاسبته منهم[٤]. وكان من نتائج هذه السياسة الادارية لهولاكو ان نجح في القضاء على استقلال بعض من تلك الاسر ،وضم ممتلكاتها الى املاك الدولة الايلخانية، وما تبقى منها فقد احتفظت باستقلال شكلي.

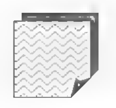
وفيما يلي وصفاً للاوضاع السياسية والادارية لتلك الامارات في عهد هولاكو، متمثلاً بكل من اتابكيات فارس وشبنكاره وامارتي كرمان ويزد ومنطقة لورستان الكبير والصغير، وكذلك كل من هراة وسلاجقة الروم وجورجيا.

أتابكية فارس

(٢) المصدر نفسه، جـ٢، ص٦٨٠.

(٣) بيبرس الدويدار، زبدة الفكرة، ص٣–ص٥.

(٤) مجهول ، الحوادث الجامعة، ص٣٣٨؛ القزاز، الحياة السياسية،ص٣٥٤.



تعد الاسرة السلغورية التي حكمت فارس وشيراز منذ سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م من اهم الاتابكيات في جنوب ايران التي لم تجتاح قوات المغول بقيادة هولاكو اراضيها، حيث سد حكامها الطريق على الغزاة الى بلادهم بقبولهم دفع الخراج والخضوع لسيادتهم[١]، وبعملهم هذا لم ينقذوا بلادهم فحسب، بل حموا سائر المدن الكبرى في جنوب ايران من التدمير والخراب الذي حل بمدن بلاد الخلافة الاخرى[٢]. وكان ابو بكر بن سعد (٦٢٣-٦٥٨هـ/١٢٢٦-١٢٦٠م)، اشهر الاتابكة السلغوريين منزلة واستقلالاً ، والذي في عهده بلغت قوة هذه الاسرة الى ذروتها ، وقد احتفظ بعلاقات ودية مع المغول، فحين قدوم هولاكو ارسل ابو بكر ابنه الى معسكره، اقراراً منه بسيادة المغول على اتابكيته[٣]. ولما تحقق لهولاكو اسقاط الخلافة العباسية، اوفد له ايضاً ابنه سعد لتهنئته بهذا الانجاز، تأكيداً لالتزامه بهذه السيادة[٤].

غير ان هولاكو وجد في وفاة ابي بكر بن سعد في سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م، ووفاة ابنه سعد بعده باثني عشر يوماً ، الفرصة المناسبة في الحد من استقلال اكبر امارات ايران قوةً ، واخضاعها بشكل اكبر لنفوذه، فاصدر يرليغاً يقضي بتعيين الابن الاصغر لسعد المسمى محمد اتابكاً على امارة فارس، ونظراً لحداثة سنه فقد فوَّض لوالدته تركان خاتون، شقيقة علاء الدين اتابك يزد بان تكون وصية عليه[١].وقد اظهرت تركان خاتون كفاءةً بشؤون الحكم، واحتفظت بعلاقات ودية مع هولاكو، عن طريق ارسالها التحف والهدايا الثمينة له[٢].

لم يستمر الصبي محمد طويلاً في الحكم، حيث توفي في سنة ٦٦٠هـ/١٢٦٢م[٣]، وحينئذ قام امراء فارس وتركان خاتون بتنصيب احد افراد الاسرة واسمه محمد بن سلغور بن سعد، والذي كان يرتبط بعلاقة مصاهرة مع

---

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢، ص٧١٤.

(٢) عباس اقبال، تاريخ المغول، ص٣٨٠.

(٣) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ٢،ص٦٨٨.

(٤) المصدر نفسه،جـ٢،ص٧١٤.

(١) الجوزجاني، طبقات ناصري،جـ٢،ص١٩٠.

(٢) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا،جـ٥،ص٤٢٥.

(٣) المصدر نفسه،جـ٥،ص٤٢٧.

تركان خاتون عن طريق زواجه باحدى بناتها[٤]، الا ان هذا الاتابك ما ان استقر في دست الحكم حتى انغمس في اللهو، واتبع طريق التعسف، فنفر الناس والامراء منه، ولما كانت تركان خاتون تخشى على سلطانها، فقد تواطأت مع بعض الامراء على عزله، والقت القبض عليه في العاشر من رمضان سنة ٦٦١هـ/١٢٦٣م، وارسلته مخفوراً الى الاردو ومعه رسالة الى هولاكو تذكر فيها انها القت القبض عليه، وارسلته له بعد ان تمادى في سفك الدماء[٥]. وبموافقة هولاكو قامت تركان خاتون باحضار سلجوق شاه الاخ الاكبر للاتابك محمد، وكان مسجوناً، ونصبته اتابكاً للامارة[٦].

ويبدو ان سلجوق شاه، بعكس نظرائه من الاتابكة السابقين، مثل تحدياً خطيراً لسلطة هولاكو، فقد كان يتطلع الى التخلص تماماً من النفوذ المغولي، وكانت اولى خطواته تكليفه لاحد اتباعه بقتل تركان خاتون التي تزوجها بعد اعتلائه دست الحكم، وكانت تعتزم الغدر به بتوجيه من هولاكو[٧]. ولم يكتف سلجوق شاه بقتل زوجته، بل تعقب النواب المغول المعينين من قبل هولاكو في شيراز وقتل احدهم، واضرام النار في ديارهم بعد فرارهم من الامارة. وتشير بعض الروايات الى انه قام بمراسلة السلطان المملوكي بيبرس لطلب المساعدة منه، والوقوف معاً في وجه هولاكو[١].

ولما علم هولاكو باخبار التمرد في فارس، وخشية من انتقاله الى الامارات الاخرى، سارع بارسال جيش الى الامارة بقيادة امير مغولي اسمه التاجو، للاطاحة بسلجوق شاه، واعادة الاوضاع الى نصابها. وامر هولاكو بان ينضم الى هذا الجيش في مهمته كلاً من علاء الدين اتابك يزد، ونظام الدين حسن ملك شبنكاره وايج[٢].

---

(٤) المصدر نفسه،جـ٥،ص٤٢٧؛عباس اقبال، تاريخ المغول،ص٣٨٤؛ برويز اسدي زاده، دائرة المعارف او قاموس الاعلام والادب،جـ١،ص١١٦.

(٥) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا،جـ٥،ص٤٣١.

(٦) المصدر نفسه، جـ٥،ص٤٣١.

(٧) المصدر نفسه، جـ٥، ص٤٣٢؛عباس اقبال، تاريخ المغول، ٣٨٥.

(١) بيبرس الدويدار، زبدة الفكرة، ص١٨؛ المقريزي، السلوك، جـ١، ص٥٣٥.

(٢) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا،جـ٥،ص٤٣٩.

لقد تمكن سلجوق شاه من قتل منافسه نظام الدين حسن ملك شبنكاره عندما نشب القتال بين الفريقين في كازرون[٣] سنة ٦٦٢هـ/١٢٦٤م، ولكنه لم يتمكن من المقاومة كثيراً، فلاذ بالفرار، ولجأ الى احد المساجد بمدينة شيراز، فحاصره المغول بقيادة التاجو، ومعهم اتابك يزد علاء الدين لالقاء القبض على سلجوق شاه او قتله، الا ان الاخير لم يلق مصرعه، الا بعد ان سقط اتابك يزد على اثر اصابته بضربة سهم من احد امراء الاتابك السلغوري. وهكذا شهدت هذه الموقعة مصرع ثلاثة من ملوك ايران[٤].

وبمصرع سلجوق اصبح اقليم فارس مطمعاً لهولاكو والمغول بعد ان ظل بمأمن من غزوهم قرابة نصف قرن، فبعد اقل من سنة استغل هولاكو بعض الاحداث التي وقعت في شيراز[١]، فعزم على ضم امارة فارس بشكل تام الى

[٣] كازرون: وهي اجل مدن كورة سابور في اقيم فارس. انظر: لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٣٠٢.

[٤] بمقتل سلجوق شاه لم يبق من ذرية الاتابكة السلغوريين من يرث اتابكية فارس، سوى ابنتي الاتابك سعد وهما ابش خاتون واختها، فنصبت ابش خاتون حاكمة على فارس، وصدق القائد المغولي التاجو على حكمها. (ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج٥،ص٤٣٩).

[١] في سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٥م ظهر احد اشراف شيراز المقيمين بخراسان، ويدعى سيد شرف الدين ابراهيم وادعى انه المهدي المنتظر، وجمع حوله عدد من التركمان وغيرهم، وذهب بهم الى حدود شبنكاره ثم الى شيراز بهدف الاستيلاء عليها وطرد المغول منها.فارسل حاكم المدينة المغولي جيشا لصد اتباع سيد شرف الدين وتم قتله في شهر رجب من العام نفسه.

ادى نبأ تمرد شرف الدين الى غضب هولاكو فحكم على قائده التاجو بالضرب بالعصا لتهاونه عن القتل وتأديب المتمردين في شيراز. وراسل فرقة من الجيش لاداء هذه المهمة. ولكن حين بلغه نبأ اخماد تمرد سيد

الادارة الايلخانية المباشرة، وسلك في سبيل تحقيق ذلك ما اعتاد عليه حكام المغول من تزويج ابنائهم من بنات الحكام الموالين لهم، لضمان استمرار ولائهم، ففي سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٥م قبل وفاته، خطب هولاكو ابش خاتون، ابنة الاتابك سعد، التي نصبت حاكمة بعد مقتل سلجوق شاه ، لابنه منكوتيمور، وبعد ان تم زواجهما ، امر هولاكو بضم امارة فارس لديوان الممالك الايلخاني رسمياً، وتم تكليف موظفين من الديوان المركزي بحصر اموال وجمع الضرائب في شيراز، والتحكم في عوائدها ونفقاتها باسم الادارة المغولية[٢].

إمـارة شبنكـاره

في حقبة استيلاء الاتابكة السلغوريين علا نجم اسرة اخرى في الجزء الشرقي من هذه الولاية، أي في المنطقة الفاصلة بين فارس وكرمان والخليج العربي وتضم دارا بجرد[٣] ونيريز وايج وفرك وطارم واصطهبانات واستولوا على الولايات التي كانت تعرف آنذاك باسم شبنكاره. وكان حكام هذه الناحية يعرفون بملوك شبانكاره او امراء ايج[٤].

وعند قدوم هولاكو الى ايران، كان الملك مظفر الدين الشبنكاري يحكم في شبنكاره الذي لم يكن على وفاق مع الحاكم السلغوري ابو بكر بن سعد اتابك فارس لوجود عداوة قديمة بينهما[١]. ويبدو ان هولاكو لم يكن راضياً عن حكم هذه الاسرة، ربما بسبب عدم انصياع حكامها له، حتى بعد قيام الدولة الايلخانية، ففي بداية سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م ارسل احد امراء جيشه لفتح قلعة ايج، معقل حكام شبنكاره التي كان مظفر الدين محمد قد لجأ اليها، وشرع في قتال جيش هولاكو،

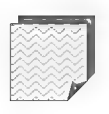
شرف الدين واستسلام اهل شيراز، تراجع عن ارسال تلك الفرقة. انظر: ميرخواند، تاريخ روضة الصفا،ج٥، ص٢٦٩.

(٢) رشيد الدين، جامع التواريخ،ج٢، ص٨٠٢.

(٣) دارابجرد: اعظم مدن شبنكاره وقد اتخذت مقراً لحكامها. زامباور ،معجم الانساب،ج٢،ص٣٨٠،.

(٤) يرجعون نسب انفسهم الى اردشير بابكان، الذين كانوا اسلافهم يحكمون فارس قبل فتحها من العرب المسلمين. عباس اقبال، تاريخ مفصل ايران،ج١، ص٣٧٥.

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ،ج١، ص٥١٢؛ اقبال، المصدر نفسه،ج١،ص٣٧٥.



الا انـه بسـبب عـدم التكـافؤ بـين الطـرفين، ادى الـى مصـرعه، واستسـلام مـن كـان معـه فـي القلعـة، وتخريـب بقيـة قـلاع شبنكاره، الا ان الامـارة ظلـت بيـد ابنـاء هـذه الاسـرة،حيث امـر هولاكـو بتوليـه قطـب الـدين مبـارز بـن الملـك مظفـر الـدين حاكمـاً على شبنكاره، مع الاعتراف بالسيادة المغولية عليها[٢].

إمــارة كـرمان

عرفـت الاسـرة القراخطائيـة التـي حكمـت كرمـان منـذ تأسيسـها علـى يـد بـراق الحاجـب الملقـب بقتلـغ شـاه (٦١٩-٦٣٢هــ/١٢٢٢-١٢٣٤م) بمولاتهـا لآل جنكيـز[٣]، واستمرت علـى ذلـك عنـد قـدوم هولاكـو الـى ايـران حيـث قـدم حاكمهـا قطـب الدين فروض الطاعة له، واشترك معه في حملته على طائفة الاسماعيلية[٤].

ويبـدو ان سـلطة هولاكـو علـى امـارة كرمـان كانـت كبيـرة جـداً، وان الاسـتقلال الـذي كانـت تتمتـع بـه كـان شـكلياً، فقـد بلـغ مـن سلطته الـى حـد ان لا يسـتطيع ان يخلـف الابـن عـرش ابيـه، الا بتفـويض منـه، فمـثلاً حـين تـوفى قطـب الـدين حـاكم كرمـان فـي سـنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، ارسـلت ارملتـه قتلـغ تركـان رسـولاً الـى هولاكـو خـان تبلغـه بوفـاة زوجهـا[٥]، وتنتظـر تعليماتـه بهـذا الشـأن، فاصـدر هولاكـو يرليغـاً بـان تحكـم كرمـان مـن قبـل ابنائـه الصـغار تكريمـاً لقطـب الـدين، وعـين قتلـغ تركـان وصـية علـيهم، فولـت بـدورها ابـن زوجهـا الصـغير حجـاج (٦٥٦هـ-٦٦٦هـ/١٢٥٨-١٢٦٨م)ملكـاً، وتولـت هـي شخصـياً ادارة شـؤون الحكـم باسمه[١].

وفـي خطـوة مماثلـة لمـا حـدث فـي امـارة فـارس، مـن اجـل ابـتلاع الامـارة وضـمها لسـلطته المباشـرة اقـدم هولاكـو علـى تـزويج ابنـه اباقـا مـن ابنـة قتلـغ تركـان

---

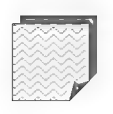
(٢) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا،جـ٥،ص٤٦٩؛عباس اقبال، تاريخ المغول،ص٣٧٥؛ زامباور، معجم الانساب، جـ٢،ص٣٨٠.

(٣) الجويني، تاريخ جهانكشاي،جـ٢،ص١٦٥؛عباس اقبال،تاريخ مفصل ايران، جـ١،ص٣٩٧.

(٤) الجوزجاني، طبقات ناصري، جـ٢،ص١٩٠.

(٥) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا،جـ٥،ص٤٧١.

(١) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، جـ٥، ص٤٧١.



المسماة بادشاه[٢]. غير ان تركان خاتون المعروفة بحنكتها، اتبعت شتى الوسائل للمحافظة على استقلال الامارة ونجحت في مسعاها حتى لما بعد وفاة هولاكو.

إمـــارة يزد

كانت يزد تحكم من قبل ديالمة كاكويه منذ سنة ٤٣٣هـ/١٠٤٠م وقد تزامن غزو المغول بقيادة جنكيزخان مع اتابكية علاء الدولة بن سام، الذي كان تولى هذا المنصب منذ سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م وكان جلال الدين منكبرتي يناديه بالوالد ويوليه احتراماً بالغاً. وحين اشتبك جلال الدين مع المغول قرب اصفهان، كان هذا الاتابك في ركابه وقتل في هذه الموقعة في سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٧م[٣].

وعند قدوم هولاكو الى ايران كانت اتابكية يزد تحكم من قبل شاه علاء الدين بن قطب الدين (٦١٦-٦٦٢هـ/١٢١٩-١٢٦٤م) الذي كان يتمتع بمكانة كبيرة وسط الاسر الحاكمة في جنوب ايران فهو من جهة حفيد براق الحاجب، مؤسس اسرة قراخطائيي كرمان، ومن جهة اخرى شقيق لتركان خاتون زوجة اتابك فارس سعد بن زنكي السلغوري. وفي الوقت نفسه كان يحتفظ بعلاقات طيبة مع هولاكو. ولما قتلت شقيقته تركان خاتون بيد اعوان زوجها، طلب المعونة من هولاكو، وخاض لحرب مع جيشه ضد سلجوق شاه اتابك فارس ثأراً لمقتلها[١]. وكما سبقت الاشارة، فقد قتل شاه علاء الدين في هذه الحرب، وفوض هولاكو حكم اتابكية يزد الى ابنه يوسف شاه (٦٦٢-٦٩٠هـ/١٢٦٤-١٢٩١م) الذي ظل يعترف بتبعيته للمغول طيلة مدة حكم هولاكو وما بعدها[٢].

---

(٢) المصدر نفسه، جـ٥، ص٤٧٢؛عباس اقبال، تاريخ المغول،ص٤٩٨.

(٣) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا،جـ٥،ص٤٣٩؛عباس اقبال، تاريخ المغول،ص٣٩٦.

(١) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا،جـ٥،ص٤٤٠.

(٢) المصدر نفسه،جـ١،ص٥٤٩؛ عباس اقبال، تاريخ مفصل ايران،جـ١،ص٣٩٧؛ زامباور، معجم الانساب، جـ٢،ص٣٧٩.

لـورستـــان الكبيرة

وهـي الاراضـي التـي كانـت تسكنها قبائـل اللـور، وتنقسم الـى قسمين، اللـور الكبيـر واللـور الصـغير[٣]، وفيمـا بـين اراضـي اللـور وشـيراز هنـاك منطقـة ثالثـة صـغيرة يقطنهـا اللـور وتسـمى شولسـتان[٤]. وكـان اللـور الكبيـر واللـور الصـغير يحكمـان مـن قبـل امـراء شبه مسـتقلين منـذ حقبـة مـا قبـل الاجتيـاح المغـولي. وكـان لقبائل اللور الكبير وامرائه شهرة اكبر من اللور الصغير[٥].

وقد ابـدى هولاكـو اهتمامـاً كبيـراً بـبلاد اللـور الكبيـر او (لورسـتان) بسـبب موقـع الـبلاد المهـم، والتـي تقـع بـين اقلـيم فـارس والعـراق العجمـي والعـراق العربـي وشولستان. كمـا ان امرائهـا كـانوا يحتفظـون بعلاقـات وديـة مـع اتابكـة فـارس والخلفـاء العباسـيين فـي آن واحـد، والاهـم مـن ذلـك ان منطقـة سكناهم كانـت تقـع علـى طريـق العـراق وسـواحل الخلـيج العربـي، وكـان لا بـد لاي حملـة مـن جنـوب غـرب ايـران باتجـاه الغـرب الـى بـلاد العـرب ان تمـر عـن طريـق مسـاكن تلـك القبائـل، فكـان ذلـك السـبب الاهـم فـي ان يحـرص هولاكـو كـل الحـرص علـى اخضـاع هـذه الامـارة لسلطته.

وكانـت اسـرة آل فضـلويه، التـي يعـود اصـلها الـى اكـراد الشـام وهـاجرت الـى ايـران عـن طريـق ميافـارقين واذربيجـان، هـي التـي حكمـت اللـور الكبيـر منـذ قرابـة منتصـف القـرن السـادس الهجـري/ الثـاني عشـر المـيلادي[١]. ويعـد الاتابـك مظفـر الـدين تكلـه بـن هزارسـب (٦٤٩-٦٥٦هـ/١٢٥١/١٢٥٨م) اشـهر اتابكـة لورسـتان، وكـان يحكـم الـبلاد فـي اثنـاء وصـول هولاكـو وجيشـه الـى هـذه المنطقـة فـي سـنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م فـي طريقـه لغـزو عاصـمة الخلافـة العباسية بغداد. وحينئذ لـم يكتـف مظفـر الـدين تكلـه بـاعلان طاعتـه التامـة لسـلطة هولاكـو، وانمـا رافقـه بنفسـه فـي هـذه الحملة، وذلك لعدم قدرته على رفض مطاليب سيده الجديد[٢].

---

[٣] ياقوت الحموي، معجم البلدان،جـ٥،ص٢٥.

[٤] عباس اقبال، تاريخ مفصل ايران، جـ١،ص٤٣٢.

[٥] المصدر نفسه، جـ١،ص٤٣٣.

[١] ياقوت الحموي، معجم البلدان،جـ٥،ص٢٥؛عباس اقبال، تاريخ المغول، ص٤٣٣.

[٢] ميرخواند، تاريخ روضة الصفا،جـ٥،ص٢١٢؛ Howorth, op.cit.,vol.3,p.140.



وعلى الرغم من ان بعض المصادر تؤكد ان مظفر الدين تكله بعد ان شهد بنفسه احتلال بغداد، والفضائع التي ارتكبها هولاكو فيها، بما في ذلك قتله لخليفة المسلمين ونكبة بلاد الاسلام، فانه تأثر لذلك بشدة، وندم على فعلته، فقرر العودة الى لورستان[٣]. الا انه على الارجح لم يحصل من هولاكو على ما كان يمني نفسه به من مكاسب، فعندئذ صمم على مقاومة التبعية للمغول.

ولما علم هولاكو بتراجع تكله عن ولاءه للمغول، امر بالقاء القبض عليه، غير ان اتابك اللور نجح في الافلات والعودة الى بلاده سالماً، الامر الذي دفع بهولاكو الى ان يرسل قائده الشهير كتبغانوين، برفقة عدد من قادة المغول الاخرين الى بلاد اللور لاعتقاله وجلبه للاردو، الا انهم تمكنوا من القاء القبض على ألب ارغو شقيق تكله في الطريق، دون ان يفلحوا في الامساك بتكله نفسه، حيث وصل الى قلعة منجشت وتحصن فيها[٤].

وفي الاخير وجه كتبغانوين انذاراً شديد اللهجة لتكله يحذره فيه من مغبة عدم الاستسلام. ولم يكن امام الاخير من خيار، سوى الاخذ بنصيحة احد اخوته، وهو شمس الدين بضرورة استسلامه لهولاكو. ولما سلم تكله نفسه، اصطحبه هولاكو معه الى مراغة وقتله في ذي القعدة سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، وعين شقيقه شمس الدين حاكماً على بلاد اللور بدلاً عنه[١]. وقد اعترف شمس الدين بتبعيته للمغول طيلة الخمسة عشر سنة التي ظل فيها على رأس الحكم.

لورستان الصغيرة

اما لورستان الصغيرة او اللور الصغير التي لم تكن تحظى بما نالته لورستان الكبيرة من شأن وصيت، فتعود علاقتها بالمغول الى عهد حاكمها حسام الدين خليل، الذي كان ينافسه على الحكم احد الامراء المتنفذين واسمه سليمانشاه ويتمتع بدعم الخليفة العباسي المستعصم بالله، لانه كان احد قادة جيش الخلافة، وقد استطاع ان يهزم حسام الدين خليل بمساعدة القوات التي امده بها الخليفة.

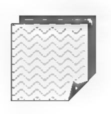
---

(٣) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا،جـ٥،ص٢١٣.

(٤) المصدر نفسه،جـ٥، ص٢١٣؛

Howorth, op.cit.,vol.3, p.140.

(١) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا،جـ٥،ص٢١٣؛ عباس اقبال، تاريخ المغول، ص٤٣٥.



ولم يكن امام حسام الدين خليل من بدٍ سوى الاستعانة بالمغول ضد كل من الخليفة وسليمانشاه، فشمله المغول بحمايتهم وعينوه قائداً عسكرياً لبلاد اللور الصغير. لكن سليمانشاه شن هجوماً جديداً بجيش كبير من جند الخلافة على حسام الدين خليل وقتله في سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م. بصحراء شابورخواست[٢].

وعندما علم المغول بهذه الواقعة، وهم في اذربيجان، غضبوا بشدة لتجاسر سليمانشاه وقتله لاحد اتباعهم، ووجهوا قرابة عشرة الاف من جنودهم انطلقوا من تبريز باتجاه همدان وبغداد، حيث حاصروا مجموعة من اتباع سليمانشاه على اطراف خانقين، واقتربوا من بغداد في ربيع الاخر سنة ٦٤٣هـ/١٢٤٥م. لكن الخليفة المستعصم بالله ارسل الدويدار الكبير شرف الدين الشرابي[٣] بقيادة قوة من جيش الخلافة للتصدي لهم، وقد نجح في هزيمتهم، وانقاذ بغداد في ذلك الوقت من اجتياح المغول[٤].

وبعد مقتل حسام الدين خليل، خلفه ابنه بدر الدين مسعود الذي ذهب الى بلاط منكوقاآن للاستعانة به للانتقام لمقتل ابيه، فارسله منكوقاآن الى اخيه هولاكو في ايران، مع التوصية بمصاحبته له في الحملة المرتقبة على بغداد. ولما تم احتلال بغداد، وتم قتل سليمانشاه سلم هولاكو افراد اسرته لبدر الدين مسعود، فاخذهم اسرى معه الى لورستان[١].

لم يستمر بدر الدين طويلاً في الحكم بعد ذلك، فقد توفي بعد عامين من احتلال بغداد في سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م، وخلفه في الحكم ابنه تاج الدين شاه الذي استمر في الحكم لما بعد وفاة هولاكو، دون ان يقوم باي عمل يدل على رفضه التبعية للحكام الايلخانيين[٢].

---

(٢) عباس اقبال، تاريخ مفصل ايران،جـ١،ص٤٤٠؛
Howorth, op.cit., vol.3, p.140.

(٣) وهو قائد جيش مماليك الخلفاء، كان نفوذه كبيراً في عهد الخليفة المستنصر بالله، الى حد انه كان يدير شؤون الخلافة، وكانه هو الحاكم الفعلي لدولة بني العباس، ولم يقل دوره شأناً في عهد الخليفة المستعصم بالله، وظل كذلك حتى وفاته في سنة ٦٥٣هـ/١٢٥٥م. انظر: مجهول، الحوادث الجامعة، ص١٦٨–ص١٧٠.

(٤) مجهول، الحوادث الجامعة، ص٢٤١.

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ١،ص٥٧٢.

(٢) عباس اقبال، تاريخ المغول، ص٤٤٠.

إدارة الإمارات الاخرى

هـراة

يُرجع ملوك هراة من بني كرت اصلهم الى السلطان سنجر من سلاجقة خراسان، واما علاقتهم بالاسرة الغورية فترجع الى ان جدهم لامهم عز الدين عمر بن محمد المرغني التحق بخدمة السلطان الغوري غياث الدين محمد بن بهاء الدين، وعين من قبله والياً على هراة[٣]. ويعد شمس الدين محمد بن ابي بكر كرت (٦٤٣-٦٧٦هـ/١٢٤٥-١٢٧٧م) المؤسس الحقيقي لحكم هذه الاسرة. ونتيجة للخدمات التي اسداها هو واسرته للمغول، فقد احتفظ بعلاقات جيدة معهم[٤]. وقد كافأه منكوقاآن الاخ الاكبر لهولاكو، بان ترك له حكم هراة وما حولها[٥]، واصبح الملك شمس الدين منذ عام ٦٤٨هـ/١٢٥٠م حاكماً مستقلاً لمملكة واسعة[٦].

ولم يكتف منكوقاآن بذلك،بل اصدر له يرليغاً ملكياً وخلع عليه، واوفده الى ارغون خان حاكم خراسان العام لمساعدته[١]، الذي لقى كل التاييد والعطف منه عندما عاد من قراقورم الى خراسان[٢].

وحين زحف هولاكو على ايران كما سبقت الاشارة، كان الملك شمس الدين من اوائل الذين سارعوا لاستقباله، وبذل جهده في معاونة هولاكو في الاستيلاء على كثير من قلاع قهستان العائدة للطائفة الاسماعيلية دون عناء[٣]. وفي طوال مدة حكم هولاكو، ظل شمس الدين على اخلاصه للمغول، ولم تشهد امارته احداث مهمة سوى تمرد حصل في كابل استمر لمدة سنتين، فوجه هولاكو في

---

[٣] الجويني، تاريخ جهانكشاي،جـ٢، ص٢١٨؛ قاضي احمد غفاري قزويني ،تاريخ جهان آرا، ص٥٣٢.

[٤] عباس اقبال، تاريخ المغول،ص٣٦٣.

[٥] رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ١،ص٦٠١.

[٦] فضلاً عن هراة ضمت جام وباخرز وبوشنج وغور وخيسار وفيروزكوه وغرجستان ومرغاب ومرو الروذ وفارياب واسفزار وفراه وسيستان وكابل وجزء من شرق افغانستان الحالية وحتى ضفاف نهر السند. عباس اقبال، تاريخ المغول، ص ٣٦٢.

[١] رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ١،ص٦٠٢.

[٢] المصدر نفسه ، جـ١، ص٦٠٧.

[٣] المصدر نفسه ، جـ١، ص٦٨٩.



سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م جيشه نحوها بقيادة ابنه يشموت والقائد ايلكانوين اللذان تمكنا من القضاء على تمرد المدينة وابقاء تبعيتها للمغول[٤].

سلطنة سلاجقة الروم

لما استدعى هولاكو قائده بايجونوين الحاكم العسكري لبلاد الروم للمشاركة في حصار بغداد[٥]، فانه اصدر الاوامر ايضاً بان تحكم البلاد قسمة بين الاخوين المتنافسين عز الدين وركن الدين[٦]. الا ان هذا الاجراء لم يحول دون استمرار المؤامرات والدسائس بينهما، الامر الذي اجبر الاخ الاكبر عز الدين للالتجاء الى القسطنطينية في سنة ٦٦٠هـ/١٢٦٢م تاركاً اخاه الاصغر ركن الدين منفرداً بالسلطة في بلاد الروم، الذي اتخذ لنفسه لقب قليج ارسلان الرابع، ومع انه مارس سلطته بصفته تابعاً لهولاكو، الا ان تلك السلطة المحدودة لم تكن بيده، وانما كانت من صلاحيات الوزير القوي معين الدين بروانه المعين من قبل هولاكو شخصياً . وعلى اية حال، فان ركن الدين قتل في مدينة آق سراي عام ٦٦٣هـ/١٢٦٥م، بمؤامرة من الوزير معين الدين بروانه. وعلى اثر ذلك قام الوزير بتنصيب ابن ركن الدين المسمى غياث الدين في عرش السلطنة. ولما كان غياث الدين لا يزال طفلاً صغيراً، فقد اصبح هولاكوخان هو الحاكم الفعلي لبلاد الروم، وقد ترك فيها الوزير معين الدين بروانه لتصريف شؤون البلاد[١]

جورجيا

من المعروف ان الملك داود ملك جورجيا اعلن ولائه لهولاكو منذ وقت مبكر وانضم في عداد جيشه الغازي لبلاد الخلافة العباسية، الا انه قد ندم على

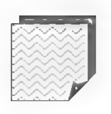
---

(٤) فصيح احمد بن جلال الدين (ت ٨٤٩هـ/١٤٤٥م)، مجمل فصيحي(مشهد : جاب طوس،١٣٣٩هـ.ش)، جـ٣، ص١٨٨؛ القزاز ، الحياة السياسية، ص١٥٣.

(٥) رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ٢،ص٧١١.

(٦) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٦٦-ص٢٦٨؛
Cahen.Claude,Pre-Ottoman Turkey, p.237.

(١) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول،ص٢٦٩.



ما يبدو على عمله، عندما وجد ان هذا التعاون لم يحقق له ما كان يبتغي من مكاسب، لا وبل على العكس من ذلك، فلم يجر عليه غير خضوع بلاده لسلطان الايلخانيين، فاخذ يتحين الفرص للتخلص من تلك التبعية، وقد توفرت له في سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٩م، عندما اعلن تمرده على سلطة هولاكو. وفي المقابل قام هولاكو بارسال الامير ارغون على راس قوة من الجيش المغولي الى تفليس عاصمة جورجيا وقد تمكن من اعادة جورجيا الى حضيرة الدولة الايلخانية دون ان يمس ملكها بسوء(٢).

وعندما كان هولاكو منشغلاً بالحرب ضد المماليك المصريين وهزيمة جيشه فيها، وجد الملك داود الفرصة مناسبة لاعلان تمرده مرة ثانية في سنة ٦٥٩هـ/١٢٦١م، الا انه لم يحظ بمساعدة من اتباعه، الذين تخلوا عنه خشية بطش هولاكو بهم، فاضطر للالتجاء الى بعض من ابناء عمومته امراء البلاد، ومن هناك تقدم بطلب العفو من هولاكو. الا ان الايلخان هذه المرة ايضاً كان على غير عادته في التعامل مع تمرد الملوك والسلاطين عليه، فقد قبل التماس الملك داود، وعفى عنه وفوض اليه حكم البلاد مجدداً باسم الايلخانيين(٣).



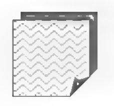
(١) العلاقات مع الامبراطورية المغولية وتوابعها

سعى هولاكو في سياسته الخارجية لاقامة تحالف وتعاون مع الدول التي كانت مصالحها تتفق مع الاهداف التي كان يبتغي تحقيقها، وذلك من اجل الحصول على المساعدة والدعم في صراعه ضد اعدائه، وعلى رأس تلك الدول، الامبراطورية المغولية الام، التي كانت لها السيادة الاسمية على جميع دول المغول، الا ان علاقة هولاكو بها

---

(٢) الدواداري، كنز الدرر،جـ٩،ص٢٤.

(٣) الدواداري، كنز الدرر، جـ٩،ص٢٤؛ القزاز، الحياة السياسية، ص١٥٣.



تميزت بالولاء والطاعة التامة، وهو أمر طبيعي، لكونه أحد اخوة القاآن. وكان من مظاهر هذا الولاء، هو التزام هولاكو بأرسال نصيب القاآنية من حصتها من الغنائم التي حصل عليها في حروبه في كل من ايران والعراق، فقد ارسل سهمين من كل خمسة اسهم تمكن من وضع يديه عليها، بناءاً على تعليمات القاآن اليه بهذا الشأن. وفي مقابل ذلك حصل على تأكيد من القاآن الاكبر منكو بتأييد شرعية حكمه[١].

ولما تولى قوبيلاي منصب القاآنية في سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م اصدر يرليغاً باسم اخيه هولاكو ثبته في حكمه، واعطاه حق السيادة على البلاد التي سبق وان حصل على شرعية حكمها من اخيه منكو[٢].

اما فيما يخص علاقة هولاكو بآل جوجي الذين يحكمون القبيلة الذهبية في القبجاق، فقد كانت اول الامر حسنة، وكانت الاسرتين شكلان تحالفاً في وجه الاسر الجنكيزخانية الاخرى، وكما هو معروف لدينا، فقد انتهت تلك العلاقات بصراع عسكري مرير بينهما، بعد تحالف مغول القبجاق مع الحكام المماليك في مصر[٣].

اما علاقة هولاكو بمغول الجغتاي الذين يحكمون بلاد ما وراء النهر، فكانت في بداية الامر يسودها التوتر، وذلك بسبب الصراع الذي نشأ في اعقاب الصراع على العرش المغولي سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م، وتحالف اسرة جغتاي وآل اوكتاي ضد جناح اسرة تولوي ومغول القبجاق[١]. ولكن هذا التوتر لم يحول دون ان ينفذ مغول الجغاتي اوامر منكوقاآن بالاسهام في الحملة على مشرق العالم الاسلامي، فقد قاموا بضيافة هولاكو وجيشه خلال مرورهم ببلادهم، فضلاً عن تقديمهم له الرجال والمؤن[٢]. غير انه في اعقاب وفاة منكوقاآن سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م، والنزاع الذي نشا بين قوبيلاي، والاخ الاصغر اريق بوقا على العرش القاآني، حاول امراء الجغتاي استغلال الوضع لصالحهم، والاستقلال بالبلاد التي يحكمونها بشكل اكبر، الا انه وبعد استقرار الوضع لصالح قوبيلاي، فان خطوتهم تلك اساءت لعلاقتهم بالقاآنية وحليفها هولاكو، فبدأت مرحلة جديدة تميزت بالعداء الشديد

---

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ٢،ص٧٢٢؛ القزاز، الحياة السياسية،ص٤٤٤.

(٢) رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ٢،ص٧١٥؛ القزاز، الحياة السياسية،ص٤٤٣.

(٣) انظر: الفصل الثالث، ص١٨١.

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ٢،ص٣٨٠-٣٨١.

(٢) المصدر نفسه،جـ٢،ص٦٨٨؛

Howorth, op.cit., vol.3, p.98.



بين الايلخانيين ومغول الجغتائي طيلة ما تبقى من عهد هولاكو، قبل ان تغلب على تلك العلاقات قيام الحروب في السنوات التالية لوفاته[٣].

(٢) العــلاقات مع البــابوية والــدول النصــرانية

تعود علاقة هولاكو مع البابوية، في اطار سعي بابوات روما لتنصير ايلخانات ايران، وفي هذا الخصوص تشير المصادر الى ان البابا اسكندر الرابع كان يراسل هولاكوخان، ومن بين تلك الرسائل احداها مؤرخة في سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م يشكره فيها على رعايته للمسيحيين، ويحبب له اعتناق المسيحية[٤]، ولكن دون ان نجد جواباً من لدن هولاكو على تلك الرسالة.

اما سياسة هولاكو تجاه الامارات المسيحية الشرقية مثل ارمينية الصغرى وجورجيا، فقد تميزت بكونها علاقة تحالف اذ شارك حكام الدولتين بجيوشها في الحملة العسكرية على العالم الاسلامي، ولم يعكر تلك العلاقات سوى ما قام به الملك داود ملك جورجيا من تمرد في السنوات الاخيرة من حكم هولاكو[٥].

والحقيقة ان هولاكو اخفق كثيراً في اقامة تعاون وثيق مع الامارات الصليبية الكاثوليكية في بلاد الشام، باستثناء امارة انطاكية وطرابلس التي كان صاحبها الملك بوهيمند قبل هذا التعاون بحكم مصاهرته وارتباطه العائلي مع ملك ارمينية، حليف هولاكو[١]، لا وبل ان بعضاً من تلك الامارات مثل الفرنج صليبي الساحل،رغبةً منها في الحفاظ على استقلالها، تعاونت مع المماليك ضد المغول، وساعدت بشكل غير مباشر في هزيمة جيش هولاكو في معركة عين جالوت[٢].

---

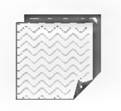
(٣) القزاز ، الحياة السياسية، ص٤٥٧.

(٤) مصطفى بدر ، مغول ايران،ص٧؛ القزاز ، الحياة السياسية،ص٤٢٦؛
Howorth, op.cit., vol.3, pp.207-202.

(٥) الدواداري، كنز الدرر ،جـ٩،ص٢٤.

(١) القزاز ،الحياة السياسية، ص٤٢٥.

(٢) المقريزي، السلوك،جـ١، ص٥٣١.



ويبدو ان هولاكو في سنوات حكمه الاخيرة تطلع الى اقامة علاقات جيدة مع الدولة البيزنطية من اجل كسبها الى جانبه في الصراع ضد المماليك ومغول القبجاق. وفي هذا المسعى خطب هولاكو ابنة الامبراطور البيزنطي لنفسه، من اجل تقوية هذا التحالف[٣].

ويبدو ان البيزنطيين لم ينجروا كلياً للتحالف مع هولاكو، تفادياً لخطر تعرضهم لضغط المماليك وحلفائهم مغول القبجاق من جانب. ولانهم كانوا ينظرون بعدم ارتياح لمحاولات هولاكو المستمرة لعقد تحالف مع الامارات الصليبية في بلاد الشام، التي تخالفهم في المذهب الذي يعتنقونه من جانب آخر[٤].

(٣) العلاقات مع دولة المماليك

على الرغم من هزيمة جيشه في معركة عين جالوت امام المماليك، الا ان هولاكو لم ييأس من الانتقام منهم، وتصميمه على مواصلة الحاق الضرر بهم عن طريق استخدام الوسائل غير العسكرية، ففي اعقاب المعركة المذكورة ادار هولاكو الصراع مع المماليك بوسائل سياسية عديدة، كان يستهدف منها شق صفوف وحدة هؤلاء الحكام، تارة من خلال الاتصال ببعض امراء البلاد المملوكية ومحاولة اغرائهم بالتعاون معه ضد سادتهم، رغم صعوبة الحصول على الموالين له، بعد الاعمال البشعة والمجازر التي ارتكبها في كل من ايران والعراق وبلاد الشام. وتارة اخرى بمحاولة اغراء القبائل العربية التي كانت تسكن على الحدود بين الجانبين بالتعاون معه، لما لتلك القبائل من دور سياسي وعسكري. وقد حققت مساعي هولاكو نجاحاً في بعض الاحيان، واخفقت في احياناً كثيرة. وفي هذا المحتوى حاول هولاكو اقناع الملك المنصور صاحب حماة في التعاون معه، عندما ارسل له بعض الرسل سنة ٦٦٠هـ/١٢٦٢م يحملون اليه يرليغاً منه، غير ان الملك المنصور قام بارسال الرسل واليرليغ الذي حملوه الى السلطان المملوكي بيبرس، وبذلك قطع الطريق على ما كان يبتغيه هولاكو من وراء محاولته تلك[١].

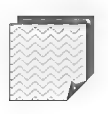
ولكن مساعي هولاكو حققت نجاحاً مع الملك المغيث صاحب الكرك، الذي قبل بالتعاون معه، واخذ يراسله ويكشف له احوال البلاد، ولم يكتف بذلك، بل عمد الى مراسلة

---

(٣) غير ان هولاكو توفى قبل ان يتزوجها، ثم تزوجها ابنه اباقا. انظر:
Howorth, op.cit., vol.3, p.204.

(٤) القزاز ،الحياة السياسية،ص٤٢٧.

(١) الدواداري: كنز الدرر، جـ٩،ص٦٢؛القزاز ، الحياة السياسية،ص٣٧٨.



بعض امراء الجيش المملوكي من الشهزورية[٢] ومحاولة اثارة تمردهم على السلطان المملوكي، الا ان ذلك لم يدم طويلاً، فقد انكشف امر الملك المغيث وتم قتله في سنة ٦٦١هـ/١٢٦٣م[٣].

ويبدو ان هولاكو حقق نجاحاً في مسعاه لكسب بعض القبائل العربية الى جانبه في صراعه مع المماليك، عن طريق ما كان يغدقه على تلك القبائل من الارزاق والاموال، فقد ذكر رشيد الدين ان الجيش الذي ارسله هولاكو لاحتلال الموصل بعد تمرد الملك الصالح بن بدر الدين لؤلؤ سنة ٦٥٩هـ/١٢٦١م كان من بين صفوفه عشرة الاف من الجند العرب، تحت قيادة الملك صدر الدين التبريزي[٤].

كما ان الجيش المغولي الذي هاجم عينتاب سنة ٦٦٢هـ/١٢٦٤م كان يضم الف رجل من قبيلة بني كلاب[٥].

ولقيت مساعي هولاكو ترحيباً من الامير زامل بن علي شيخ قبيلة آل فضل الذي كان قد عزل من الامارة بتدبير من ابن عمه عيسى بن مهنا، فوفد على هولاكو، وعمل في خدمته، وبتشجيع منه هاجم ابناء عمه والحق الاذى بهم، ففي سنة ٦٦٢هـ/١٢٦٤م استطاع القبض على رسل السلطان المملوكي المتوجهين الى شيراز، ووضع يده على الكتب المرسلة منه لحكام فارس بخصوص تعاون الطرفين ضد المغول فنال مكافأة هذا الاخير له بأن منحه إقطاعاً في العراق[١].

والخلاصة ان الغزو المغولي الذي قاده هولاكو ، بقدر ما كان كارثة على البلاد التي اجتاحها، فانه جاء ايضاً بوضع سياسي واداري جديد، تمثل بقيام

---

(٢) الشهرزورية: نسبة الى شهرزور التي تقع في منطقة الجبال الشمالية الشرقية من العراق، والامراء الشهرزورية هم امراء الاكراد الذين التحقوا بالسلطان صلاح الدين الايوبي، مؤسس الاسرة الايوبية،وتوارث هؤلاء الامراء مناصبهم مع ابنائه واحفاده حتى قيام الحكم المملوكي فتعاونوا معه. انظر: القزاز ، الحياة السياسية،ص٣٧٨-٣٧٩.

(٣) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ق٢،ص٧٧-٧٨،اليونيني،ذيل مرآة الزمان،جـ١،ص٥٣١؛ القزاز ،الحياة السياسية،ص٣٧٨.

(٤) جامع التواريخ،جـ٢،ص٧١٤-٧١٥.

(٥) ابن بهادر المؤمني،فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر، الورقة ١٠٦ نقلاً عن القزاز ، الحياة السياسية،ص٣٣٣.

(١) المقريزي، السلوك،جـ١،ص٥٣٥؛ القزاز، الحياة السياسية،ص٣٣٣.

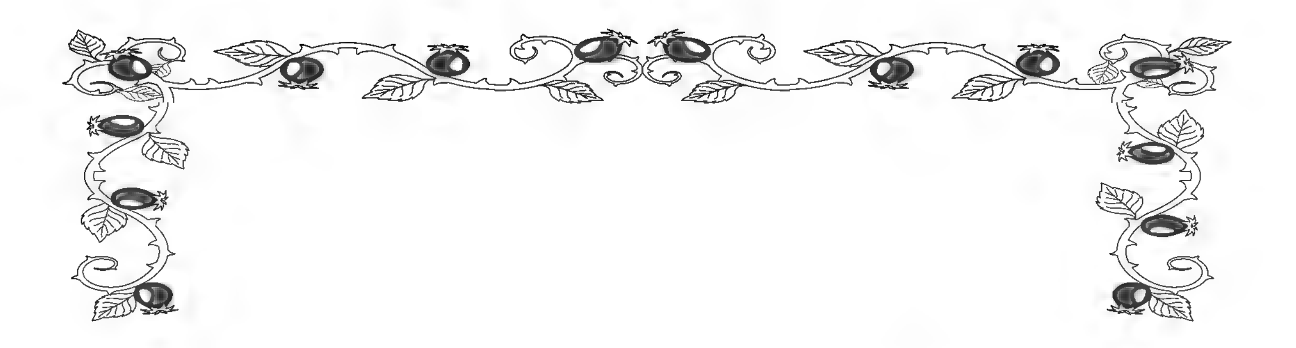
الدولـة الايلخانيـة التـي تـدار مـن العاصـمة الجديـدة مراغـه بتبريـز، وقـد اصـبح هولاكـو علـى رأس السـلطة فيهـا، مسـتمداً شـرعية حكمـه مـن تقاليـد الياسـا الجنكيزخانيـة التـي تعطـي الارض المفتوحـة ملكـا لفاتحهـا. الا انـه وفـي الوقـت ذاتـه وفـي اطـار السياسـة المغوليـــة التقليديـــة التـــي تقـــوم علـــى قطـــع رؤوس الحكام،والتعـــاون مـــع الادارات القائمة،فانـه ابقـى الـنظم والوظـائف الاسـلامية علـى حالهـا ليخضـع رعايـاه المسـلمين بقوانينهـا، وبـذلك تكـون الدولـة الجديـدة اقامـت اسسـها علـى تمـازج عنصـرين، الاول هـو اعتمـاد الياسـا المغوليـة فـي الجانـب السياسـي، والثـاني الـنظم الاسـلامية فـي مجـال الادارة، التـي اعطـت شـواهد واضـحة علـى التـأثير الاسـلامي فـي الادارة والحكم، فـافراد الطبقـة الاسـلامية الـذين خـدموا تحـت سـلطة هولاكـو كاصـحاب ديـوان ومسـاعدين اداريـين، وجـامعي ضـرائب وبيتكجيـة، ومـن الـذين عملـوا فـي تنظـيم الوثائق الحكومية وحفظها، نقلوا الرسوم والنظم الادارية الاسلامية للدولة الجديدة.

ومـع ذلـك ينبغـي الاعتـراف ان هـذا النظـام الـذي تـم تطبيقـه اول الامـر فـي مركـز الدولـة، وتـم تعميمـه علـى ولايـات الاطـراف ظـل مسـتمراً الـى نهايـة حكـم الايلخـانيين، لا يمكـن ان يكـون نتاجـاً لفكـر وتخطـيط هولاكـو وحـده ، انمـا يعـود بدرجـة كبيـرة الـى عمـل وتنظـيم مستشـاريه المسـلمين ، وعلـى راسـهم الاداري الكبيـر شمس الدين الجويني الذي يعد المؤسس الحقيقي للادارة الايلخانية.

وامـا فيمـا يخـص سياسـة هولاكـو تجـاه الامـارات والاتابكيـات الاسـلامية التـي اعلنـت خضـوعها طوعـاً لحكـم المغـول، فانـه ابقاهـا بيـد حكامهـا، واكتفـى بـان يمثلـه فيهـا احـد الشـحان المغول،مقابـل التزامـات ماليـة وعسـكرية فقـد كـان علـى هـؤلاء الحكـام ان يـؤدوا مبلغـاً متفقـاً عليـه مـن المـال سـنوياً ، وان يكونـوا علـى اسـتعداد للتعـاون معـه فـي حالـة الحـرب. الا انـه فـي سـنوات حكمـه الاخيـرة سـعى لضـم تلـك الامـارات للسـلطة المركزيـة،معولاً علـى سياسـة المصـاهرة فـي تحقيـق ذلـك، مثـل قيامـه بتـزويج ابنائـه مـن بنـات حكـام فـارس وكرمـان، وقـد حققـت مسـاعيه تلـك نجاحـاً فـي بعض الولايات، واخفقت في ولايات اخرى.

امـا توجهـات هولاكـو فـي مجـال السياسـة الخارجيـة، فقـد تميـزت بتقاربـه مـع الـدول والامـارات النصـرانية، مـن اجـل كسـبها الـى جانبـه فـي الصـراع ضـد كـل مـن الحكام المماليك ومغول القبجاق.





الخــاتمــة



الخاتمة

استعرضنا في الفصول الاربعة السابقة سيرة الايلخان هولاكو وعمله العسكري والسياسي في كل من ايران والعراق وبلاد الشام، وما وقع له من حوادث وحروب مع حكام تلك البلاد، كل من ركن الدين خورشاه، مقدم الطائفة الاسماعيلية والخليفة العباسي المستعصم بالله، والناصر يوسف الايوبي، سلطان الشام، والمظفر قطز، سلطان المماليك في مصر فضلاً عن عدد من الملوك المنتشرين في الاقاليم والمدن والقلاع الجبلية، من خلال وصف وتوضيح الاوضاع السياسية والعسكرية لهذه الدول وقت اجتياح المغول لها ثم تحليل دور وعمل واجراءات هولاكو تجاه حكام تلك الدول في اثناء الحملة وبعد قيام الدولة الايلخانية، وبصورة خاصة المراسلات التي تبادلها معهم، والحروب التي خاضها ضدهم.

وتبين لنا من خلال دراسة حياة وسيرة هولاكو الشخصية، ان حياته للمدة الواقعة ما بين وقت ولادته في سنة ٦١٣هـ/١٢١٦م، وحتى بداية الحملة العسكرية التي قادها في سنة ٦٥١هـ/١٢٥٣م، كانت في حقيقتها تمثل حقبة قيام الامبراطورية المغولية وتوسعها قبل ظهور الدولة الايلخانية الجديدة. من هنا تابعنا بعناية العوامل التي أسهمت في تكوين شخصيته وتكاملها عسكرياً وسياسياً وادارياً، ضمن حدود تربيته الملكية، كونه حفيد جنكيزخان، امبراطور المغول الاعظم، ووارثٍ للتقاليد التي يتربى عليها عادة الامراء المغول، فقد توفرت له الفرصة ليكون قريباً من ممارسات السلطة وشؤون الحكم في وقت مبكر من حياته. فضلاً عن اكتسابه لعادات وطباع قومه المتسمة بالغلظة والقسوة. وعلى هذا الاساس فقد ركزنا باهتمام على تكوينات شخصيته المغولية ذات الصفات المخالفة لصفات المجتمعات الاسلامية المتحضرة انذاك، التي كلف باجتياحها واعادة ترتيب نظمها السياسية، وقومنا مردوداتها العسكرية والسياسية، التي في خلاصتها تقوم على صورة المغولي المتعطش لسفك الدماء، والذي لا يعرف عنه وبني جلدته، غير اثارة الرهبة والفزع في نفوس معاصريه من الحكام المناوئين،وتقرير القوة كأساس لاجتياح بلادهم. مع ان الحقيقة تبقى ان القتل والقسوة تعبر عن صفات القوة والشجاعة عند المجتمع المغولي،

وتشكل جزءاً من منظومة العمل العسكرية المغولية التقليدية،واكثر من ذلك لا تولي اي اعتبار لمضامين السياسة الاخلاقية القائمة حينئذٍ.

من هنا، فان واحدة من النتائج البديهية التي تفرض نفسها على الباحث بشأن الايلخان، هو ان هولاكو كان في كثير من جوانب شخصيته مثل حال غيره من حكام المغول، سفاكاً للدماء، لا يعترف بغير سياسة البطش تجاه مخالفيه ومتحديه بلا هوادة، تشهد له بذلك جميع اعماله العسكرية المتوالية المصحوبة بالمجازر البشرية والاعمال البشعة، ضد كل من رعايا الطائفة الاسماعيلية في شمال ايران عندما اصدر اوامره بقتل سكان القلاع التي استولى عليها جميعاً، دون استثناء ، ثم في ابادته كذلك للسكان الاكراد والتركمان الذين كانوا يقطنون قرى ومناطق زاكروس الجبلية، واستباحته لمدينة بغداد لمدة لا تقل عن سبعة ايام، وفيما بعد ما لاقته حلب وقلعة حارم الايوبيتين وغيرها من المدن الشامية من اهوال وفضائع على يديه، فقد اعتاد ان يأمر باستئصال الحكام والمخالفين من الناس متى راى ذلك امراً ضرورياً، ودون مبرر احياناً، مثلما حصل لجماعة الصوفية المعروفين بالقلندرية الذين التقاهم هولاكو في حران سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م وهو في طريقه لاحتلال بلاد الشام،اذ امر بقتلهم جميعاً دون ذنب يذكر.

لكن هذا الايلخان المغولي ينفرد في جوانب اخرى لا تتوافر الا في شخصيته وحدها، فبغض النظر عن القتل والقسوة وما يصاحبها من ابادة لبني البشر، فقد كان مشهوداً له بشكل خاص تصفيته للعائلات الحاكمة آنذاك، واستخدام التقتيل البشع لاعدائه بطرق مبتكرة لم يلجأ اليها احد من قبل، كما حصل للملك الكامل صاحب ميافارقين في سنة ٦٥٩هـ/١٢٦١م، عندما امر هولاكو بقتله بطريقة تقطيعه أرباً أباً، ووضع ما يقطع من اطراف جسمه في فمه قطعةً بعد اخرى حتى هلك، وما قام به ضد الملك الصالح بن بدر الدين لؤلؤ، حاكم الموصل، عند استسلامه له في سنة ٦٦٠هـ/١٢٦٢م، عندما امر ان يطلى جسمه بالدهن، ويربط عليه اللبد والحبال باحكام، ثم القائه تحت وهج الشمس، ثم حدث بعد ايام التهمت الديدان جسمه ومات، متنكراً لوعده في شرط الحفاظ على حياته.

ولم تقف قسوته عند حد كل من كان يقف بوجه تطلعاته ونواياه فحسب، بل شمل بطشه حتى حاشيته وكثير من المقربين منه، على نحو ما فعل مع اول صاحب للديوان الايلخاني سيف الدين البيتكجي، او مع منجم الاردو الشخصي حسام الدين المنجم، ومن بني جلدته امراء القبجاق بلغاي وتوتار وقولي. الى جانب ذلك تميز هولاكو بالمراوغة

وتقلب المزاج والتلون بشكل لا يضاهيه احد من قادة المغول، كما كان غداراً لا يؤمن جانبه احد، وسجله مع كل من ركن الدين خورشاه مقدم الاسماعيلية، وحسام الدين عكه زعيم الاكراد في جبال زاكروس، والخليفة العباسي المستعصم بالله، والملك الكامل صاحب ميافارقين، والسلطان الناصر يوسف سلطان بلاد الشام وماشاكلهم، فجميع هؤلاء حظوا بداية بالامان من عنده، الا انه ما ان حقق مآربه منهم حتى امر بقتلهم واحداً بعد آخر، مما يقف دليلاً فوق الدليل على بطشه وايضاً كان نكاثاً للعهود والمواثيق التي يقطعها بلا تحفظ او التزام بالمعايير السائدة، كما فعل مع سكان حلب وقلعة حارم الايوبيتين. وكل هذه الامثلة والشواهد تسمح لنا بالقول انه لا احد بين الامراء المغول يضارع هولاكو في تلك الشهرة من العنف والقسوة، سوى جده جنكيزخان الى حد ما. لقد تبين لنا من تقويم سيرة وحياة هولاكو، وتحليل عمله العسكري والسياسي ما يأتي:

(١) على الرغم من ان هولاكو ادى دوراً فاعلاً في الحياة السياسية المغولية اعتباراً من سنة ٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م، عندما اشترك في اجتماع القوريلتاي الذي انتخب ابن عمه كيوك قاآنا اعظم للمغول، والدعم الكبير الذي قدمه لاخيه الاكبر في سعيه للحصول على عرش القاآنية في اجتماعي القوريلتاي اللذان انعقدا في القبجاق سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م وقراقورم سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م،الا انه لم يكن يمثل حينئذٍ ظاهرة متميزة بين الامراء المغول في اثناء حياته في منغوليا.

وحقيقة الامر الواقع، ان ما انجزه هولاكو على المستوى السياسي والعسكري في خلال قيادته للحملة المغولية على بلدان الخلافة الشرقية هو الذي جعل منه ظاهرة متميزة في التاريخ الاسيوي والعباسي على حدٍ سواء، على وفق جملة من الحقائق الثابتة اهمها، ان الحملة التي قادها تختلف عن غيرها من حملات المغول السابقة، بكونها كانت تمثل ذروة التدخل المغولي في العالم الاسلامي، وكذلك في نجاح اهدافها في تأسيس دولة مترامية الاطراف تمتد من بلاد ما وراء النهر في التركستان حتى سواحل بلاد الشام، فقد اسفر عمله العسكري الاول في نجاحه الباهر في القضاء بشكل تام على الطائفة الاسماعيلية في شمال ايران، وتصفية ممثلها الروحي واتباعه جميعاً، وهو ما لم يستطع احد من تحقيقه منذ ايام السلاجقة لمدة تزيد عن قرن ونصف القرن.

اما عمله العسكري ضد الخلافة العباسية، فقد جاء بوضع جديد للمنطقة لم تشهده بغداد منذ ما يزيد على خمسة قرون، استطاع هولاكو من خلاله القضاء على الحكم

العباسي الشرعي، وتصفية افراد هذا البيت القريشي العريق، وما ترتب عليه من الغاء لمنصب الخلافة، قبل وقت احيائها بخط جديد من قبل الحكام المماليك في مصر، واقامة حكم سلطة وثنية بدلاً عنها قادمة من ما يعرف ب (دار الحرب)، وهذه تعد سابقة لم يستطع احد من اعداء المسلمين، او غيرهم من القيام بها من قبل.

اما في بلاد الشام، فان هولاكو على الرغم من المدة القصيرة التي احتل بها البلاد، والتي لا تزيد عن سبعة أشهر في سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م، الا انه استطاع في اثناء ذلك ان يضع حداً لحكم الايوبيين، مع ان البيت الايوبي (باستثناء بيت السلطان الناصر يوسف نفسه)لم يلق مصيراً مساوياً للمصير الذي خص به البيت العباسي، نظراً للتعاون الذي ابداه عدد من ملوك البيت الايوبي تجاه حملة الايلخان وادارته لبلاد الشام.

ولكن هناك ما لم يستطع هولاكو تحقيقه، متمثلاً في فشله من قهر قوة السلاطين المماليك، وببقاء مصر وبلاد الشام خارج سيطرة المغول، ومن ثم لم يتمكن هولاكو من القضاء على حكومات دار الاسلام مجتمعة حسب ما فوض له القوريلتاي المغولي بذلك.

ومع ذلك ، فان ما انجزه هولاكو، باستثناء هزيمة عين جالوت امام المماليك، تلك التي لم يكن مسؤولاً شخصياً عن وقوعها، يعد انجازاً كبيراً لم يتحقق من قبل على يد سلاطين مثل السلاجقة والغور والخوارزميين وغيرهم من امراء التركستان وحكامها.

(٢) ولقد تبين في ضوء هذه النتائج، ان هولاكو بن تولوي خان كان يمثل حقاً ظاهرة جديدة على مستوى التاريخ الاسلامي، لم يحصل ان تكررت في دولة الاسلام، الا في عهد لاحق عند ظهور تيمورلنك (٧٦٥-٨٠٧هـ/ ١٣٦٣-١٤٠٥م) على مسرح التاريخ الاسيوي الوسيط. وفي هذا المحتوى، فان هولاكو يمثل دون ادنى شك، نموذجاً مثالياً للجيل الجديد من القادة المغول الذين اعقبوا جنكيزخان وساروا على خطاه من امثال باتوين جوجي مؤسس القبيلة الذهبية في القبجاق، وقوبيلاي قاآن مؤسس اسرة اليوان في الصين.

(٣) وبهذا الصدد لا بد من التساؤل اذاً عن مصدر قوة هولاكو في تحقيق تلك الانجازات العسكرية، سواء في مرحلة الاعداد المتميز للحملة، او على مستوى تنفيذها؟

ان المصدر الاساس لقوة هولاكو في حملته على مشرق العالم الاسلامي بمراحلها الثلاث في ايران والعراق وبلاد والشام، كان يتمثل بالاسناد التام الذي حظيت به قيادته من قبل عناصر الامبراطورية المغولية مجتمعة، فقد اتضح لنا من الروايات التي تم تحليلها عند الجويني ورشيد الدين وميرخواند، ان هولاكو لم يكّون الجيش الذي قاده بنفسه، كما كان يفعل جده جنكيزخان، وانما جميع الاجراءات والاستعدادات للحملة ومستلزماتها، قام بها القاآن الاعظم للمغول، الاخ الاكبر لهولاكو، الذي أخذ على عاتقه بموجب قواعد الياسا، توفير كل ما يلزم للحملة من نجاح ، وفي مقدمتها ضخامة قوام الجيش المعد، الذي لا يقل تعداده عن مائة وعشرين الف رجل، بكامل العدة والعتاد والمؤن. فضلاً عن اصدار الاوامر العليا لامراء المغول في القبجاق وما وراء النهر، وجميع القبائل المغولية الاخرى المنضوية تحت لواء الامبراطورية المغولية، وكذلك اتابكيات فارس وكرمان ويزد وامارة الموصل وسلاجقة الروم وارمينية الصغرى وجورجيا بالاسهام في الحملة والاشتراك مع هولاكو في تنفيذ عمله العسكري. كما ان الخطة العامة للحملة واهدافها الرئيسة اقرت بمجملها في قراقورم عاصمة المغول، ونالت التأييد من امراء القوريلتاي، الا ان هذه الامتيازات جاءت بثمارها فقط لتوافر المزايا والاستعداد الذاتي لدى هولاكو في تحمل مسؤولية قيادة مثل تلك الحملة الكبيرة، وفي تحقيق اهدافها، عندما اثبت قدرات تنظيمية وادارية فائقة، استطاع من خلالها اخضاع جموع قبيلة كبيرة ومختلفة من المغول والتتار والترك والمسلمين تحت قيادته، والتحكم بالامراء وقادة النوين، الذين كان البعض منهم يكبرونه سناً وتجربة من امثال كتبغانوين وبايجونوين وكوكا ايلكا، لحالة من الضبط الشديد، مما يؤكد امتلاك هولاكو لكرزما القيادة.

والمصدر الاخر لقوة هولاكو حقيقة هو ما تميز به النظام العسكري المغولي من قدرات قتالية عالية المستوى، وقائمة على توافر وتوظيف عنصر العصبية لامة المغول، مما هيأ لهولاكو قيادة جيش منظم تنظيماً بالغ الدقة، عرف بالطاعة التامة لقادته، ولاسيما الاحترام الشديد الذي يكنه المغول لافراد الاسرة الجنكيزخانية، وبالاخص ابناء تولوي، استطاع هولاكو من خلاله تطبيق اصول فن القيادة العسكرية المغولية باتقان تام وجني ثمارها لنفسه.

والمصدر الاهم الذي ادى الى تفوق هولاكو على اعدائه يعود بدرجة كبيرة للقوة الجبارة التي كان يتمتع بها المغول آنذاك، وضعف القوى الاسلامية والمحلية التي

كانت تجابهه من ناحية اخرى، فعند عقد المقارنة بين ما كان يمتلكه اعدائه، وما توفر لهولاكو شخصياً، يظهر لنا من دون شك، ان القوة التي اجتاحها جيشه من الاسماعيلية الى العباسيين والايوبيين (المماليك لم تتبلور قوتهم بعد) لم تكن جميعها مؤهلة تماماً، حتى بالحد الادنى لمواجهة تحديات مثل تلك التي جاء بها الغزو المغولي، مع العلم ان تجربة مهمة من قبل تمثلت بقوة الجيش الخوارزمي الكبيرة فشلت في التصدي للمغول الاوائل ومنع عبورهم اقليم ما وراء النهر الى خراسان. وفضلاً عن ذلك فقد توفرت لهولاكو حاشية على دراية تامة بالاوضاع والتقديرات السياسية والعسكرية للبلاد التي اجتاحها جيشه، زد على ذلك كثرة المتعاونين مع المغول اينما عسكروا، او باشروا بالحصار والهجوم على اعدائهم.

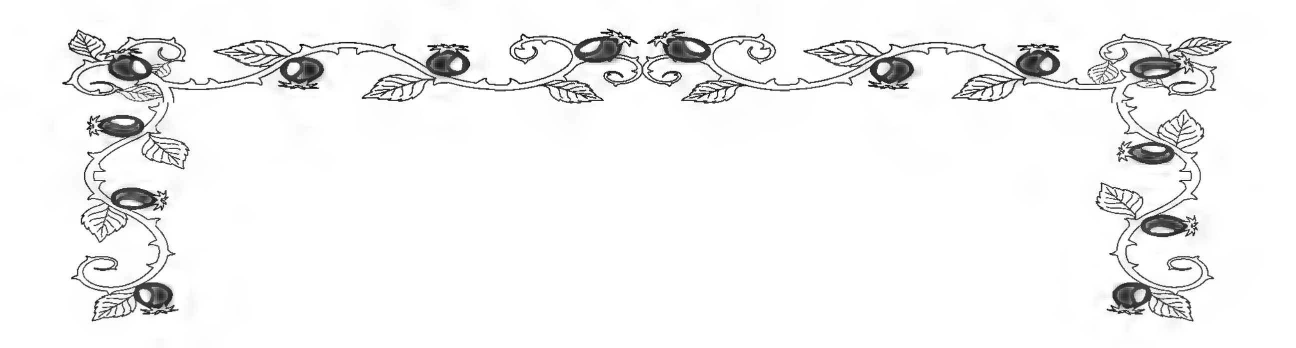
ومن هنا نرى ان العوامل الخارجية كانت لها اليد الطولى في تحقيق الانجازات العسكرية لهولاكو، وان نتائج حملة المغول كانت محسومة مسبقاً، سواء كان هولاكو على رأس قيادتها، ام غيره من قادة المغول الكبار، على الرغم من ان هولاكو اضاف لها بريقاً خاصاً به من الكرزما والقيادة، اذ ينبغي ان لا نغفل ان جزءاً اساس من قوة هولاكو كان ينبع من شخصيته، ومن قدراته الذاتية، وهذا الاقرار يعززه احتلال هولاكو لكل هذه الممالك، وإدارة تلك البلاد، لم يكن ممكناً دون حيازة العقل والكفاءة والتدبير من جانبه شخصياً، ولا ينبغي ان نتصور كذلك بشكل جازم ان هولاكو لم يكن سوى مجرد قائد لقوة جبارة، فقد عرف عنه قابلية التخطيط والقيادة وفرض اسلوب الحرب الخاص به على اعدائه. كما تميز بمهارته السياسية في التعامل معهم، واجبارهم بالنهاية على الاقراربسلطته عليهم، مما يلقي بعض الضوء على سر نجاحه.

(٤) اما انجازات هولاكو في المجال السياسي والاداري، فلا تقل شأناً عما انجزه في حروبه، فقد نجح في اقامة نظام سياسي واداري متكامل في البلاد المترامية الاطراف التي اخضعهالسلطته حرباً وسلماً، واضعاً بذلك الاساس لقيام حكم اسرة جديدة، تضاف للاسر الجنكيزخانية التي كانت تحكم الامبراطورية المغولية الواسعة، وقد اصبح هولاكو على رأس السلطة فيها، مستمداً شرعية حكمه من تقاليد الياسا الجنكيزخانية التي تعطي الارض المفتوحة ملكاً لفاتحها، معترفاً بسلطته كنائب (ايلخان) للقاآن الاعظم.

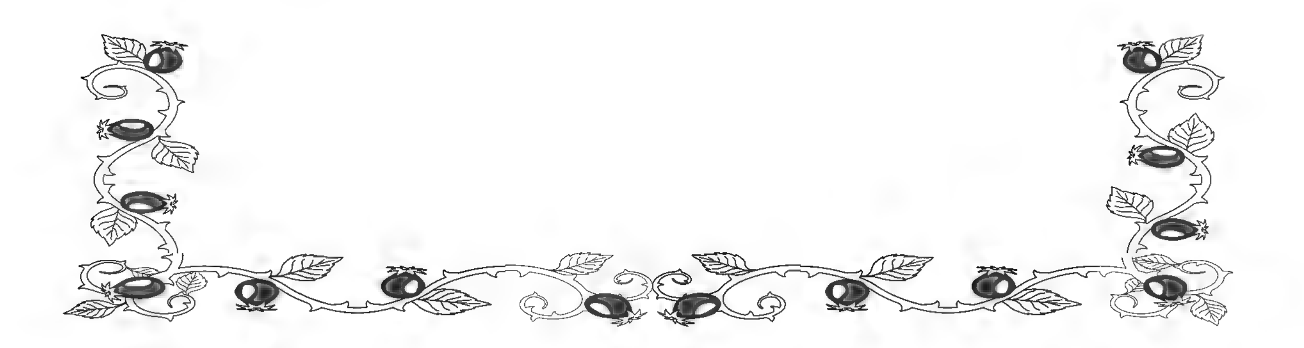
ولكن اهم ما يميز ادارة هولاكو للدولة الجديدة، ابقائه للنظم والوظائف الاسلامية على حالها، كالديوان والقضاء والوقوف والحسبة، ليخضع رعاياه المسلمين بقوانينها.

وكما يبدو واضحاً، ان النظام الذي اقام عليه هولاكو قواعد دولته الناشئة، قد اسس على تمازج عنصرين متداخلين، الاول هو الياسا المغولية التي اعتمد العمل بها في الجانب السياسي، والثاني اعتماد النظم الاسلامية القائمة حينئذٍ في الادارة، فضلاً عن اجتهاداته الشخصية التي كان يوفرها كرئيس اعلى للدولة والعسكر. غير اننا لا يمكن ان نطمئن الى ان هذا النظام الذي اثبت كفاءته واستمراريته لما يقرب من سبعين عاماً بعد وفاة مؤسسه، كان نتاجاً لفكر وتخطيط هولاكو لوحده، وان تدخله فيه وتوجيهه الوجهة التي استقر عليها محل شك، فمن الثابت ان هولاكو استعان برجال ادارة كفوئين من بقايا الادارة الخوارزمية لتسيير وظائف الدولة الادارية والمالية مثل شمس الدين الجويني، الذي يعد المؤسس الحقيقي لقواعد الادارة الايلخانية وتنظيماتها. وقد استعان الجويني بكثير من اصحاب القدرة الادارية من الكتاب والعمال الذين خدموا في الدولة الخوارزمية والدويلات الاخرى، ومن بينهم اخاه عطا ملك الجويني الذي تولى حكومة العراق العربي، كما احتل ابناء شمس الدين عدة مناصب ادارية هامة.

(٥) واخيراً، فان ما حققه هولاكو من انجازات سياسية وعسكرية جعله يتمتع بين رعاياه المغول بحالة اقرب الى القدسية، ترقى الى مرتبة القاآن الاعظم، وهو في هذا حاله حال خانات المغول الاوائل، كما تدلل على ذلك المراسم الخاصة بدفنه ، وطاعة الامراء العمياء لشخصيته واوامره.



قائمة المصادر والمراجع





١ـ المصادر العربية

- ابن ابي الفضائل،المفضل (ت ٦٧٢هـ/١٢٧٣م)، النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، نشر بلوشيه (باريس،١٩١٢).
- ابن الاثير، عز الدين محمد بن عبد الكريم (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، ١٢ جزء (القاهرة: المكتبة التجارية، ١٣٤٨هـ/١٩٥٨م).
- ابن اياس، محمد بن احمد (ت٩٣٠هـ/١٥٢٣م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، جزئان،ط١،(القاهرة: ١٣١١هـ).
- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن ابراهيم اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩هـ/١٣٣٧م)، رحلة ابن بطوطة (بيروت: دار صادر، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م).
- ابن تغري بردي، ابو المحاسن جمال الدين يوسف (٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٢ جزء (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م).
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر،٧ اجزاء (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٩٧١م).
- ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان،٦ اجزاء، تحقيق محي الدين عبد الحميد،ط١(القاهرة: مكتبة النهضة المصرية،١٣٦٧هـ).
- ابن رجب، زين الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين احمد (ت٧٩٥هـ/١٣٩٢م)، الذيل على طبقات الحنابلة، جزئان، تصحيح محمد حامد الفقي (القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ١٩٥٢-١٩٥٣).

- ابن الساعي، ابو طالب علي بن انجب تاج الدين (ت ٦٧٤هـ/١٢٧٥م)، منسوب اليه مختصر اخبار الخلفاء (القاهرة، المطبعة الاميرية، ١٣٠٩هـ).
- ابن شداد ، عز الدين محمد بن علي بن ابراهيم (ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م)، الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة، تحقيق دومنيك سورديل (دمشق، ١٩٥٧).
- ابن الصابوني، جمال الدين محمد بن علي (ت٦٨٠هـ/١٢٨١م)، تكملة اكمال الاكمال، تحقيق مصطفى جواد (بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٩٥٧).
- ابن الطقطقى، محمد بن طباطبا العلوي (كان حياً في سنة ٧٠٩هـ/١٣٠٩م)، الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية (بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).
- ابن عبد الحق، عبد المؤمن (ت٧٣٩هـ/١٣٣٨م)، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، ٣ اجزاء، تحقيق علي البجاوي،ط١(القاهرة: دار احياء الكتب العربية، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م).
- ابن عبد الظاهر، محي الدين ابو الفضل عبد الله (ت ٦٩٢هـ/١٢٩٣م)، تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل،ط١ (القاهرة: وزارة الثقافة والارشاد،١٩٦١).
- ابن العبري، غريغورس ابو الفرج اهرون الطبيب (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، تاريخ مختصر الدول (بيروت: المطبعة الكاثوليكية،١٩٥٨).
- ابن العبري، تاريخ الدول السرياني، اتمه اخوه برصوما الصفي، ترجمة الاب اسحق ارملة السرياني، نشر على اجزاء في مجلة المشرق البيروتية لسنة ١٩٥٤-١٩٥٦.
- ابن العماد الحنبلي، ابو الفلاح عبد الحي (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ٨ اجزاء (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

- ابـن العميـد، المكـين بـن جـرجيس (ت٦٧٢هـ/١٢٧٣م)، اخبـار الايوبيين، نشر كلود كاهن (دمشق: المعهد الفرنسي، ١٩٩٠).
- ابن الفوطي، كمال الدين عبد الرزاق (ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م)، تلخيص مجمـع الاداب فـي معجـم الالقاب،جـ٤،ق١-٣، تحقيـق مصـطفى جـواد (بغداد: ١٩٦٢-١٩٦٥).جـ٥، تصحيح وتعليق محمد عبد القدوس القاسمي، وهو مستل من مجلة Oriental College (حيدر آباد، ١٩٤٠).
- ابـن كثيـر، ابـو الفـداء اسـماعيل بـن عمـر الدمشـقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البدايـة والنهايـة، ١٤ جـزء، ط٧ (بيـروت: مكتبـة المعارف، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
- ابن متـي، عمرو، اخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل (روما، ١٨٤٠).
- ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت٧٩٧هـ/١٢٩٧م)، مفرج الكـروب فـي اخبـار بنـي ايـوب، ٤ اجـزاء، تحقيـق جمـال الـدين الشـيال (القاهرة: دار القلم، بلا. ت).
- ابن الوردي، زين الدين عمر(ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، تتمة المختصر في اخبار اليشر (بيروت: دار المعرفة، ١٣٨٩هـ).
- ابـو شـامة، شـهاب الـدين عبـد الـرحمن بـن اسـماعيل (ت٦٦٥هـ/١٢٦٧م)، تراجم رجال القرنين السادس والسابع، المعروف بـ (ذيل الروضتين) ط١، (بيروت: دار الجيل، ١٩٧٤).
- ابو الفداء، عماد الدين اسماعيل (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م)، تقويم البلدان (باريس، ١٨٤٠).
- ______________، المختصـر فـي اخبـار البشـر، ٧ أجـزاء (بيروت: دار المعرفة، بلا.ت).
- الاربلـي، عبد الرحمن سنبط بن قنيتو (٧١٧هـ/١٣١٧م)، خلاصـة الـذهب المسبوك مختصر فـي سير الملـوك، تصـحيح مكي السيد جاسـم (بغداد: مكتبة المثنى، ١٩٦٤).

- الحلي،الحسن بن يوسف المطهر (ت٧٢٦هـ/١٣٢٥م)، كشف اليقين في فضائل امير المؤمنين،تحقيق حسين الدركاهي،ط١(طهران،١٤١١هـ/١٩٩١م).
- الدواداري، ابي بكر بن عبد الله بن ايبك (كان حياً في سنة ٧٣٥هـ/١٣٣٤م)، كنز الدرر وجامع الغرر ،ج٨،الدرة الزكية في اخبار الدولة التركية، تحقيق اولرخ هارمان (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٩١هـ/١٩٧٠م).
- الدويدار ، ركن الدين بيبرس المنصوري (ت٧٢٥هـ/١٣٢٤م)، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق دونالد. س. ريتشاردز (بيروت: الشركة المتحدة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).
- الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن (ت٩٩٠هـ/١٥٨٢م)، تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس، جزئان (القاهرة: ١٢٨٣هـ).
- الذهبي، الحافظ شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، دول الاسلام، جزئان، تحقيق محمد فهيم شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م).
- ______________، سير اعلام النبلاء،١٧ جزء، تحقيق ابو عبد الله عبد السلام محمد عمر علوش (بيروت: دار الفكر،١٩٨٦).
- ______________، العبر في خبر من غبر،٥ اجزاء، تحقيق صلاح الدين المنجد (الكويت، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦).
- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب (ت٧٧١هـ/١٣٦٩م)، طبقات الشافعية الكبرى، (بيروت: دار المعرفة، بلا.ت).
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت٩٩١هـ/١٥٠٥م)، تاريخ الخلفاء (القاهرة، ١٣٥١هـ).
- الشهر ستاني، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم بن ابي احمد (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م)، الملل والنحل(بيروت: دار المعرفة،١٣٩٥هـ/١٩٧٥م).
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، تحفة ذوي الالباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب، تحقيق احسان

بنت سعيد خلوصي وزهير حمدان الصمصام (دمشق: مطبوعات وزارة الثقافة، ١٩٧٤).

- ______________، الوافي بالوفيات، ٨اجزاء (فيسبادن، ١٩٦٢-١٩٧١).

- العيني، بدر الدين محمود (ت ٨٨٥هـ/١٤٥١م)، عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان، تحقيق محمد محمد امين (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب،١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

- الغياثي، عبد الله (كان حياً في سنة ٨٩١هـ/١٤٨٦م)، التاريخ الغياثي، تحقيق طارق نافع الحمداني (بغداد: مطبعة اسعد،١٩٧٥).

- القرماني، ابي العباس احمد بن يوسف بن احمد (ت١٠١٩هـ/١٦١٠م)، اخبار الدول واثار الاول (بيروت: عالم الكتب،١٣٨٢هـ/١٩٧٨م).

- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م)، اثار البلاد واخبار العباد (بيروت: دار صادر، ١٩٦٠).

- القلقشندي، احمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الاعشى في صناعة الانشا، ١٤ جزء، ط١(بيروت:دار الكتب العلمية،١٩٨٧).

- الكازروني، ظهير الدين ابو الحسن علي بن محمد (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٧م)، مختصر التاريخ من اول الزمان الى منتهى دولة بني العباس، تحقيق مصطفى جواد (بغداد: المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠).

- الكتبي، محمد بن احمد بن شاكر (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، عيون التواريخ، تحقيق فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم (بغداد: دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠).

- الكتبي، فوات الوفيات، ٤ اجزاء، تحقيق احسان عباس (بيروت: دار الثقافة، ١٩٧٤).

- مجهول، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في اعيان المائة السابعة، تحقيق وتعليق بشار عواد معروف وعماد عبد السلام رؤوف،ط١ (بيروت: دار الغرب الاسلامي، ١٩٩٧).

- المقريزي، تقي الدين احمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، ٦ اجزاء، تحقيق محمد عبد القادر عطا،ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).
- النسوي، محمد بن احمد (ت٦٣٩هـ/١٢٤١م)، سيرة السلطان جلال الدين منكوبرتي، تحقيق حافظ احمد حمدي (القاهرة: مطبعة الاعتماد، ١٩٥٣).
- النهروالي، قطب الدين (توفي بعد سنة ٩٩٨هـ/١٥٨٠م)، الاعلام باعلام بيت الله الحرام (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٧٠هـ).
- النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م)،نهاية الارب في فنون الادب ،٢٧ جزء، تحقيق سعيد عاشور (القاهرة: الهيئة المصرية للطباعة والنشر، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).
- الهمداني، رشيد الدين فضل الله (ت٧١٨هـ/١٣١٨م)، جامع التواريخ، جزئان، ترجمة محمد صادق نشأت واخرون (القاهرة: مطبعة وزارة الثقافة والارشاد، ١٩٦٠).
- ياقوت الحموي الرومي، شهاب الدين (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، ٥ اجزاء، تحقيق عبد العزيز فريد الجندي(بيروت: دار الكتب العلمية،١٩٩٠).
- اليونيني، قطب الدين موسى بن محمد الحنفي (ت٧٢٦هـ/١٣٢٥)، ذيل مرآة الزمان، ٤ اجزاء (حيدر آباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية،١٩٥٤-١٩٦١).

(٢) المصادر الفارسية

- البناكتي، فخر الدين ابو سليمان (ت ٧٣٠هـ/١٣٢٩م)، تاريخ بناكتي، المعروف بـ (روضة الالباب في معرفة التواريخ والانساب) تحقيق جعفر شعار (طهران، ١٣٤٨هـ.ش).
- البيضاوي، قاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر (ت٦٧٤هـ/١٢٧٥م)، نظام التواريخ، بسعي واهتمام بهمن كريمي (طهران: مطبعة فرهومند واقبال علمي، ١٣١٣هـ.ش).
- الجوزجاني، ابو عمرو منهاج الدين بن سراج الدين (ت.٦٦٠هـ/١٢٦٢م)، طبقات ناصري، جزئان، تصحيح وتعليق عبد الحي حبيبي (كابل،١٣٤٣هـ.ش/١٩٦٥م).
- الجويني، علاء الدين عطا ملك (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)، تاريخ جهانكشاي،٣ اجزاء، بسعي واهتمام محمد بن عبد الوهاب القزويني (ليدن: مطبعة بريل، ١٣٥٥هـ/١٩٣٧م).
- الخوافي، فصيح احمد بن جلال الدين (ت٨٤٩هـ/١٤٤٥م)، مجمل فصيحي،٣اجزاء، تصحيح محمود فرخ (مشهد: جاب طوس،١٣٣٩هـ.ش).
- خواندمير، غياث الدين محمد بن همام الدين (ت٩٤٢هـ/١٥٤٤م)، تاريخ حبيب السير في اخبار افراد بشر، ٣ اجزاء (طهران: كتابخانه خيام، ١٣٣٣هـ.ش).
- ________________، دستور الوزراء، نشر وتصحيح سعيد نفيسي (طهران، ١٣١٧هـ.ش).
- الطوسي، عبد الله محمد بن محمد الحسن نصير الدين(ت.٦٧٢هـ/١٢٧٣م)، كيفيت واقعة بغداد، او رسالة في فتح بغداد (ليدن: مطبعة بريل،١٣٥٥هـ/١٩٣٧م).
- السمرقندي، ابن علاء الدولة دولتشاه (كان حياً في سنة ٨٩٢هـ/١٤٨٧م)، تذكرة الشعراء، تحقيق وتصحيح محمد عباسي (طهران،١٣٨٠هـ.ش).
- قزويني، قاضي احمد غفاري (ت٩٧٥هـ/١٥٦٧م)، تاريخ جهان آرا (طهران: كتا بفروشي حافظ، بلا.ت).

- المستوفي، حمد الله بن ابي بكر القزويني (ت٧٥٠هـ/١٣٤٩م)، تاريخ كزيده، باهتمام عبد الحسين نوائي (طهران: ١٣٣٦هـ.ش).
- ________، نزهت القلوب،جـ٣،بسعي واهتمام كي لسترنج (ليدن:١٩١٣).
- ميرخواند، حميد الدين محمد بن خداوندشاه بن محمود (ت٩٠٣هـ/١٤٩٨م)، تاريخ روضة الصفا في سير الانبياء والملوك والخلفاء، ٥ اجزاء، (طهران: جاب بيروز،١٣٣٩هـ.ش).
- الهمداني، رشيد الدين فضل الله بن عماد الدولة ابي الخير (ت٧١٨هـ/١٣١٨م)، جامع التواريخ، جزئان، تحقيق بهمن كريمي (طهران: بشركة نسبي حاج وشركائه،١٣٨٨هـ.ش).
- ________، داستان غازان، تحقيق كارل يان (لندن،١٣٥٨هـ/١٩٤٠م).
- ________، مكاتبات رشيدي، رسائلي كه وزير دانشمند خواجه رشيد الدين فضل الله طبيب سراي ايشان نوشته، محمد ابرقوهي انهار جمع نموده، بسعي واهتمام وتصحيح محمد شفيع (لاهور: ايجو كيشل بريس، ١٣٦٢هـ/١٩٣٢م).
- وصاف، شهاب الدين بن عبد الله بن فضل الله الشيرازي (ت٧٣٥هـ/١٣٣٤م)، تجزية الامصار وتزجية الاعصار (المعروف بتاريخ وصاف) (بومباي،١٢٦٩هـ).

(٣) المراجع الفارسية

- اقبال، عباس، تاريخ مفصل ايران،ط٣ (طهران: جابخانه سبهر، ١٣٤٧هـ.ش).
- فلسفي، نصر الله، هشت مقالة تاريخي وادبي (طهران،١٣٣٠هـ.ش).
- قمي، عباس، تتمة المنتهى في وقائع ايام الخلفا (طهران،١٣٣٣هـ.ش).

- مشكور، محمد جواد، تاريخ ايران زمين (طهران: انتشارات اشراقي، ١٣٣٦هـ.ش).

(٤) المراجع العربية

- اقبال، عباس، تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة عبد الوهاب علوب (ابو ظبي: المجمع الثقافي، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).
- الامين، حسن، الاسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي (بيروت: مطبعة باقري، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).
- ______________، الغزو المغولي (بيروت: دار المعارف، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م).
- بارتولد، ف، ف، تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، ١٤٠١هـ/١٩٨١م).
- ______________، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة احمد السيد سليمان (القاهرة: مطبعة الانجلو، ١٩٥٣).
- الباشا، حسن، الالقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والاثار (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٧).
- بدر، مصطفى طه، مغول ايران بين المسيحية والاسلام (القاهرة: دار الفكر العربي، بلا.ت).
- التونجي، محمد، المعجم الذهبي (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٩).
- حمدي، حافظ احمد، الدولة الخوارزمية والمغول (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٤٩).
- خصباك، جعفر حسين، العراق في عهد المغول الايلخانيين (بغداد: مطبعة العاني، ١٩٦٨).

- دائرة المعارف الاسلامية، تحرير هوتسما واخرون، ترجمة احمد الشنتاوي واخرون، ١٦ مجلد (بلا.م. بلا.ت) المقالات، ايلجي، بركة خان، تتر، جويني.
- الرمزي، م.م، تلفيق الاخبار وتلقيح الاثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، ط١ (اورنبورغ: المطبعة الكريمية والحسينية، ١٩٠٨).
- رؤوف، عماد عبد السلام، معركة عين جالوت (بغداد: مركز البحوث والمعلومات، ١٩٨٦).
- الرويشدي، سوادي عبد، امارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ (٦٠٦-٦٦٠هـ/١٢٠٩-١٢٦١م)،ط١(بغداد: مطبعة الرشاد،١٩٧١).
- زاده، برويز اسدي واخرون، دائرة المعارف او قاموس الاعلام والادب (طهران: مكتبة سنائي، بلا.ت).
- زامباور. آ.ف، معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي، جزئان، ترجمة زكي محمد وحسن احمد محمود (القاهرة: مطبعة جامعة فؤاد الاول،١٩٥١).
- الشبيبي، محمد رضا، اصول الفاظ اللهجة العراقية (بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م).
- الصياد، فؤاد عبد المعطي، المغول في التاريخ (بيروت: دار النهضة، ١٩٨٠).
- ______________، مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمداني،ط١ (القاهرة: دار الكتاب العربي،١٣٨٦هـ/١٩٦٧م).
- عاشور، فايد حماد، العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الاولى (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٥).
- العاني، نوري عبد الحميد، العراق في العهد الجلائري (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦).
- العبود، نافع توفيق، الدولة الخوارزمية، نشأتها. علاقتها مع الدول الاسلامية، نظمها العسكرية والادارية (٤٩٠-٦٢٨هـ/١٠٩٧-١٢٣١م) (بغداد: مطبعة الجامعة، ١٩٧٨).
- العريني، السيد الباز، المغول (بيروت: دار النهضة، ١٩٦٧).

- العزاوي، عباس، تاريخ العراق بين احتلالين،٨ اجزاء(بغداد: مطبعة بغداد،١٣٥٣هـ/١٩٣٥م).
- ________________، تاريخ علم الفلك في العرق (بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨).
- ________________، تاريخ النقود العراقية لما بعد العهود العباسية (بغداد: شركة التجارة والطباعة،١٣٧٧هـ/١٩٥٨م).
- ________________، التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان (بغداد: شركة التجارة والطباعة المحدودة،١٩٥٧).
- العلبي، اكرم حسن، معارك المغول الكبرى في بلاد الشام، ط١(بغداد: دار المأمون، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
- الغامدي، سعد بن محمد، سقوط الدولة العباسية،ط٢(الرياض،١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
- فامبري، ارمينوس، تاريخ بخارى منذ اقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة احمد محمود الساداتي،ط٢،(القاهرة: مكتبة نهضة الشرق،١٩٨٧).
- القزاز، محمد صالح، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية (النجف: مطبعة القضاء،١٣٩٠هـ/١٩٧٠م).
- الكلداني، بطرس نصري، ذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان، جزئان (الموصل: مطبعة الدومنيكان،١٩٠٥-١٩١٣).
- لسترنج.كي، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد(بغداد: مطبعة الرابطة،١٩٥٤).
- لويس، برنارد، اصول الاسماعيلية، ترجمة خليل احمد جلو وجاسم محمد رجب (القاهرة: دار الكتاب، بلا.ت).
- ________________، الحشاشون فرقة ثورية في تاريخ الاسلام، ترجمة محمد الغرب موسى،ط١(بيروت: دار المشرق العربي،١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).
- مصطفى جواد، واحمد سوسة، دليل خاطة بغداد قديماً وحديثاً (بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م).

(٥) الأطـاريح الجـامعيـة

- الجنـابي، عجمـي محمـود، المقاومـة العربيـة للغـزو المغـولي حتىعين جالوت، اطروحة دكتوراه غير منشورة(جامعة بغداد،١٩٩٠).
- خليل، علاء محمود، المغول في الموصل والجزيرة، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة الموصل،١٩٨٥).
- ال ياسين، محمد مفيد، الحياة الفكرية في العراق في القرن السابع الهجري، اطروحة دكتوراه (جامعة بغداد،١٩٧٥).

(٦) الدوريات

- رؤوف، عماد عبد السلام، حكام العراق وموظفوه في العهد الايلخاني، مجلة المؤرخ العربي،ع١١ (بغداد،١٩٧٩).
- زعين،حسـن فاضـل، العـراق فـي مواجهـة التحـدي المغـولي، مجلـة الاستاذ، ع١،(بغداد،١٩٨٧).
- لطفـي، مهـاب درويـش، الالقـاب علـى المسـكوكات الايلخانيـة، مجلـة سومر، ع٢١(بغداد،١٩٦٥).
- النقيـب، مرتضـى حسـن، السـلطان الناصـر يوسـف الايـوبي، مجلـة الاستاذ، ع١٨ (بغداد، ٢٠٠٠).

(٧) المصـادر الاوربيـة

- Alakenk,Grigor, History of Nation of the Archers (Boston: Harvard University Press,1954).
- Bausani, Religion Under the Mongols, in Cambridge History of Iran (London,1968).



- Bretschnieder.E,
  Mediaeval Researches from Eastern Asiatic Sources, 2 vol. (London,1967).
- Boyle.J.A,
  Dynastic and Political of the Il-khans, in Cambridge History of Iran,5 volumes (London,1968).
- ________________,
  The Burial Place of Great Khan, Acta Orientalia, XXXII (Copenhagen,1970).
- ________________,
  The death of the last Abbasid Caliph, Journal Semitic Studies (London,1961).
- Cahen.Claude,
  Pre-Ottoman Turkey, translated from French by J. J. Williams (London,1968).
- Chambers.James,
  The Devils of Horsemen, The Mongol Invasion of Europe (London,1979).
- Cleaves.F.A,
  The Mongolian Name and Terms in the History of the Nation of the Archers (Harvad University Press,1954).
- De Rachewilts.Igor,
  Papal Envoys to the Great Khan (London,1971).
- Encyclopaedia of Islam,
  Edited by Houtsma and others, old edition,4 vol.(Leaden: Brill, 1913-1936),articles, Diwan, Hulaco,Il-khans.
- Elgood.C,
  Amedical History of Perisa and the Eastern Caliphate (Cambridge,1951).
- Fox. R.,
  Genghiskhan (London,1936).
- Grigor Aknerli,
  Mogol Tarihi Ceviren, H.D Andreasyan (Istanbul,1954).
- Grousset.Rene,
  L' Empire des Steppes (Paris,1952).
- ________________,
  The Rise and Splendour of the Chinese Empire (Los Angels,1970).

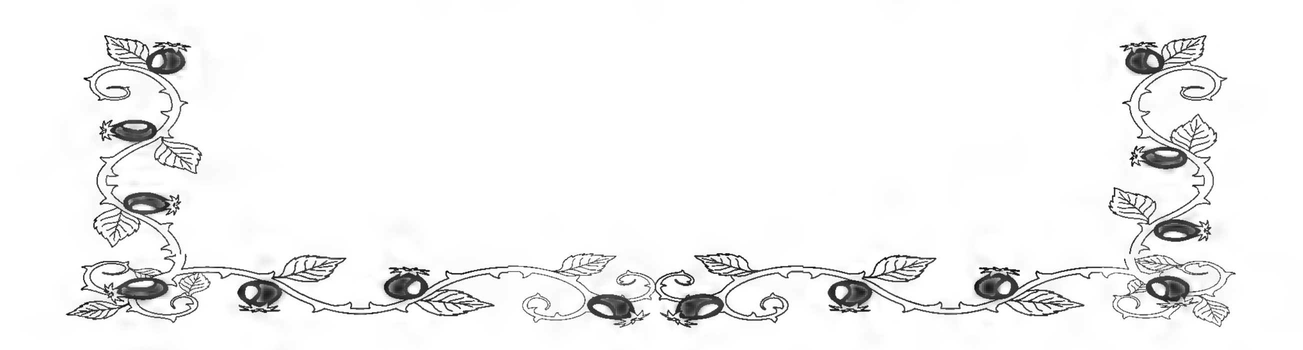
- Harris.G.L,
Iraq, its People its Society its Culture (New York,1958).
- Hartog.Leode,
Genghis Khan Conqueror of the world (London,1989).
- Heissig.Walther,
A lost Civilization, The Mongols Rediscovered (London, 1966).
- Heissig.Walther,
The Religion of Mongolia (Los Angels,1980).
- Hodgson. M.G.
The Order of Assassins (Gravehage,1955).
- ________________
The Venture of Islam (Chicago ,1979).
- Hookham.Hilda,
Tamburlaine the Conqueror (London,1962).
- Howorth.H.H.
History of the Mongols, from the 9th to the 19th Century,4 volumes (London,1876-1927).
- Ivanow.W,
Alamut and Lamasar (Teheran,1960).
- Khanikof,
Melanges Asiatiques (St.Pet,No.D).
- Komroff.Manuel,
Contemporaries of Marco Polo (New York,N.D.).
- Lamb,Harold,
Genghis-Khan,Emperor of all Men (London,1934).
- Masefield,John,
The Travels of Marco Polo (London,1958).
- Morgan,D,
Medieval Persia (1040-1797),(Singapore,1988).
- Phillips.E.D,
The Mongol (London,1967).
- Poliak.A.N,
The Influence of Chingiz-Khan Yasa upon the General Organization, Bulletin School of Oriental Studies.vol.10(London,1939-1942).
- Prawdin.M,
The Mongol Empire,its Rise and Legacy (London,1953).



- Purgstall.J.Von Hammer,
  The History of Assassins, Translated from the Germen by Oswald Charles wood (New York,1968).
- Sanjian. Avedis.K,
  Colophons of Armenian Manuscripts, Asource from Middle Eastern History (Harvard,1969).
- Saunders.J.J,
  The History of Mangol Conquests (London,1971).
- Spuler.Bertold,
  Die Goldene Horde (Leipzig,1943).
- __________________,
  Die Mongolian in Iran (Berlin,1955).
- __________________,
  History of the Mongols, translated from Germany by Helga.S.D (London,1972).
- __________________,
  The Muslims World, The Mongol Period (Leiden,1969).
- Stark,Freya,
  The Valleys of the Assassins (London,1971).
- USSR Academy of Sciences,
  History of the Mongolian People Republic (Moscow,1973).
- Vladimirstov.B.A,
  The Life of Chingis-Khan, translated from Russian by D.S. Mirsky (London,1930).
- Walken.C.C,
  Jenghiz Khan (London,1939).
- Willey.P,
  The Castles of the Assassins (London,1963).
- Witfokel.F.A. and Chia-Sheng,
  History of Chinese Society: Liao (907-1152), translated from Chinese sources (philadelphia,1949).



الملاحق



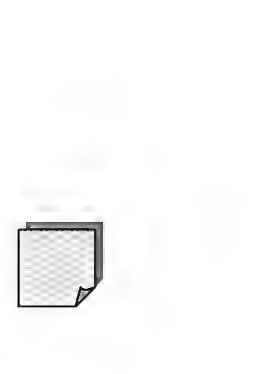


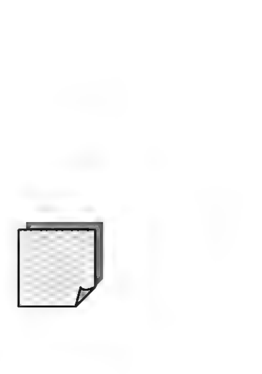
ملحق رقم (١)

جدول كرونولوجي يبين حياة هولاكو من وقت ولادته في قراقورم وحتى وفاته في مدينة مراغة في تبريز.

- ٦١٣هـ/١٢١٧م ولد هولاكو في مدينة قراقورم عاصمة الامبراطورية المغولية.
- ٦١٦هـ/١٢٢٠م تولت ام هولاكو الاشراف على تربية ابنائها بعد غياب ابيهم تولوي لمشاركته في الحملة على الدولة الخوارزمية التي استمرت لست سنوات.
- ٦٢٢هـ/١٢٢٥م كانت مناسبة لقاء هولاكو بجده جنكيزخان الذي قام باجراء المراسم له على عادة المغول عندما يتمكن الصبيان من الصيد للمرة الاولى.
- ٦٢٤هـ/١٢٣٢م اصبح قريباً من ممارسات الحكم والسياسة عندما تولى اباه تولوي منصب القاآنية مؤقتاً بعد وفاة جده جنكيزخان.
- ٦٣٠هـ/١٢٣٢م كانت مناسبة وفاة والده تولوي خان، وتولي امه سيورقوقيتي بيكي الاشراف على شؤون العائلة.
- ٦٣١هـ/١٢٣٣م تأهل للزواج للمرة الاولى.
- ٦٣٩هـ/١٢٤١م وفاة عمه اوكتاي قاآن وحدوث النزاع على العرش، وقد دعم هولاكو ترشيح اخاه منكو لمنصب القاآنية.
- ٦٤٤ هـ/١٢٤٦م حضر هولاكو واخوته اجتماع القوريلتاي، ولكنهم اخفقوا في الحصول على عرش المغول الذي كان من نصيب كيوك قاآن.
- ٦٤٨هـ/١٢٥٠م ارتفع شأن هولاكو كثيراً عندما ساهم في نجاح اخيه منكوقاآن بالحصول على عرش الامبراطورية المغولية.
- ٦٥٠هـ/١٢٥٢م فوض القوريلتاي هولاكو بقيادة الحملة العسكرية على بلاد الخلافة الشرقية.

- ٦٥١هـ/١٢٥٣م شرع هولاكو بقيادة الحملة العسكرية المغولية على مشرق العالم الاسلامي.
- ٦٥٤هـ/١٢٥٦م تمكن من القضاء على دولة الاسماعيلية التي استمرت اكثر من مائة وخمسين عاماً .
- ٦٥٦هـ/١٢٥٨م نجح هولاكو في القضاء على الخلافة العباسية التي استمرت اكثر من خمسة قرون، واقام مكانها الدولة الايلخانية.
- ٦٥٨هـ/١٢٦٠م تمكن من احتلال بلاد الشام، وتصفية بقايا الاسرة الايوبية.
- ٦٥٨هـ/١٢٦٠م خسارة جيشه لمعركة عين جالوت امام المماليك.
- ٦٦١هـ/١٢٦٣م هزيمة جيشه في الحرب التي خاضها ضد مغول القبجاق.
- ٦٦٣هـ/١٢٦٥م حدثت وفاته ودفن في تبريز.





الملحـق رقـم (٤)

نص رسالة هولاكو الاولى الى الخليفة المستعصم بالله،
وهي مؤرخة في العاشر من رمضان سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م.

((لقد ارسلنا اليك رسلنا وقت فتح قلاع الملاحدة، وطلبنا مدداً من الجند، ولكنك اظهرت الطاعة ولم تبعث الجند. وكانت آية الطاعة والاتحاد ان تمدنا بالجيش عند مسيرنا الى الطغاة؛ فلم ترسل الينا، والتمست العذر. مهما تكن اسرتك عريقة، وبيتك ذا مجد تليد ...

فان لمعان القمر قد يبلغ درجة
يخفى معها نور الشمس الساطعة

ولا بد انه قد بلغ سمعك لسان الخاص والعام، ما حل بالعالم والعالمين على يد الجيش المغولي، منذ عهد جنكيزخان الى اليوم، والذل الذي حاق بأسر الخوارزمية والسلجوقية وملوك الديالمة والاتابكة وغيرهم، ممن كانوا ذوي عظمة وشوكة، وذلك بحول الله القديم الدائم، ولم يكن باب بغداد مغلقاً في وجه اية طائفة من تلك الطوائف، واتخذوا منها قاعدة ملك لهم .فكيف يغلق في وجهنا رغم ما لنا من قدرة وسلطان؟ ولقد نصحناك من قبل. والان نقول لك: احذر الحقد والخصام، ولا تضرب المخصف بقبضة يدك، ولا تلطخ الشمس بالوحل فتتعب.

ومع هذا فقد مضى ما مضى، فاذا اطاع الخليفة فليهدم الحصون، ويردم الخنادق، ويسلم البلاد لابنه، ويحضر لمقابلتنا، واذا لم يرد الحضور، فليرسل كلا من الوزير وسليمانشاه والدويدار، ليبلغوه رسالتنا دون زيادة او نقص. فاذا استجاب لامرنا فلن يكون من واجبنا ان نكن له الحقد، وسنبقى له على دولته وجيشه ورعيته. اما اذا لم يصغ الى النصح، واثر الخلاف والجدال، فليعبئ الجند، وليعين ساحة القتال، فإننا متأهبون لمحاربته، وواقفون له على استعداد. وحينما اقود الجيش الى بغداد، مندفعاً بسورة الغضب، فانك لو كنت مختفيا في السماء او في الارض..

فسوف انزلك من الفلك الدوار،

وسالقيك من عليائك الى اسفل كالاسد

ولن ادع حياً في مملكتك،

وساجعل مدينتك وبلادك طعمة للنار

فاذا اردت ان تحفظ راسك واسرتك ، فاستمع لنصحي بمسمع العقل والذكاء، والا فسأرى كيف تكون ارادة الله[١].

---

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ٢،ص٦٩٩-٧٠٠.



الملحـق رقم (٥)

رد الخليفة المستعصم بالله على رسالة هولاكو الاولى

((ايها الشاب الحدث ... المتمني قصر العمر، ومن ظن نفسه متغلباً على جميع العالم مغتراً بيومين من الاقبال، متوهماً ان امره قضاء مبرم وأمر محكم. لماذا تطلب مني شيئاً لن تجده عندي.

كيف يمكن ان تتحكم في النجم وتقيده
بالرأى والجيش والسلاح

الا ليعلم الامير انه من الشرق الى الغرب، ومن الملوك الى الشحاذين، ومن الشيوخ الى الشباب ممن يؤمنون بالله ويعملون بالدين، كلهم عبيد هذا البلاط وجنود لي. انني حينما اشير بجمع الشتات، وسابدأ بحسم الامور في ايران، ثم اتوجه منها الى بلاد توران، واضع كل شخص في موضعه. وعندئذ سيصير وجه الارض جميعه مملوءاً بالقلق والاضطراب. غير اني لا اريد الحقد والخصام، ولا ان اشتري ضرر الناس وايذاءهم، كما انني لا ابغي من وراء تردد الجيوش ان تلهج السنة الرعية بالمدح او القدح، خصوصاً وانني مع الخاقان وهولاكوخان قلب واحد ولسان واحد. واذا كنت مثلي تزرع بذور المحبة فما شأنك بخنادق رعيتي وحصونهم. فاسلك طريق الود، وعد الى خراسان، وان كنت ترد الحرب والقتال..

فلا تتوان لحظة ولا تعتذر
اذا استقر رأيك على الحرب
ان لي الوفاً مؤلفة من الفرسان والرجال
وهم متأهبون للقتال
وانهم ليثيرون الغبار من ماء البحر وقت الحرب والطعان[1]

---

[1] رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ٢،ص٧٠١.



ملحق رقم (٦)

نص رسالة هولاكو الثانية الى الخليفة المستعصم بالله في سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م

((ان الله الازلي قد رفع جنكيزخان، ومنحنا وجه الارض كله من الشرق الى الغرب، فكل من سار معنا، واطاعنا، واستقام قلبه ولسانه، تبقى له امواله ونساؤه وابناؤه. ومن يفكر في الخلاف والشقاق لا يستمتع بشئ من ذلك. لقد فتنك حب الجاه والمال والعجب والغرور بالدولة الفانية، بحيث انه لم يعد يؤثر فيك نصح الناصحين بالخير، وان في اذنيك وقراً فلا تسمع نصح المشفقين، ولقد انحرفت عن طريق آبائك واجدادك، واذن فعليك ان تكون مستعداً للحرب والقتال، فاني متوجه الى بغداد بجيش كالنمل والجراد. ولو جرى سير الفلك على شاكلة اخرى، فتلك هي مشيئة الله العظيم))[1].

ملحق رقم (٧)

(1) رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ٢، ص٧٠٢ .



رد الخليفة المستعصم بالله على رسالة هولاكو الثانية

لو غاب عن الملك فله ان يسأل المطلعين على الاحوال، اذ ان كل ملك-حتى هذا العهد- قصد اسرة بني العباس ودار السلام وبغداد، كانت عاقبته وخيمة. ومهما قصد ذوو السطوة من الملوك، واصحاب الشوكة من السلاطين، فان هذا البيت محكم للغاية، وسيبقى الى يوم القيامة. وفي الايام السالفة، قصد يعقوب بن الليث الصفار الخليفة، وتوجه بجيش لجب الى بغداد، فلم يبلغ مأربه اذ مات بعلة الزحار،والامر كذلك مع اخيه عمرو، اذ قبض عليه اسماعيل بن احمد الساماني، وكبله وارسله الى بغداد، لكي يجري عليه الخليفة ما حكم به القضاء، وسجنه في الحديقة. وفي بغداد جعل الخطبة والسكة مدة عامين، باسم المستنصر الذي كان خليفة الاسماعيلية في مصر.وفي النهاية علم طغرلبك بذلك ، فاسرع من خراسان، وقصد البساسيري بجيش جرار، وقبض عليه وقتله، واخرج الخليفة من السجن واعاده الى بغداد، واجلسه على عرش الخلافة. وكذلك قصد السلطان محمد السلجوقي بغداد، فعاد منهزماً وهلك في الطريق .وجاء محمد خوارزم شاه بجيش عظيم قاصداً استئصال هذه الاسرة، فابتلى في روابى ((اسد آباد)) بالثلج والعواصف بسبب غضب الله عليه، وهلك اكثر جنده، وعاد خائباً خاسراً. ثم لاقى ما لاقى من جدك جنكيزخان في جزيرة آبكسون. فليس من المصلحة ان يفكر الملك في قصد اسرة العباسيين. فاحذر عين السوء من الزمان الغادر[1].

ملحق رقم (٨)

(1) رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ٢، ص٧٠٤.

نص رسالة هولاكو الاولى الى الملك الناصر يوسف صاحب بلاد الشام، وهي مؤرخة في التاسع عشر من ربيع الاول سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م.

((اما بعد فقد نزلنا بغداد سنة ست وخمسين وستمائة فساء صباح المنذرين؛ فدعونا مالكها فابى فحق عليه القول فاخذناه اخذاً وبيلاً . وقد دعوناك الى طاعتنا، فان اتيت فرحان وريحان، وان ابيت فخزي وخسران. فلا تكن كالباحث عن حتفه بظلفه، والجادع مارن انفه بكفه فتكون من الخاسرين اعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً . فما ذلك على الله بعزيز والسلام على من اتبع الهدى))[1].

الملحق رقم (٩)

---

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ،جـ٢،٧١٥.

نص رسالة هولاكوخان الثانية الى السلطان الناصر يوسف صاحب بلاد الشام

يعلم الملك الناصر اننا نزلنا بغداد في سنة ست وخمسين وستمائة وفتحناها بسيف الله تعالى واحضرنا مالكها وسالناه مسألتين فلم يجب لسؤالنا فلذلك استوجب منا العذاب كما قال في قرآنكم: ((ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم)). وصان المال فآل الدهر به الى مآل واستبدل النفوس النفيسة بنقوش معدنية خسيسة وكان ذلك ظاهر قوله تعالى:وجدوا ما عملوا حاضراً . لاننا قد بلغنا بقوة الله الارادة ونحن بمعونة الله تعالى في الزيادة ولا شك ان نحن عند الله في ارضه خلقنا وسلطنا على من حل عليه غضبه فليكن لكم في مامضى معتبر وبما ذكرناه وقلناه مزدجر، فالحصون بين ايدينا لا تمنع، والعساكر للقائنا لا تضر ولا تنفع، ودعاؤكم علينا لا يستجاب ولا يسمع، فاتعظوا بغيركم وسلموا الينا اموركم قبل ان ينكشف الغطاء ويحل عليكم الخطأ فنحن لا نرحم من شكى ولا نرق لمن بكى. لقد اخربنا البلاد واظنينا العباد وايتمنا الاولاد وتركنا في الارض الفساد، فعليكم بالهرب وعلينا بالطلب،فمالكم من سيوفنا الخلاص، ولا من مهابتنا مناص، فخيولنا سوابق وسهامنا خوارق وسيوفنا صواعق وعقولنا كالجبال وعددنا كالرمال، فمن طلب منا الامان سلم، ومن طلب الحرب ندم، فان انتم اطعتم امرنا وقبلتم شرطنا كان لكم مالنا وعليكم ما علينا، وان انتم خالفتم امرنا في غيكم وتماديتم فلا تلومونا بل لوموا انفسكم، فالله عليكم يا ظالمين، فهيئوا للبلايا جلباباً وللرزايا اترابا فقد اعذر من انذر، وانصف من حذر، لانكم اكلتم الحرام، وخنتم بالايمان، واظهرتم البدع واستعنتم الفسق بالصبيان، فابشروا بالذل والهوان، فاليوم تجدون ما كنتم تعلمون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. فقد ثبت عندكم اننا كفرة، وثبت عندنا انكم فجرة، وسلطنا عليكم من بيده الامور مقدرة، والاحكام مدبرة، فعزيزكم عندنا ذليل، وغنيكم لدينا فقير.ونحن مالكون الارض شرقاً وغرباً، واصحاب الاموال نهباً وسلباً واخذنا كل سفينة غصباً، فميزوا بعقولكم طرق الصواب قبل ان تضرم نارها وترمي بشرارها فلا تبقى منكم باقية، وتبقى الارض منكم خالية، فقد ايقظناكم فساعوا الينا برد الجواب بته. قبل ان ياتيكم العذاب بغتة، وانتم تعلمون[1].

الملحق رقم (١٠)

---

[1] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول،ص٢٨٤-ص٢٨٥.

نص رسالة هولاكو خان الى حاكم مصر قطز

((من ملك الملوك شرقاً وغرباً، القآن الاعظم ، باسمك اللهم باسط الارض ورافع السماء يعلم الملك المظفر قطز،الذي هو من جنس المماليك الذين هربوا من سيوفنا الى هذا الاقليم، يتنعمون بانعامه، ويقتلون من كان بسلطانه بعد ذلك. يعلم الملك المظفر قطز، وسائر امراء دولته واهل مملكته بالديار المصرية وماحولها من الاعمال، انا نحن جند الله في ارضه، خلقنا من سخطه،وسلطنا على من حل به غضبه . فلكم بجميع البلاد معتبر، وعن عزمنا مزدجر، فاتعظوا بغيركم، واسلموا الينا امركم، قبل ان ينكشف الغطاء، فتندموا ويعود عليكم الخطأ. فنحن ما نرحم من بكى، ولا نرق لمن شكى، وقد سمعتم اننا قد فتحنا البلاد، وطهرنا الارض من الفساد، وقتلنا معظم البلاد، فعليكم بالهرب، وعلينا بالطلب. فاي ارض تأويكم، واي طريق تنجيكم واي بلاد تحميكم؟ فما من سيوفنا خلاص، ولا من مهابتنا مناص. فخيولنا سوابق، وسهامنا خوارق، وسيوفنا صواعق، وقلوبنا كالجبال، وعددنا كالرمال. فالحصون لدينا لا تمنع، والعساكر لقتالنا لا تنفع، ودعاؤكم علينا لا يسمع فانكم اكلتم الحرام، ولا تعفون عند الكلام، وخنتم العهود والايمان وفشا فيكم العقوق والعصيان. فابشروا بالمذلة والهوان، ((فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون))[١] ((وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون))[٢] .

فمن طلب حربنا ندم، ومن قصد اماننا سلم. فان انتم لشرطنا ولامرنا اطعتم، فلكم مالنا وعليكم ما علينا، وان خالفتم هلكتم، فلا تهلكوا نفوسكم بايديكم. فقد اعذر من انذر، وقد ثبت عندكم ان نحن الكفرة ، وقد ثبت عندنا انكم الفجرة، وقد سلطنا عليكم من له الامور المقدرة والاحكام المدبرة، فكثيركم عندنا قليل، وعزيزكم عندنا ذليل، وبغير الاهانة لملوككم عندنا سبيل. فلا تطيلوا الخطاب، واسرعوا برد الجواب، قبل ان تضرم الحرب نارها، وترمي نحوكم شرارها، فلا تجدون مناجاها ولا عزاً، ولا كافياً ولا حرزاً . وتدهون منا باعظم داهية، وتصبح بلادكم منكم خالية. فقد انصفنا اذ راسلناكم، وايقظناكم اذ حذرناكم، فما بقى لنا مقصد سواكم. والسلام علينا وعليكم، وعلى من اطاع الهدى، وخشى عواقب الردى، واطاع الملك الاعلى.

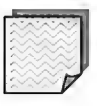
---

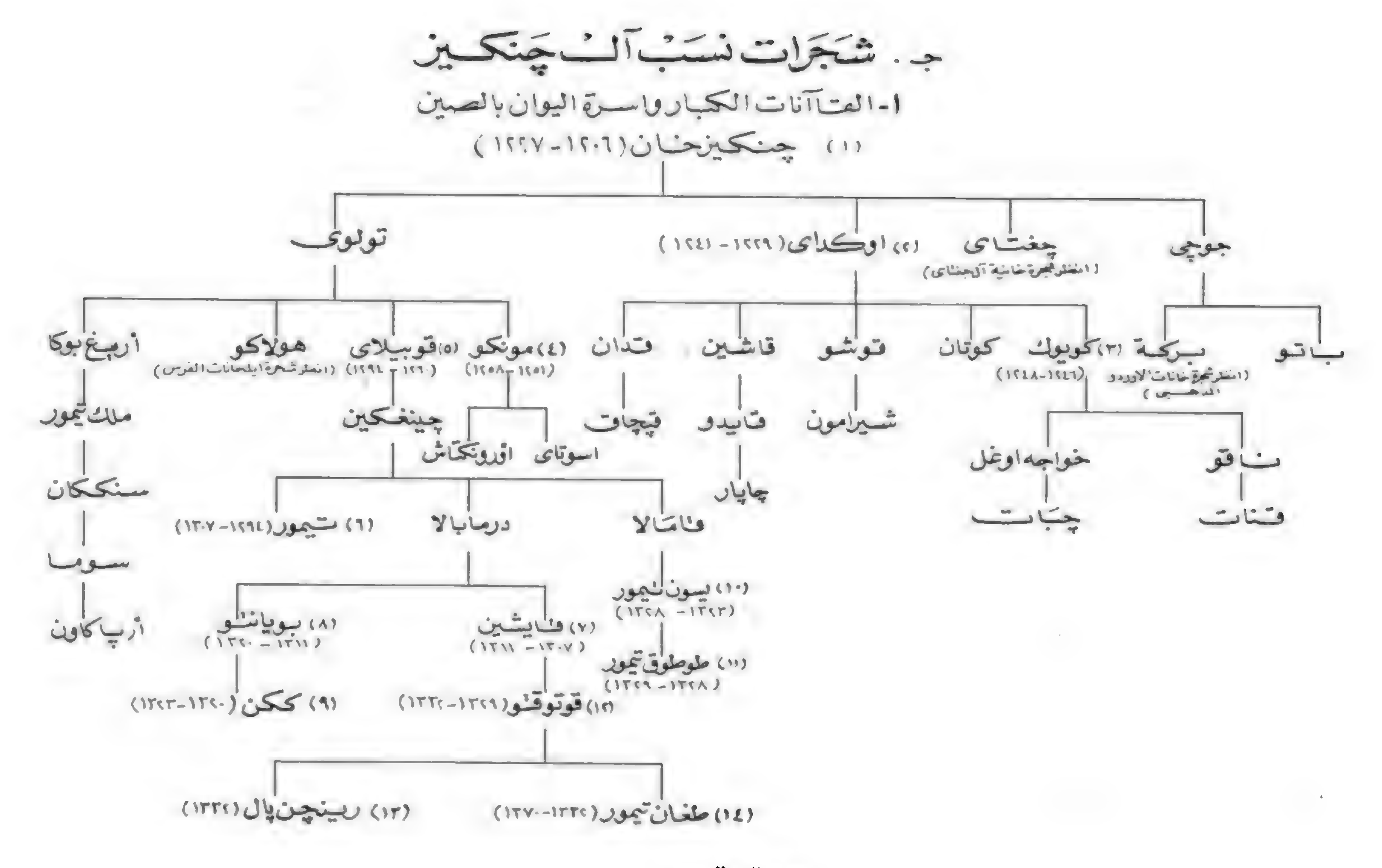
(١) سورة الاحقاف آية ٢٠.

(٢) سورة الشعراء آية ٢٢٧.

الاقل لمصرها هلاون قد اتى بحد سيوف تنتضى وبواتر
يصير اعز القوم منا اذلة ويلحق اطفالاً لهم بالاكابر[1]

(1) المقريزي، السلوك،جـ١،ص٥١٤ - ص٥١٥.





ملحق رقم (٢)

نقلاً عن بارتولد، تركستان.

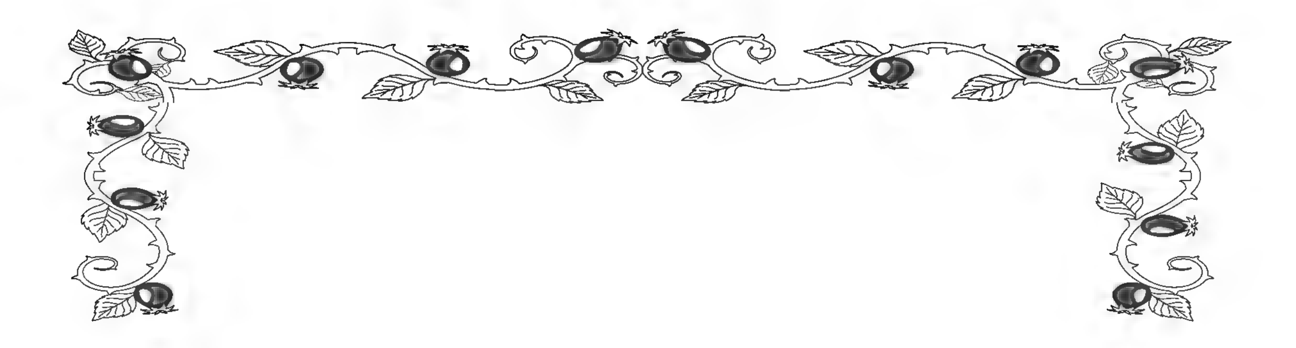
ج. شجرات نسب آل چنكيز

٢- ايلخانات الفرس

- (١) هولاكو (١٢٥٨- ١٢٦٥)
  - (٢) آباقا (١٢٥٦- ١٢٨١)
    - (٤) أرغون (١٢٨٤-١٢٩١)
      - (٧) غازان (١٢٩٥-١٣٠٤)
      - (٨) اولجايتو (١٣٠٤- ١٣١٦)
        - (٩) ابوسعيد (١٣١٦- ١٣٣٥)
        - ساتي بيك
    - (٥) كيخاتو (١٢٩١-١٢٩٥)
      - آلافرنغ
        - جهان تيمور
  - يشموت
    - سوكه
      - يوسف شاه
        - سليمان
  - ترغاى
    - (٦) بايدو (١٢٩٥)
  - (٣) تكودار (١٢٨١- ١٢٨٤)

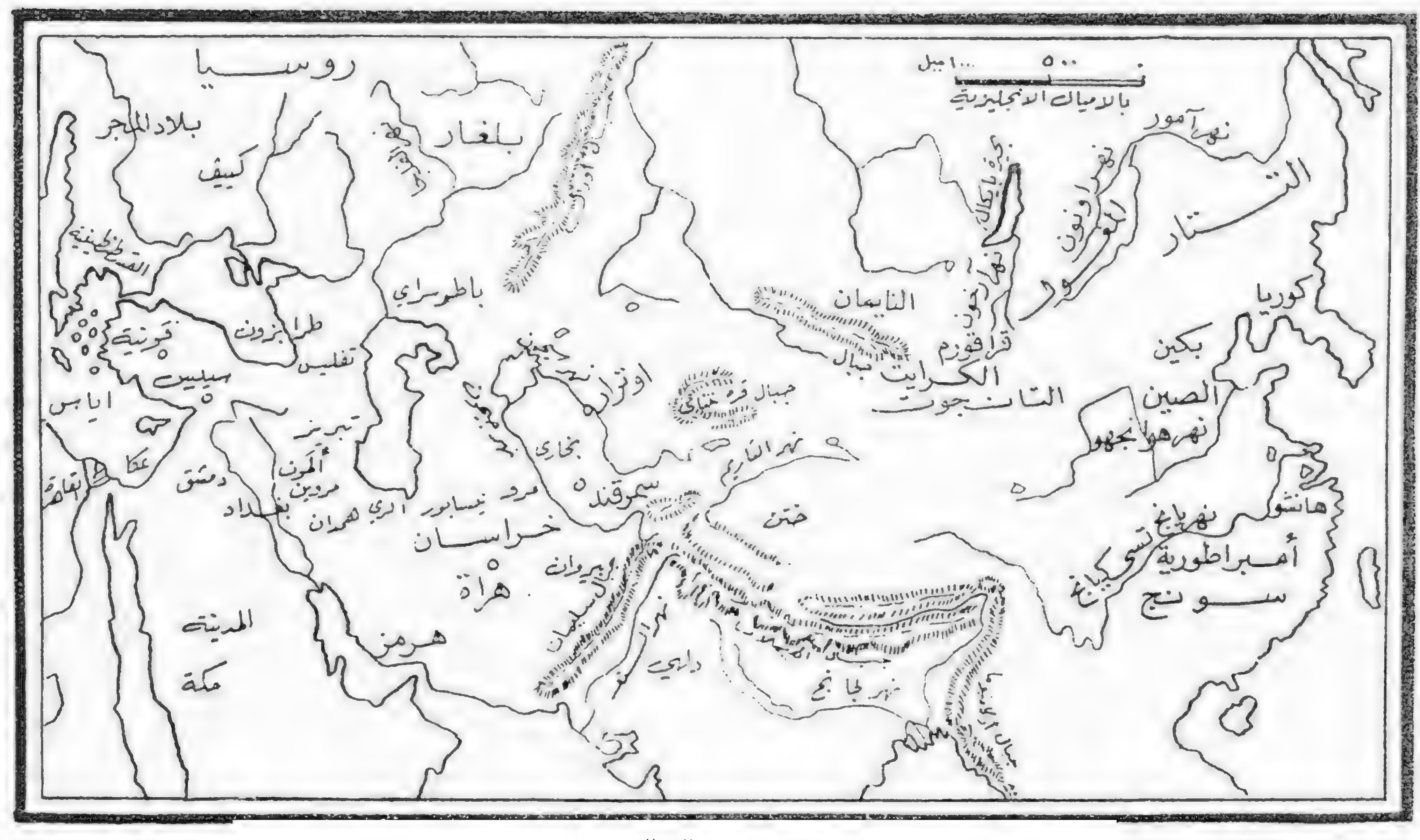
ملحق رقم (٣)

نقلاً عن بارتولد، تركستان.



الخـرائط

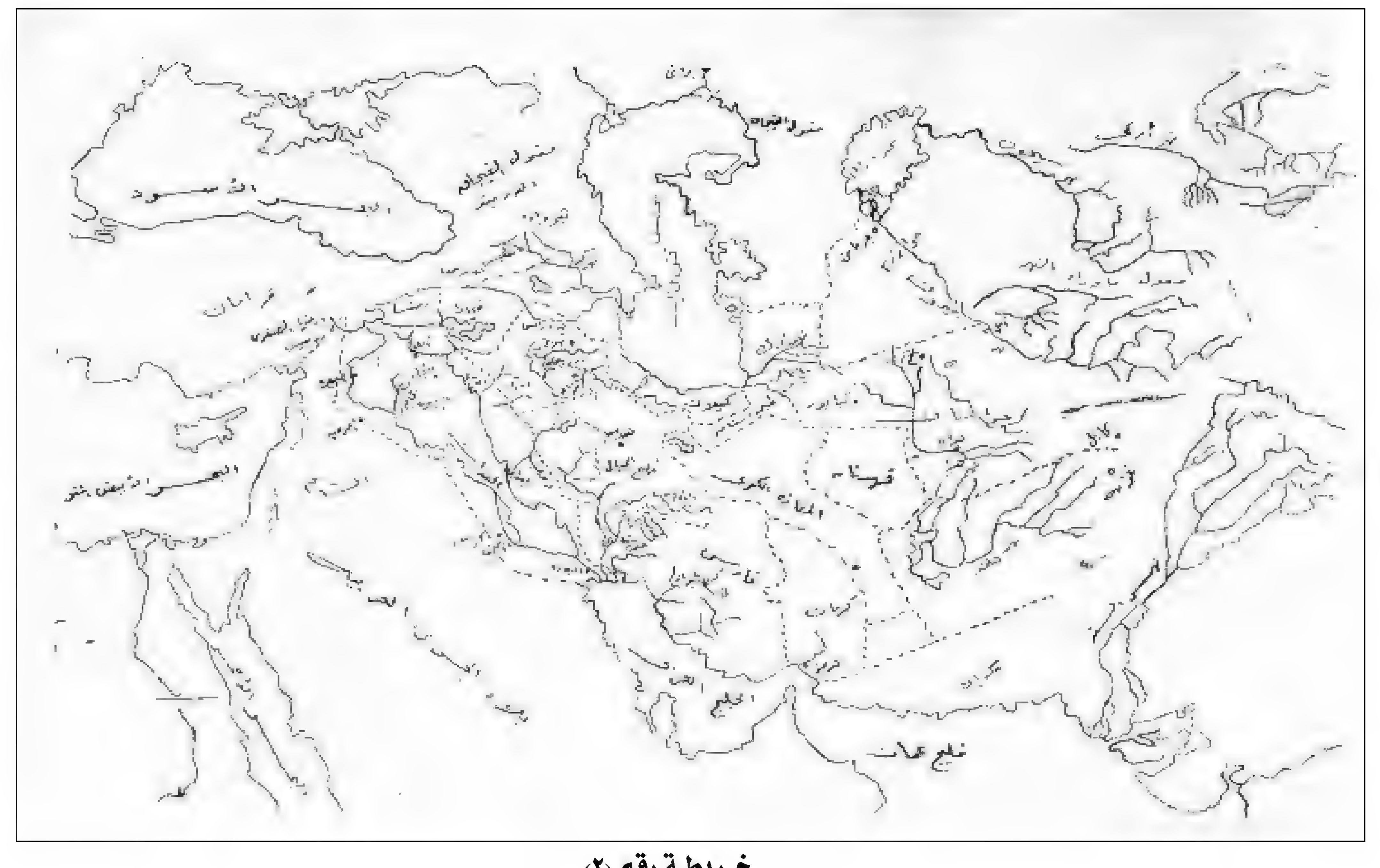




خريطة رقم (٤)

تبين حدود الامبراطورية المغولية

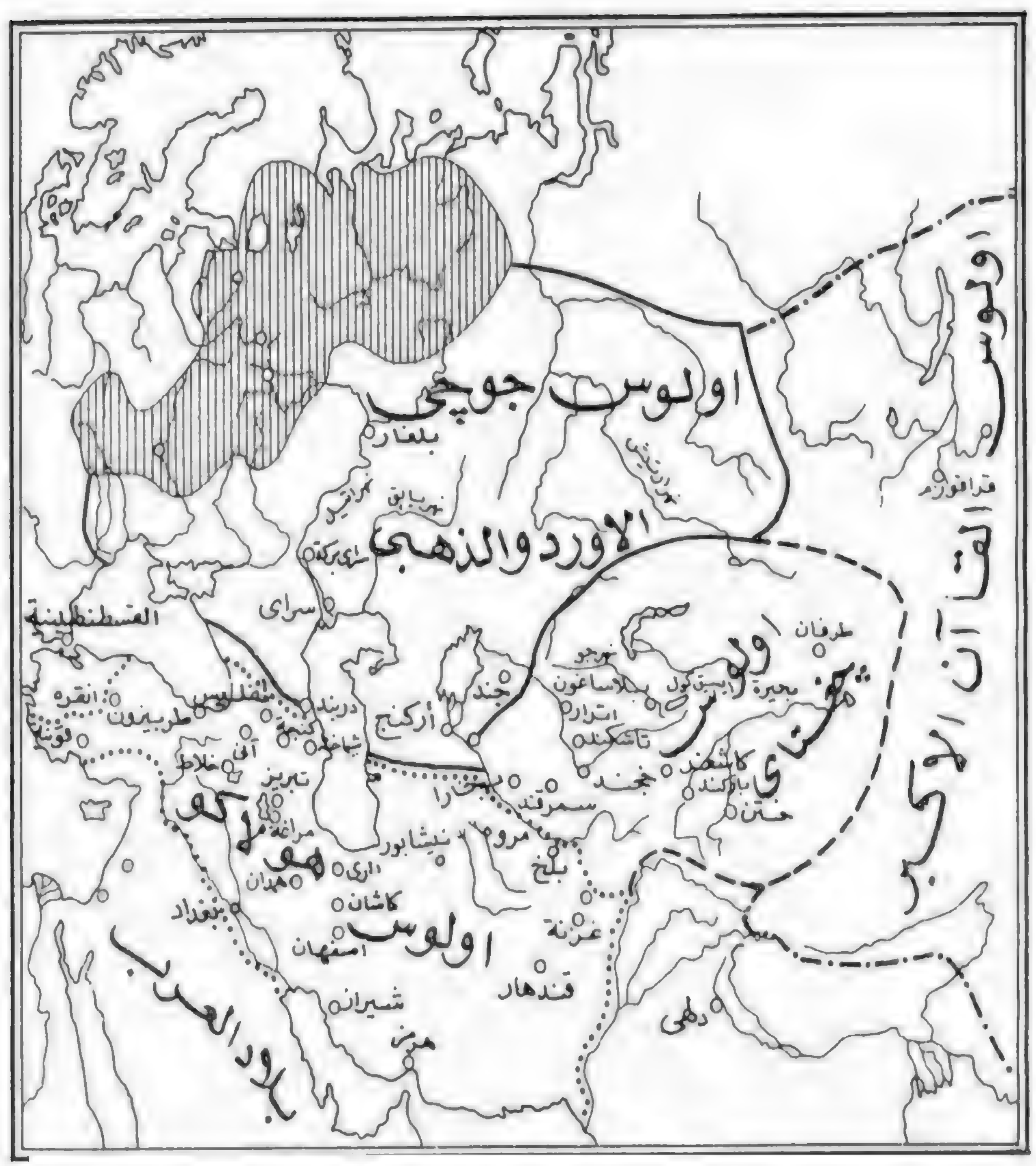
نقلاً عن: الصياد، المغول في التاريخ.



خريطة رقم (٢)

تبين حدود الدولة الايلخانية

نقلاً عن: لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية



خريطة رقم (٣)

تبين الدول المكونة لامبراطورية المغول في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي

١- أولوس جوچي الاوردو الذهبى

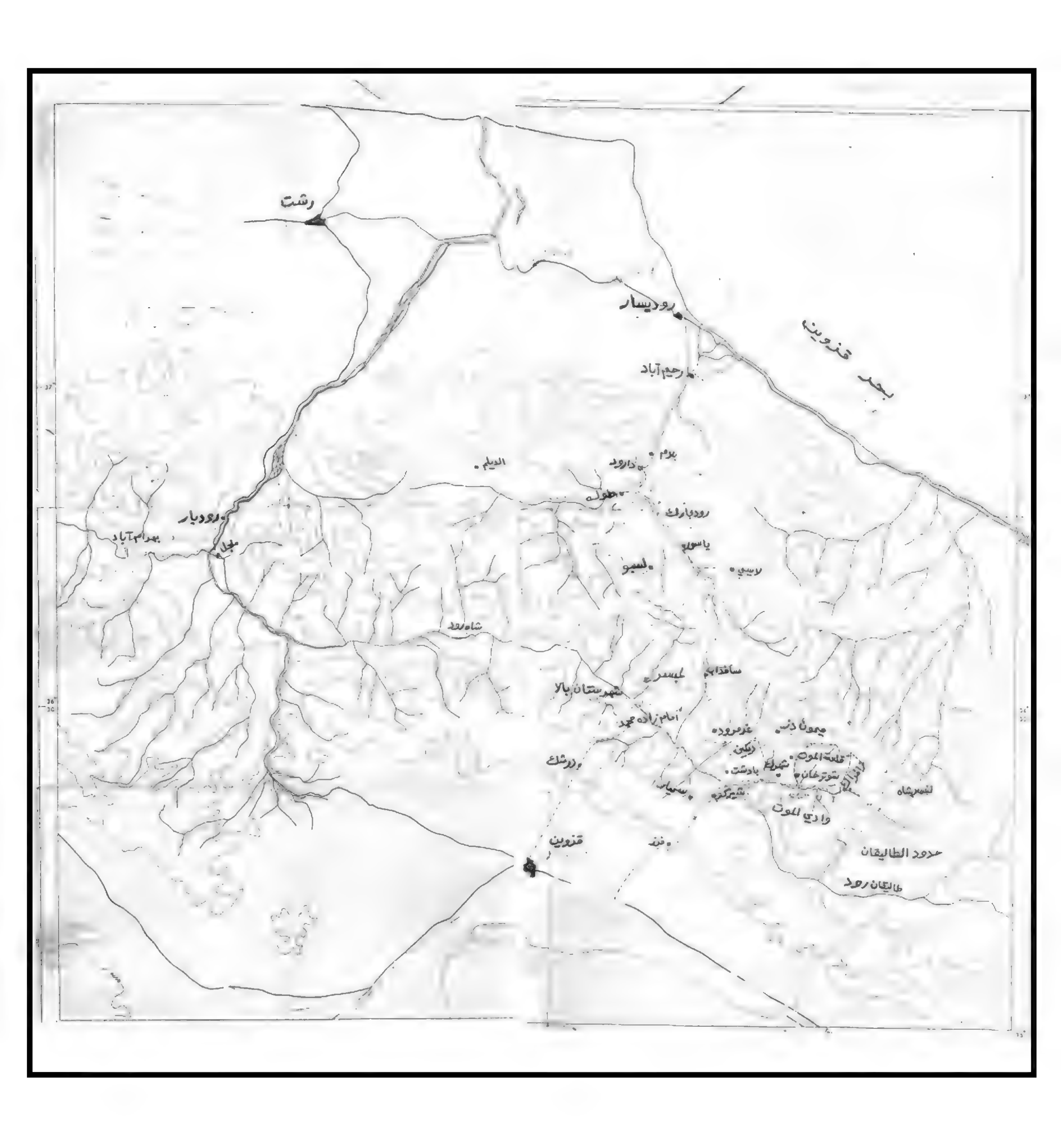
٢- أولوس جغتاى.

٣- أولوس هولاكو (ايلخانات الفرس)

٤- أولوس القاآن الأكبر

٥- الإمارات الروسية الخاضعة للأوردو الذهبى

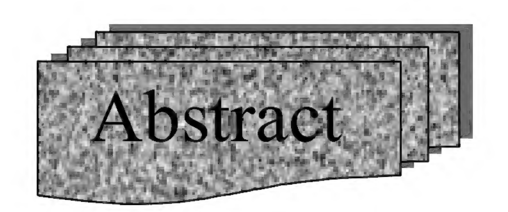
نقلاً عن: بارتولد، تركستان.



خريطة رقم (١)

تبين مواقع قلاع الطائفة الإسماعيلية في شمال إيران

نقلاً عن: **Fraya Stark , The Valley of Assassins**



This dissertation entitled (the Il-Khan Hulaco and his role at rise and establishment of the Il-Khanid State), deals with the life and career of the Il-Khan Hulaco (613-663A.H / 1216-1265 A.D.) and both political and military career.

Hulaco deemed as one of the commanders of the Mangols is regarded as a political and military phenomenon, not only in Mongolian and Abbasid history, but in human history in general by several facts. His name is linked with the leadership of the second Mongolian military campaign against the countries of oriental caliphate, and his action represented the apex of Mongolian intervention in the Islamic world. He didn't succeed only at founding of a widely expansive state stretching from Oxus River of Turkistan Country to Syria's Coast, but by distraction of the Abbasid Dynasty, and established instead a pagan authority rule emanating from the Islamic jurisdiction concept of (Dar Al-Harb). As such his rule of Muslim's country was deemed the beginning of an era completely different, in its characteristics and spirit from that of the preceding.

The dissertation consists of four major chapters, and an introduction to the sources and conclusion covering our main findings.

Chapter one deals with the personal life and time of Hulaco. Its first par covers his life in Mongolia. Research was made into the family of his lineage, date and place of birth, his early life, his life in his homeland, his wives and religion. The second part covers his life in the Islamic orient, being an Il-Khanid, view into his characteristics, attributes and death was conducted.

Chapter two deals with reasons for the choice of Hulaco to lead the second Mongolian militate campaign against the Islamic world and discussed the measures and readiness undertaken by Mongolian authorities to support the campaign, Hulaco's role at organization and leadership of the army from Qaraqurus, Mongolian capital, to arrival at Turkistan.

Chapter three deals with the study and analysis of the overall military operations, foremost of which was against the Isma'lite sect in north of Persia, then against the Abbasid Caliphate. Then, we analyzed his

military task in Al-Sham Country, then the war against the Mumluks who ruled over Egypt. And finally, the war against moguls of Qupjaq.

Hulaco's role at establishment of the political and administrative system of the Il-Khanid State.

The study has concluded the following results:

(1) Hulaco's life was actually representative of the era of the Mongolian Empire establishment, expansion and the upheavals of its internal situations. Hence the making up of his personality was due to several factors, namely, his royal upbringing, being the grandson of GenghisKhan, the Supreme Emperor of the Mongols, and the traditions in which the Mongolian knight is usually brought up.

(2) Hulaco was undoubtedly, a man of bloodshed, and all his military tasks were accompanied by human hurriedness holocausts, liquidation of ruling families and horrible killings of his opponents, and in such brutality unprecedented innovation of his own.

However, it is to be acknowledged that Hulaco was a Mongolian personality with quite different traits from that of the cultured Islamic society, and bears his folk's outlook towards killing and cruelty as an evidence of strength and bravery, as well as part of network of traditional Mongolian military tasks and not were related to any specific ethics of them.

(3) As to the reason for the choice of his commandship of the second Mongolian campaign against the Islamic world, it comes to conformity with Mongols policy of the new Qa'an Manqu, the eldest brother of Hulaco in an effort to place orderliness in the internal domestic condition of the Mongolian house on the one hand. And Hulaco's personal possession of proficiency and self-acceptance responsibility of leading such a great campaign on the other hand.

(4) On his military task perspective, Hulaco managed, through his on rush Persia, Iraq and Syria, to accomplish within four years period, the task of reducing to ruin most political entities in the Muslim orient yielding by such action to establishment to establishment of an expansive state. According to the general military and political , this is considered as a great accomplishment firstly, he managed to terminate the Isma'lite sect in north Iran, of which the neighboring power have always failed to subdue for over a century and a half. The significance possessing greater clarity of Hulaco's military task, which made him real phenomenon of history, is represented by

his occupation of Abbasid's house which lasted forever five centuries.

His overwhelming incursion into Syria enabled him to violently terminate the Ayubbids who ruled the country for over eight decades.

(5) The essential source of Hulaco's power at realization of such military accomplishments was represented by the full support that he enjoyed from the Empire and the mighty power enjoyed, then, by the Mongols in contrast to that weakness and disintegration to which Islamic States were suffering from. Upon comparison between the military capabilities of the army led by Hulaco and that possessed by his enemies, it is evidently demonstrated as that the power subjected to Hulaco's violent incursion were not all qualified to confront challenges as that came with the Mongolian raids.

(6) The other source of Hulaco's power was what the military Mongolian system was distinguished for as evidenced in the high level combat capabilities that were bonded by the element of fanaticism towards the nation of the Mongolians. Such a source furnished to Hulaco a precisely organized army known for its total obedience to its leaders.

(7) The other source of Hulaco's power emanates from his personal mightiness as a Mongolian commander enjoying by capabilities for planning and strategy affairs of war, imposing siege on castles and cities.

(8) From the political and administrative perspective, Hulaco's accomplishments were not less significant than his tasks of warfare. He demonstrated that he was not only commander campaign against Mongol enemies, but succeeded at establishing an integrated political and administrative system in the widely expansive countries that he subjected to his authority. Thus, he had laid foundation for establishment of a new dynasty to be added Genghis-Khanid's dynasties namely the Il-Khanid State. Hulaco became at the head of its authority, receiving the legality of his rule from the Genghis-Khanid's Yasa which grants the conquered land as a property to its conqueror. On the other hand, however, he preserved the Islamic systems and functions as they were to subdue his Muslim's subject to its laws.

However, this regime (which demonstrated its proficiency and continuum for over seventy years after Hulaco's death) can not be the yield of Hulaco's mind and planning alone, but is attributed to a great extent to his Muslim Counselors, foremost of which was Shams Al-Din Al-Juwaini who is considered as the real founder of the Il-Khanid administration.

THE IL-KHAN HULACO
&
HIS ROLE IN THE RISE AND ESTABLISHMENT OF THE IL-KHANID STATE

An Analytical Study of His Life & Political – Military Career
(613 – 663 A.H. / 1216 – 1265 A.D.)

By

Abd al-Rahman Fartus Haydar

A Dissertation Submitted to the Department of History,
College of Arts, University of Baghdad
in Partial Fulfillment of the Requirements
for the Ph.D. Degree in Islamic History

Supervised By

Prof. Dr. Murtada H. al-Naqib

Rajab 1424 A.H. / Sept., 2003 A.D.